

سلسلة الكتب النادرة

(٣)

نوادير الكتب

فريبتها وطريقها

محمد خير يوسف

٩٨ . يوسف، محمد خير .

٩٨٠ ي نوادر الكتب : غريبها وطريفها/ محمد خير يوسف . - ط ١ -

الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

... ص ٢٤ سم

ردمك ٨-٠٦٩-٢٠-٩٩٦٠

١ . الكتب - عرض وتحليل . ٢ . الخرائب والعجائب .

أ . العنوان .

رقم الإيداع : ١٤ / ١٧١١

ردمك ٨-٠٦٩-٢٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ / ١٩٩٤م

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص . ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩



مقدمة

ربما لا تعرف أن هناك شخصاً آخر مشهوراً يقال له «سيبويه» !
لكن شهرته تعود إلى أنه من أشهر «عقلاء المجانين» ، الذي استفاضت
أخباره مع الأمراء والوزراء والعلماء في مصر، في القرن الرابع الهجري .
وقد انبرى المؤرخ المعروف «ابن زولاق» لتأليف كتاب في حياته وأخباره ،
نظراً لأن الكُتَّاب لم يثيروا إليه من بين ما كتبوا في «عقلاء المجانين» ، وكان
هو معاصراً له . . . وسمى كتابه : «أخبار سيبويه المصري» .

والعجيب أن هذا «العاقل - المجنون» كان من كبار أهل العلم واللغة .
وقد لقب بـ «سيبويه» لاستحقاقه ذلك عن جدارة ! كما كان حافظاً للقرآن
الكريم ، عارفاً بغريبه وأحكامه ، وعالماً بالحديث وغريبه ومعانيه ، وبالرواة !
لكنه كان معتزلياً متعصباً !

وقد ذُكر أنه أصيب بالجنون ؛ لأنه شرب دواء معيناً !
وذكرت زوجته أنه إنما كان يهيج إذا لم يأكل اللحم ، فإذا أكل شيئاً دسماً
سكن !

وأترك القارئ مع طائفة من أخباره ، في أول كتاب يعرض في هذا
الكتاب . . .

● وإذا كان من نصيب هذا الكتاب عرض بعض الكتب النادرة في
موضوعها لكُتَّاب معاصرين ، فإنني ما كنت أتصوّر، بل لم يكن يخطر لي على
بال ، أن أرى كتاباً بعنوان «أدب الجن» !

وهل للجن أدب ظاهر للإنسان؟ وهل أدبهم الظاهر لنا مثل أدبهم بين بعضهم البعض؟ وكيف يُعرف؟ وكيف يكون؟

هذا ما تصدى له كاتب معاصر، فأجاب على بعض تلك الأسئلة، وانتصر لرأي من قال إن للجن شعراً؛ لأنه قد قال به أئمة كبار، أمثال ابن كثير، وابن الجوزي، وابن قيم الجوزية - رحمهم الله .

وقد بدأ بآيات من القرآن الكريم تذكر الجن، ثم أحاديث شريفة مخرّجة فيهم، ثم خصص بقية الفصول لقصص الجن وأشعارهم، وما جرى معهم في العصر الجاهلي، فصدر الإسلام، ثم في العصر الأموي، وأخيراً العصر العباسي .

وقد كنت زاهداً في ذكر مثل هذه الأمور . . إلا أن غرابة العنوان، بل غرابة موضوعه، أملى عليّ اختيار فقرات منه، تسلية للقارئ .

وقد تبين أن للكاتب «محمد عبد الرحيم» كتباً أخرى غريبة في بابها، مثل «قصص وأخبار من رأى سيد الأبرار ﷺ في المنام»، و «المصلوبون في التاريخ» . . !

● ويأتي شيخ كبير، يقلب دفاتر الزمن، ويدوّن في أوراقه ما يعثر عليه من كلام حسن، ووعظ طيب، وحكمة جليّة، وخبر نادر، وحكاية غريبة، وطرفة فيها عبرة، ويصدر ما جمعه في كتاب يسميه: «الإرشاد في طلب الرشاد» .

وقد انتقينا منه ما كان أكثر ملاءمة وفائدة .

فقد تنزعج - أيها القارئ العزيز - عندما تتقاذفك ألسنة الناس من هنا وهناك، ولا تملك سلطة إسكاتهم . . وستعرف أن هناك من الأنبياء - عليهم

الصلاة والسلام - من دعا ربّه أن يكفّ عنه ألسنة الناس ، فأوحى إليه : هذا ما لم أجعله لنفسي ، فكيف أجعله لك ؟ !

وعندما قيل لرجل أراد أن يطلق زوجته : ما يسوؤك منها ؟ قال : العاقل لا يهتك ستر زوجته . ولما طلقها قيل له : لِمَ طلقتهما ؟ قال : مالي ولل كلام فيمن صارت أجنبية عني ؟

و «إذا أردت أن تعرف من أين حصّل الرجل المال ، فانظر في أي شيء ينفقه» !

وهكذا تتوالى عليك أقوال وأخبار جميلة مفيدة .

ولكن . . . ليست العبرة بكثرة الحِكم والعبر ، بقدر ما يُطلب أن يكون هناك احتكام إلى الحق ، وعبرة مما مضى ، ومما يقال .

● ثم يأتي كاتب آخر معاصر ، فيجمع أخبار الأطفال وحكاياتهم وطرائفهم ونواديرهم من كتب التراث الإسلامي المطبوعة والمخطوطة ، ويسمي مجموعه هذا : «الأطفال في التراث العربي» . فيذكر ما ورد في الأطفال المجاهدين ، والأطفال العلماء ، والأطفال الحُفّاظ ، ثم الأذكياء والشعراء . . . إلخ .

ويورد - مثلاً - قول الأصمعي : قلت لغلام حَدَث السن من أولاد العرب : أيسرُّك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنتك أحق ؟ قال : لا والله . قلت : ولِمَ ؟ قال : أخاف أن يجني عليّ حمقي جنايةً تُذهب مالي ويُبقي علي حمقي !

وقال بعض المعلّمين : حضرتُ لتعليم «المعتز» وهو صغير ، فقلت له : بأي شيء نبدأ ؟ قال : بالانصراف !

● وهذا كاتب من القرن السادس الهجري، مكّي الأصل، مغربي المنشأ، ووفاته بحماة . . كان واعظاً، متكلماً، شاعراً، ناثراً. تجوّل صغيراً في البلاد لطلب العلم، ودخل أكثر الأمصار . . يلفت انتباهه أخبار طائفة من الأولاد النجباء الأذكياء، فيخصص كتاباً لهذا الموضوع يسميه : «أبناء نجباء الأبناء». يودع فيه أخبار من اشتهر منهم بعلوّ الهمة ونور البصيرة . . ممن رشح نفسه للملك أو الرئاسة، أو نطق ببليغ الحكمة، أو صاغ بديع الشعر، أو جاد بهاله ونفسه، أو قاد الكتائب والجيوش، أو أخلص لله الطاعة، أو تخصص بحسن الزهادة .

وستقرأ طائفة من أخبار هؤلاء الأولاد النجباء . . لكاتبها ابن ظفر الصقلي .

● وكانت مطبعة الجوائب في الأستانة (إستانبول)، قد جمعت سبع عشرة رسالة، بينها كتب ورسائل نادرة، وأصدرت هذا المجموع في كتاب سنة ١٣٠٢ هـ بعنوان : «التحفة البهيّة والطُّرفة الشهية». وقد اخترت فقرات مناسبة من خمس رسائل منها، بينها «رسالة عبد الواسع في المعاتبه» التي يظهر فيها أنه ابتلي بأصحاب شيمتهم الغدر، فيقول شعراً منه :

مللت الناس كلهم اضطراراً	لأن وداد أكثرهم هباءً
وكم من صاحب أصفى ودادي	له، ونصيينا منه الرياء
وأرعى عهدَه ويضيع حقي	وهذا يا أخي بئس الجزاء

● ونعرِّج على متأدب مصري أعمى ظريف، يُعرف بـ «حسن الآلاتي»، يؤلف كتاباً عجبياً، يقع في ثلاثة أجزاء، وقد رأيت منه الجزء الأول فقط، و

الذي صدر عام ١٣٠٧ هـ، وهو بعنوان : «ترويح النفوس ومضحك العبوس» .

وللقارئ أن يتجول في بعض ما استطعتُ أن أنقله إلى هذا الكتاب ؛ على أنني لن أدعُه حتى أُطلعه على ما وجدته مكتوباً على الغلاف الداخلي من الكتاب، ويبدو أنه بقلم مالكة، أو أحد مستعيريه، الذي أبدى رأيه في هذا الكتاب بعد أن انتهى من قراءته، فكتب في «السجل الذهبي» لهذا الكتاب - بفصحي مشوبة بالعامية - ما يلي :

« فائدة للكسل »

هذا الكتاب يُقرأ عند النوم وعند الصباح، ويكون البخور فول مدمّس، ويكون موضوع في إناء من ذهب، مثل صينية قفل أو حلة، ويؤكل الفول قضا، وينام بعد ذلك، يرى في منامه ما لا يراه العاشقون، ويلتفُّ ببطانية خضراء، ويوضع على وجهه هذا الكتاب . وفي الصباح يقرأ الكتاب، ويأكل الفول قضا كما قلنا سابقاً، وينام إلى الظهر، ويتغدى فول سوداني بقشره، ولا يرى منه شيء، ويكون وجهه إلى الحائط، ويكون في محل لا يسع إلا هو والعالم كله التي موجود على الكرة الأرضية . وهذا كله يجلب الكسل .
مجرّبة، وعلى الله الاتكال !!

● ثم نمضي إلى كاتب مغربي عاش في أواخر العصر العثماني، يعرف بـ «عبد الصمد كنون»، فنفتح «جرايه» لنطلع من خلاله على أشتات العلوم والآداب . . . ويفصح في مقدمته عن شوقه لتأليف كتاب في مثل هذا الموضوع فيقول : «طالما تشوقت النفس لجمع ما كان عندي في كُنّاش الطلب، وما هو مستطربه أيام الأخذ عن الشيوخ من فوائد العلم والأدب، وما حصلته

من مسائل متفرقة في فنون شتى ، يعسرُ الوقوف عليها ، ولا تُدركُ إلى
وحتى . فرأيتُ كتاب «الكشكول» الحاوي لفوائد من علمي المنقول
والمعقول ، الذي اعتنى بتأليفه وجمعه وتصنيفه وصنعه العالم المحقق
بهاء الدين العاملي ، فألفيته طبق المراد ، وممثلاً لما استقرَّ في الفؤاد ، مما وقع
عليه التصميم سابقاً ، وتعلقت الرغبةُ بإبرازه إلى الوجود لاحقاً ؛ فقويَ عزمي
حينئذ على جمع ما كتبتُه ، وما حرصتُ عليه وقيدتهُ ، على اختلاف أنواعه
وتباين أوضاعه ، من تحريرات فقهية ، وفوائد حديثة ، ونكت عربية ،
ومسائل كلامية ، ونقول تاريخية ، ولطائف أدبية ، ومختارات شعرية ، إلى غير
ذلك مما يأخذ بالألباب ، وقلما يُعثر عليه مجموعاً في كتاب ، وسميته :
« الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب » .

● وعثرت على قطعة من كتاب «جمع الجواهر في المُلح والنوادر»
للحُصري . وهو أديب نقّادة معروف ، من أهل القيروان . وله شعر فيه رقة .
وهو ابن خالة الشاعر أبي الحسن الحصري ناظم «ياليل الصب» .

وكتابه الذي نحن بصدده مختارات أدبية ، ومُلح وطرائف تاريخية
 واجتماعية وشعبية ، استطاع مؤلفه أن ينظمها في سباط جميل . . يقول في
خاتمته بعد أن قدمها رائقة ، على مائدة شهية : « . . . وجعلته كالمسامر
الذكي ، والمنادر اللوذعي ، الذي إذا هزل عزف ، وإذا جدَّ رمز ، فأمضي بك
في العجائب المضحكة ، والغرائب المونقة . ثم أصِلها ولا أفصلها ، من تعلقٍ
بأخبار ظريفة ، وأشعار شريفة . وقد خفت أن أكلفك نصّباً ، وأحملك تعباً ،
فقطعتُ إذ الزيادةُ في الحدود نقصان في المحدود . وربّ ربح أدى إلى
خسران ، وزيادة أفضت إلى نقصان . فنعوذ بالله ونستغفره مما جرى به
اللسان . . » .

● ثم نعرض مقتطفات من كتاب « الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة » لابن سهاك الغرناطي ، من القرن الثامن الهجري . وقد قصد المؤلف من مجموع هذه الأخبار والطرائف والمواعظ ، تقديم مادة لتثقيف المتأدبين من الأمراء وأبناء السلاطين . . يقول : « . . فجمعتُ في هذا المرسوم من نكت أخبارهم الغريبة ، ونواديرهم العجيبة ، وتوقيعاتهم المختصرة القريبة ، ما ربما يُستحسنُ مسموعه ، ويندر في كل كتاب وقوعه . أضفتُ كل شكل منها إلى شكله ، وضممتُ الفرع إلى أصله ، ضممتُ منها كل حكاية لطيفة ، وحلَّيتُه بكل طريفة ، فاجتمع منها زهرات يانعة ، لفنون الأخبار جامعة . . » .

● وولتقي مرة أخرى بابن ظفر الصقلي ليقدم لنا كتاباً آخر من كتبه النادرة ، وهو « سلوان المطاع في عدوان الأتباع » ، الذي يعد من كتب علم الاجتماع السياسي . ففيه سردُ الحكايات ، وإيراد الحكَم والوصايا والإرشادات مما يناسب سياسة الملوك ، وينتفع به القادة والرؤساء . وقد ألفه ابن ظفر سنة (٥٥٤ هـ) للقائد الصقلي أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم علي القرشي . وفيه خمس سلوانات طويلة .

ولهذا الكاتب كتب أخرى غريبة ، منها : « معاقبة الجريء على معاقبة البريء » ، و « ملح اللغة : فيما اتفق لفظه واختلف معناه » ، و « الإشارة إلى علم العبارة » .

● ولا بد من المرور بـ « مكتبة » الجلال السيوطي . . الذي لم يدع علماً إلا وكتب فيه . . وماذا عسى أن يكون نصيبنا منه في هذا الكتاب ؟

لقد لفت نظره سلوك اجتماعي خطير في المجتمع . . تشترك فيه فئات كثيرة من المجتمع .

إنه «الذوق» !

الذوق بنافريه : السليم واللئيم . . يعني قلة الذوق وتوفره . .

بين العاقل والأحمق . . من المسؤولين ، وعند عامة الشعب !

حتى الشحاذون يوجد بينهم صاحب ذوق وعديمه !

فصاحب الذوق : قليل السؤال ، كثير الاحتمال ، يرضى بالقوت ، حتى لا يصير ممقوت . . عفيف النفس نظيف ، لا يسأل الناس أكثر من رغيف !
وقليل الذوق فيهم : ثقل الدم لحوح . . يحلف أنه ما فطر . . ويقول إنه بات بلا عشاء . . يسأل وعنده ما يكفيه ويزيد ، فكأنه من نار جهنم يستزيد . . ما تكفيه كافية ، فلا شفاه الله بعافية !

. . وعلى هذا يعمد إلى تأليف مقامة طويلة بعنوان : «صاحبُ الذوق

السليم ومسلوبُ الذوق اللئيم» . . يخلط فيها العامية بالفصحى .

وقد صدرت هذه المقامة مستقلة ، ولم ترد بين مقاماته التي سبق أن

صدرت في مجلدين .

● ثم نلتقي بطبيب عصري متخصص ، فيجمع الطرائف القديمة والحديثة مما يخص الطب والأطباء والمرضى والمستشفيات ، ويسميه : «طرائف الأطباء» . ويوزع طرائفه هذه على الأطباء المتخصصين ، . فهناك طرائف مع أطباء المفاصل والعظام ، وأخرى مع طبيبات الأمراض النسائية والتوليد ، ثم مع أطباء العيون ، فأطباء الأسنان ، ثم أطباء الأطفال ، فأطباء الأذن ، ثم الجراحين ، وطرائف أخرى مع طلبة الطب ، والمراجعين . . !

● ولا تتعجب إذا فاجأك العالم المتبحر ابن قيم الجوزية بكتاب عنوانه

«الفراسة» ، على أن موضوعه الفقه الإسلامي !!

نعم ! إنه كتاب متخصص في الدعاوى القضائية والأدلة الجنائية ، وهو باب فريد ، لم أر من خصّه بمؤلف مستقل سوى هذا الإمام الجليل .

وكان سبب إقدامه على تأليف هذا الكتاب ، هو أنه عندما سُئل عن الحاكم أو الوالي يحكم بالفراصة والقرائن التي يظهر له فيها الحق والاستدلال بالأمارات ، ولا يقف على مجرد ظواهر البيئات والأحوال . . فهل ذلك صواب أم خطأ ؟

قال : فهذه مسألة كبيرة عظيمة النفع ، جليلة القدر ، إن أهملها الحاكم أو الوالي أضرار حقاً كثيراً وأقام باطلاً كبيراً ، وإن توسّع وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع في أنواع الظلم والفساد .

وإني إذ ألقت النظر إلى أهمية هذا الكتاب للقضاة والمتخصصين ، فإني أذكر أن ما أوردته هنا ، إنها هو أحداث ووقائع وقعت مع بعض القضاة ، مما يناسب الكتاب .

● ويأتي اللباييدي الدمشقي ، فيصنف كتاباً غريباً في «لطائف اللغة» . . ويقول إنه ذكر مفردات لطيفة المعاني دقيقة المباني ، يظهر فضلها وحلاوتها في التراكيب عند وضعها في المناسبات وأكمل المسانيد . . لكونها ألفاظاً منسوجة على منوال عجيب ، وآثاراً أسديت لحمتها في صنع بديع غريب .

فستعرف - مثلاً - أن للعين عيوباً كثيرة ، ولكل عيب من هذه العيوب اسم في اللغة العربية . فإذا كانت ضيقة عُرفت باسم معين ، فإن كانت غائرة مع الضيق كان لها اسم آخر ، وإذا انقلب الجفن ، أو استرخى ، أو نظر بمؤخر عينه ، أو صار كأنه ينظر إلى أنفه . . الخ . كل هذه لها أسماء معينة .

● ثم إن لنا جولةً أخرى في هذا الكتاب مع الثعالبي، الذي كان يخطط جلود الثعالب فنُسب إلى صناعته، ثم اشتغل بالأدب والتاريخ فنبغ، وصنف الكتب الكثيرة الممتعة .

نلتقي في هذه المرة مع كتابه «لطائف المعارف»، الذي جمع فيه معلومات طريفة، يصعب على متخصص جمعها إلا بالنظر في كتب متفرقة .

فهو يذكر لنا من الموافقات - مثلاً - أن أعرق الأكاسرة في الملك - وهو شيرويه - قتل أباه أبرويز، واستولى على ملكه، فلم يعيش بعده إلا ستة أشهر !

وأعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر، قتل أباه المتوكل، واستولى على الخلافة، فلم يعيش بعده إلا ستة أشهر !!

ثم يذكر أعرق الأشراف في العمى، وأعرق الناس في القتل، وأعرقهم في الغدر، وأعرقهم في الشعر .

وهو يضع أيدينا على أمر عجيب ! عندما يذكر أن بغداد - العاصمة الكبرى للخلفاء - لم يمت بها خليفة !!

● ويختار العالم المؤرخ ابن طولون الصالحي أحداثاً معينة من التاريخ، تتميز بالغرابة، وعدم التكرار غالباً . أو أن فيها عبرة وعظة بالغة، وكان لها أثر كبير وصدى واسع في ذلك الوقت، لتميزها، ولما صاحبها من عجائب ! ويسمى كتابه هذا : «اللمعات البرقية في النكت التاريخية» .

والنكتة : هي الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس .

وأحمد الله تعالى الذي وفقني لتحقيق هذا الكتاب النفيس، بعد الاطلاع عليه وعرض فقرات منه في هذا الكتاب .

● وإذا كانت كتب «الأوائل» غريبة في بابها أصلاً، فقد كان لا بد من اختيار فقرات فريدة منها، غير ما هو معروف ومتداول بين المثقفين. وقد اخترنا من بينها كتاب: «محاسن الوسائل في معرفة الأوائل» لفيقه، محدّث، عالم، كثير الطواف، محب للأسفار. وكان من نبهاء الطلبة وفضلاء الشباب. إنه محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي المتوفى سنة ٧٦٩هـ.

وقد عدّ المؤلف علم «الأوائل» أحد العلوم الإسلامية المهمة؛ لأنه يضطر صاحبه إلى متابعة الموضوعات، ومعرفة أوائل الأشياء. ولا شك في أن متبع هذا العلم يلقي عناء كبيراً.

قال في مقدمته: وكنت ممن حُبب إليه مطالعة المصنفات، ومراجعة المجاميع والمؤلفات، من المختصرات والمطولات، في السنن والآثار، والآداب والأشعار والأمثال، والقصاص المشهورة، والمواعظ والحكم المأثورة، وما هو داخل في مسمى العلوم من اللائح المنظومة والجواهر المنشورة، على اختلاف أنواعها، وائتلاف أوضاعها. وكان ذلك من صغري صناعتي، وتحصيل الكتب بضاعتي.

● ويطلع علينا قاض وأديب مصري حديث بكتاب جمع مواده في خمس عشرة سنة، عندما كان قاضياً بدمياط. وإذا كان عنوانه لا يوحي بأنه نادر: «من أخلاق العلماء»، فإن محتواه - في معظمه - جليل ونادر، حيث يرصد «تصرفات» العلماء الأعلام. . هذه النخبة القيادية المربية الرائدة، التي تعرف ماذا تقول حين تتكلم، وماذا تقصد عندما تتصرف وتعمل.

والكاتب يركز على ما فيه درس وعبرة، مما يكون فيه أثر على الأجيال المسلمة، وبخاصة التي تهتم بالعلم وشؤون القضاء والدولة!

وقد مات مؤلفه «محمد سليمان عنّارة» بعد صدور كتابه هذا بستين :
١٣٥٥هـ (١).

● أما أحمد سعيد الجيلاني، الذي كان موظفاً في الدائرة السننية بمصر، فقد صدر له كتاب منذ قرن كامل (١٣١٤هـ) سماه : «نديم الأديب» . . قسمه إلى عشرة أقسام، كل قسم عشر حكايات، وكل حكاية في موضوع . . ثم أبي إلا أن يذكر هذه الموضوعات العشرة في ثلاثة أبيات، ليثبت أنه شاعر - وقد كان شاعراً، وله ديوان - فقال :

- (١) مواعظ (٢) آداب (٣) وتاريخ (٤) حكمة (٥) فكاهات إن تُتلى تروق لدى السمع
(٦) تراجع قوم حيث يبدو حديثهم نجد صنع هذا الدهر من أعجب الصنع
(٧) غرام ويتلوه (٨) تراجع نسوة (٩) عوائد (١٠) أشياء منوعة الوضع

(١) وقد ملكتني حيرة وأنا أقرأ لهذا الكاتب، من حب للعلم والعلماء، والتفاني في مدحهم والثناء على أفعالهم - وهو إلى جانب علمه أحد أبناء علماء الأزهر، وكان يلبس لباس العلماء - ثم ما قاله عن السلطان الأيوبي صلاح الدين، البطل المجاهد، الذي خلص القدس من البرائن الصليبية الحاقدة . . حيث عاتبه، بل جاهر في هجائه؛ لأنه قضى على «الحضارة الفاطمية» !! يقول في كتابه هذا ص ٢٣٥ : «الشاعر عمارة اليميني سجل مرثيته المؤثرة البليغة في المفاخر الفاطمية، وقد كتبها بدمه الذي أهدره السلطان صلاح الدين فيما أهدره من دماء الأوفياء لتلك الدولة التي وفّت للحضارة أعظم الوفاء، والقصيدة مشهورة، ومطلعها :

رَمَيْتَ يَا دَهْرُ كَفَّ الْمَجْدَ بِالشَّلَلِ وَجِيَدَهُ بَعْدَ حُسْنِ الْحَلِيِّ بِالْعَطَلِ

وإني أكُلُّ حساب السلطان صلاح الدين إلى رب السماء . فقد مرَّ بي زمن وأنا أوازن بين حسنات ذلك السلطان في حروبه الصليبية، وبين سيئاته في تخريب المملكة الفاطمية . وهممت أن أتفرّد للحكم وكتابة أسبابه، لولا أن الزمن مضى وانقضى، ولا حاجة بنا إلى نبش القبور» !! هذا ما قاله ذلك الكاتب في صلاح الدين الذي هدم الخلافة الفاطمية وأعاد الخلافة السُنيّة ! لقد قلتُ في أكثر من كتاب صدر لي . . إن العلم الحقيقي هو الذي يقود إلى تقوى الله ويؤدي إلى خشيته . . فلا يهولنك علم عالم، ولا يغرّبك تبخُّره في العلم، وحفظه لقواعد ومتون، ما لم تر في فعله الإخلاص، وفي نشاطه الخير والبركة . ولا تعجب - إذا - من فسق عالم وجراته على المعصية، وخيانتته للأمانة . . ويغفر الله لمن اجتهد - بإخلاص - فأخطأ .

ويأتي بعد عرض هذه الكتب مختارات من نوادر متفرقة من الكتب والدوريات، ومعظمها من صحف ومجلات سيارة، كنتُ قد اهتمتُ بجمعها، في فترة زمنية محددة . . ثم انتهيت . فاخترتُ من بينها ما يناسب منهج الكتاب، وما يدل على الطرافة أو الإبداع، من الأمور الغريبة النادرة - وفي كثير منها عبر -، وما يدلُّ على عجائب قدرة الله عزَّ وجل في هذا الكون . وقد حَلَّيْتُها ببعض الصور المناسبة، وتركتُ الناظر الشاذ .

وستعرف من خلال هذه المختارات - عزيزي القارئ - أن هناك بغلاً - أكرمك الله - قد مُنح درجة دكتوراه فخرية من جامعة عريقة، بتوقيع أكبر المسؤولين فيها، وبشكل جاد لا مزاح فيه !!

بينما كاتب هذه السطور حصل على درجة الماجستير منذ عام ١٤٠٥ هـ بدرجة تؤهله للقبول في الدكتوراه في جميع الجامعات . . ولكنه حاول في جامعات عربية وإسلامية لتحصيلها مدة سبع سنوات، فلم يفلح ! ويتوقع - بعد موازنة وترجيح - أن أولى خطط الدكتوراه التي قدمها قد بيعت ! كما أن خطة أخرى له قد سُرقت . ولديه خطاب رسمي من الجامعة بهذه الإفادة، من رئيس القسم !

وخطة ثالثة له، مع جميع الأوراق اللازمة لذلك، ورسالة الماجستير «الضخمة»، كلها قد ضاعت، بعد وصولها إلى القسم المخصص . ووصله أيضاً خطاب بهذا الشأن !!

وعندما حَصَلَ أحد زملائه في الدراسة درجة الدكتوراه، وتعيَّن في إدارة الكلية التي تخرَّجاً منها، ومن ثم أصبح وكيلاً للدراسات العليا والبحث العلمي فيها، كان فرحه غامراً؛ لأنه كان صديقاً طيباً ومحبباً، ويعرف قصة كفاحه من أجل هذه الدكتوراه .

لكن المسكين اصطدم بـ «لا مبالاة» غريبة ، وعدم اهتمام ، بل عدم الرد على طلبه أصلاً ! ومن ثم عدم الاعتذار، بل حتى كلمة طيبة !!
وتمنى أن يكون محتفظاً بذكرياته الطيبة معه ، ولم يتقدم إليه بشيء .
وقد تكوّن لدى صاحب هذه السطور ملف ضخّم في مدة هذه السنوات ، يصلح أن يكون كتاباً «أظرف» من هذا الذي بين يديك ، يحكي قصة أليمة . . . هي عن مأساة التعليم في بلادنا العربية والإسلامية ، وما هو عليه حاله الذي لا يحسده عليه أحد . . بل يُبكي عليه بالدم بدل الدمع !
وأظنك تعرف - عزيزي القارئ - مناسبة ما ذكرته سابقاً . . ولك أن توازن بين المناسبة وما جرّته من شعجون .
ومعذرة إن مال بك خطُّ الكتاب إلى ما لا يؤنسك .

* * *

ويأتي هذا الكتاب بعد كتابين آخرين لي في هذا المجال ، هما : «جولة بين كتب غريبة» ، و«كتب نادرة من التراث الإسلامي» .
أرجو أن تكون هذه السلسلة من الأدب الإسلامي الممتع الهادف ، وأدعو الله الكريم أن ينفع بها نفوساً ، ويفرح بها قلوباً ، ويجعلها من قبيل إدخال السرور على المؤمن ، ولا يجرمني الأجر . إنه سميع مجيب .

محمد خير يوسف

١٤١٤/٨/٢٢ هـ

أخبار سيبويه المصري (*) لابن زولاق

ليس هذا بسيبويه النحوي المشهور ! بل هو أحد «عقلاء المجانين» ،
الذي لولا المؤرخ المصري «ابن زولاق» لضاعت أخباره . وقد استدرك هذا
المؤرخ على مجموعة من الكتّاب بأنهم ألقوا ، أو رووا أخبار «عقلاء المجانين» ؛
لأنهم كانوا بالعراق ، لكنهم لم يرووا شيئاً من أخبار «سيبويه المصري» الذي
لا يقل عن هؤلاء «العقلاء» أو «المجانين» أهمية ! بل استفاضت أخباره مع
الأمراء والوزراء والعلماء في مصر في القرن الرابع الهجري !

وهو محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي الصيرفي ، المعروف بسيبويه .
وكنيته أبو بكر .

وُلِدَ بمصر سنة ٢٨٤هـ ، وتوفي بها سنة ٣٥٨هـ قبل دخول القائد جوهر
إلى مصر بستة أشهر . وتأسف إذ لم يره لما ذُكرت له أخباره .
وكان أبوه شيخاً صيرفياً يكنى أبا عمران .

(*) أخبار سيبويه المصري : وهو غير سيبويه النحوي ، تأليف الحسن بن زولاق ؛ قام بنقله
ونشره وكتابة تراجمه محمد إبراهيم أسعد ، حسين الديب - القاهرة : مكتبة الآداب ،
١٣٥٢هـ ، ٨٨ ص .

والمؤلف مؤرخ مصري ، ولي المظالم في أيام الفاطميين بمصر ، وكان يُظهر التشيع لهم . ت ٣٨٧هـ .
والكتاب فيه أخطاء كثيرة . . حيث اعتمد فيه المحققان على نسخة قديمة ، رجح الكاتب المعروف
محمد عبد الله عنان أن تكون بخط مؤلفه ابن زولاق .
والمحقق الأول كان مدرساً بالمدارس الابتدائية ، والأخر ضابط بوليس !! وقد وقع في أخطاء
مضحكة أثناء تحقيقها الكتاب . . ولم أشر إليها لثلاث تكون شامة . . وقد أفضيا إلى ربهما .

وقد ذكر ابن زولاق أن سيبويه هذا كان يحفظ القرآن الكريم ، ويعلم كثيراً من معانيه وقراءاته وغريبه وإعراجه وأحكامه . وكان عالماً بالحديث وبغريبه ومعانيه وبالرواية . ويعرف من النحو وغرائب اللغة ما كان سبباً في أن يلقب بـ «سيبويه» . وكان عارفاً بالتاريخ والنوادر والأشعار . وكان شافعي المذهب ، وزاهداً حافظاً لأقوال الزهد ، لكنه كان معتزلياً متعصباً !
وقد كتب ابن زولاق عن حياته ؛ لأنه كان صديقاً له ، ومصاحباً إياه في كثير من الأحيان .

أما عن سبب ما أصاب عقله ، فذكر أن أكثر الناس يقولون إنه شرب حَبَّ البلاذر (١) . وقيل إنه أصيب بالسوداء (٢) .

ولم يكن اختلاط عقله قبيحاً ، فلم يكن يستعمل الألفاظ النابية ، إنما كان انتهازاً وسجعاً يولِّده ، فيه قسوة وجرح . وكان المسؤولون يخافون من تجريجه خشية أن تنتشر ألفاظه «السجعية» بين الناس !

قال المؤلف : سمعتُ من يُخبر عن سيبويه أن زوجته قالت : إنما كان يهيج إذا لم يأكل اللحم ، وإلا فإذا أكل شيئاً دسماً سَكَنَ ، وقَلَّ كلامه ، وإذا لم يكن له من يهيجه لم يخرج علمه !

وقال : إنما كان يظهر جوهر سيبويه ويحسن سَجْعَه إذا حمي وكثر صياحه !

قال : وكان يقابل منزله رجل يكني أبا عبد الله ، وكان سيبويه يخاطبه من النافذة ويصيح ، ويقف الناس يسمعون الكلام ويكتبون ! ولو كان أبو عبد الله يكتب ويحفظ ما يخاطبه به ، لحصل له علم عظيم !!

(١) كان يزعم بعضهم أن هذا الحَب يساعد على حدة الذكاء ، لكن تبين أن تناوله يسبب الجنون !

(٢) وهو داء يصيب الإنسان . . فيه صفرة في اللون ، وخضرة في الظفر .

● وكانت له جارية تخدمه اسمها «مختارة». فجلس في منزله يأكل ، فجاءت فراريخ للجارية ، فلقطت مما بين يديه ، وجاءت حمامات ، فلقطت مما بين يديه ، وجاءت سنانير تموء من حوله ، فصاح سيبويه : يا مختارة ، نحي فراريحك النقارة ، وحماماتك الطيارة ، وقططك الهرة ، يا غيارة يا دؤارة !

● وكان يطوف على حمارة يوم الجمعة - وكان أعرج - فرأى أنه قد فُسح مكان واسع للإخشيد لينزل إلى صلاة الجمعة ، وقد اجتمع له الناس ، والزحمة في كل مكان ، فصاح سيبويه : ما هذه الأشباح الواقفة ، والتماثيل العاكفة ، سلط عليهم قاصفة ، يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، وتغلي قلوبهم واجفة . فقال له رجل : هو الإخشيد ينزل إلى الصلاة . فقال : هذا للأصلع البطين ؟ المسمن البدين ؟ قطع الله منه الوتين ، ولا سلك به ذات اليمين ، أما كان يكفيه صاحب ولا صاحبان ، ولا حاجب ولا حاجبان ، ولا تابع ولا تابعان ؟ لا قبل الله له صلاة ، ولا قرّب له زكاة ، وعمّر بجنته الفلاة !

● وكان سائراً على حمارة حتى لقي المحتسب - مراقب في الأسواق - والحرس بين يديه ، فقال : ما هذه الأحراس يا أنجاس ؟ والله ما ثمّ حقُّ أقمتموه ، ولا سعر أصلحتموه ، ولا جانٍ أدبتموه ، ولا ذو حسبٍ وقّرتموه ، وما هي إلا أجراسٌ تُسمع ، لباطل تُوضع ، وأقفاء تُصنع . . لا حفظ الله من جعلك محتسباً ، ولا رحم لك ولا له أمأً ولا أبأً ، وسلط عليك وعليه من يوجعكما أدباً .

● قال سيبويه المصري : مدح الناس المتنبّي لأنه القائل :
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بدُّ

● قال : وهذا كلام فاسد؛ لأن الصداقة ضدُّ العداوة، والصداقة مأخوذة من الصدق، ولو أنه قال :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من مداراته بدُّ لكان أحسن وأجود .

● كان بمصر رجل من التجار يُعرف بأبي نعيم الجرجاني، وكان يسكن في زقاق «عفان» فركب إليه فاتك الإخشيدى - المعروف بالمجنون - في موكب . وانصرف وبين يديه حُجَّابُه، وبين يديه رِجَّالته، وخلفه أخوه مبشر، وكتبه ابن العزمزم وجماعة، فرآه سيويه فصاح : طرقُ متضايقة متطابقة، وخيل متسابقة، عليها عمالقة، فأرسل الله عليهم صاعقة .

● ومَرَّ بأحد الأزقة - ويبدو أنه لم يكن يجب أهله - فرأى البنَّائين فيه فقال : ما هذا ؟ لا عمَّر الله لهم داراً، ولا ثبت لهم قراراً، وأشعلها ناراً، ولا أطول لهم أعماراً، وحفَّها بالدمار والعار والنار وسوء الجوار !

● قال المؤلف : ولقيني سيويه يوماً عند دار الشمشاطي عند العشاء، فقال لي : إلى أين ؟ فقلت : أريد الجامع، فقال : أريد حمارك هذا أركبه إلى منزلي . فنزلت فركبه، وجلست في المسجد حتى عاد الحمار !

● ولما مات كافور، وبويع لأحمد بن علي بن الإخشيد، قيل لسيويه في اليوم الذي جلس أحمد بن علي بذلك - وهو طفل ابن إحدى عشرة سنة - فقال : أما هذا من العجائب، ومن عظام المصائب، أن يقعد في أعلى المراتب، ويُؤهَّل للنوائب، صبيٌّ غير بالغ ولا آيب، ولا قارئ ولا كاتب،

ولا حامل سيف ولا ضارب، لو سُمع ضراطه في القصرية لظن
أبا دياب (١). لقد خَسَّ هذا الأمر وهان، حتى تلاعب به النسوان،
وئُدب له الصبيان، فالله على كل حال المستعان.

● ورأى سيويه جعفر بن الفضل بن الفرات بعد موت كافور وقد ركب
في موكب عظيم فقال: ما بال أبي الفضل قد جمع كُتَّابه، ولفَّق أصحابه،
وحشد بين يديه حُجَّابه، وشمر أنفه، وساق العساكر خلفه؟! أبلَّغَهُ أن
الإسلام طُرِقَ فخرج ينصره؟ أو أن ركن الكعبة سُرق فخرج لهذا الأمر يُنكره؟
فقال له رجل: هو اليوم صاحب الأمر، ومدبر الدولة.

فقال: يا عجبا! أليس بالأمس نهب الأتراك داره، ودكدكوا قراره،
وأظهروا عواره، حتى أصبح عنهم مستتراً، ومنهم متحجراً، وهم إذ ذاك
يدعونه وزيراً، صيَّروه اليوم عليهم أميراً؟! وا عجبي فيهم! كيف رضوه
ونصبوه؟ بل عجبي منه كيف تولى أمرهم، وأمن غدرهم!؟

● وجاء سيويه يوماً إلى أبي جعفر مسلم الحسيني، فرحب به أبو جعفر،
فقال سيويه: جئتُ يا أيها الشريف في حاجة. أريد قُبَّةً على بغلٍ نقلٍ
يحمل جميع آلة السفر، من وطاء وعطاء. . . فإني خارج في غدٍ إلى مسجد
موسى أصلي فيه وأدعو.

فقال له أبو جعفر: السمع والطاعة. . . عندما تفتح باب دارك غداً
ستجد جميع ما طلبت أمام الباب.

ثم دعا بالفرّاشين، فأخذوا فيما يحتاجون إليه.

(١) الديدب: حمار الوحش.

فقال سيبويه لأبي جعفر : والله أيها الشريف ما أخرج إلا للصلاة والدعاء للمسلمين أن يريهم الله من هذا الأسود الخصي - يعني كافر الإخشيدي - ، فقد كدّر الحياة ، وأعاب الولاية ، وأفسد الصلاة ، وما الله عنه بساه .

ثم قام منصرفاً ، وبقي أبو جعفر مطرقاً مفكراً . ثم قال في مجلسه : ألا ترون أي بلية أنا فيها ؟ فإن أرسلت إليه بما طلب خفت من كافر ، وإن لم أرسل إليه وقعت في لسانه وفي سبّه .

ويمرّ تاجر - يعرف بابن البحري - بأبي جعفر ، فيجلس عنده ، فيراه مشغول القلب ، قلقاً ! فسأله عما به ، فقصّ عليه الخبر .

فقال له التاجر : أنا عندي حيلة للتخلص من هذه البلية ، بل سأدعه يأتي إليك ويطلب منك ألا ترسل إليه شيئاً ! شرط أن تعطيني خمسمائة دينار .

فقال أبو جعفر : والله لا أملك في خزانتي سوى مائتين ، وهي لك .

وخرج التاجر يطلب سيبويه ، فوجده في مسجد ابن عمروس . فجلس إليه ، وبقي ساكناً يتنفس . فقال له سيبويه : مالك ؟ قال : خيراً .

ثم عاد يتنفس ، فقال له : مالك ؟ مات لك ولد ؟ أو تفرّق لك عدد ؟ أم أصبت في مالك ، أو في عقلك .

فقال : أسألك الدعاء على «سلامة الشَّرابي» ، فإنه أخذ مالي ، وهتكني ، وأفقرني - وكان سلامة منصفاً في المعاملة - .

فقال له سيبويه : كفاك الله وأحسن إليك وخلصك .

فقال له التاجر : دعوتُ عليه في كل مسجد ولكن لم يُصبه شيء ! فقيل لي : إن مسجد موسى يُستجاب فيه الدعاء .

فقال له سيبويه : حقًا كذا قيل لي .

قال التاجر : لكنني بعد أن استعرت دابةً لأركبها وأذهب إلى ذلك المسجد
خوِّفوني !

قال سيبويه : من أي شيء خوِّفت ؟ !

قال : في الطريق قومٌ من بني هلال يقطعون على الناس الطريق ،
ويأخذون كل شيء منهم ، ويضربونهم ! وقد عملوا هذا مع جماعة !
فقال له سيبويه : أسألك بالله يا ابن البحري أن تبليَّ أبا جعفر بأن لا
حاجة لي فيما سألته .

قال التاجر : وأي شيء سألته ؟

قال : طلبت منه تأمين حاجة معينة !

قال التاجر : والله أخشى أن لا يقبل مني ولا يسمع كلامي ، ولكن ما
رأيتك أن تقوم أنت إليه وتطلب منه ذلك ؟

فقام سيبويه ، وذهب إلى أبي جعفر ، وقال له : أرجو أن تؤخر ما سألتك
أيديك الله حتى أرى رأيي .

فقال له أبو جعفر : ولكن قد فرغنا مما طلبت !

قال سيبويه : جُزيت خيراً ، وكُفيت شراً ، ولا عَدَمَك أولياؤك .

وانصرف . وشكر أبو جعفر فعلَ التاجر !!

أدب الجن (*)

لمحمد عبد الرحيم

يعتقد البعض أن ليس للجن أي شعر، وإنما هو من واقع الخيال تَمَثَّل على لسان الشعراء فقط . وهذا يدحضه أئمة كبار، أمثال : ابن كثير، وابن الجوزي، والشبلي، وابن قيم الجوزية، وغيرهم . وقد ثَبَّت العلماء قصص الجن وأشعارهم في كتبهم .

وقد طالعنا في الآونة الأخيرة كتب بعض الأدباء والمؤلفين تحمل عناوين تشكك في وجود الجن ! ولكنهم حقيقة وليسوا خيالاً .

لهذه الدوافع وغيرها، بدأت بجمع موضوعات الكتاب من بطون أمهات الكتب، مستفيداً من خبرتي العملية في هذا المجال .

وقد قسمت الكتاب إلى ستة فصول :

- الجن في القرآن الكريم .

- الجن في الحديث النبوي الشريف .

(*) أدب الجن : أشعارهم وأخبارهم / محمد عبد الرحيم . دمشق : دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ، ١٧٣ ص .

والكتاب معاصر، صدر له : شرح ديوان امرئ القيس، شرح ديوان حاتم الطائي، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، الحجاج بن يوسف وقصصه مع الخلفاء والأمراء والعلماء والنساء والعامّة، الأوائل من الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي، قصص وأخبار من رأى سيد الأبرار ﷺ في المنام، ٧٣ فائدة في ذكر الله عز وجل، المصلوبون في التاريخ، أنت تسأل والإسلام يجيب للشعراوي (إعداد)، أسئلة وأجوبة : اختر معلوماتك، أخبار الطراف والمتهاجين لابن الجوزي (تحقيق) .

- الجن في العصر الجاهلي : ضم قصص الجن وأشعارهم وما جرى معهم في العصر الجاهلي .

- الجن في صدر الإسلام : وهو كسابقه فيه قصص الجن وأشعارهم في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

- الجن في العصر الأموي .

- الجن في العصر العباسي .

● يقال للشعراء كلاب الجن . قال عمرو بن كلثوم :

وقد هرت كلابُ الجن منا وسَدَيْنَا قِتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
وذلك لزعمهم أن الجن تلقي الشعر على أفواههم . وسمّوا الملقى :
تابعه . قال جرير :

إني ليُلقي عليّ الشعر مكتهل من الشياطين إبليس الأباليس !
وسمّوا توابعهم بأعلام :

فشيطان الأعشى اسمه : مسحل بن أثانة . وعمرو بن قطن : جهنم ،
ولبشار بن برد : شتقناق ، وللنابغة الذبياني : هاذر بن ماذر ، ولامرئ
القيس : لافظ بن لاحظ ، ولعبيد بن الأبرص : هبيد بن الصلادم ،
وللكميت : مدرك بن واغم ، وللبشير بن أبي خازم : هبيد ، ولزهير بن أبي
سلمى : زهير .

● حدث نعمان بن سهل الحراني قال : بعث عمر بن الخطاب رضي الله
عنه رجلاً إلى البادية ، فرأى ظبية مصرورة ، (١) فطاردها حتى أخذها ، فإذا
رجل من الجن يقول :

(١) من الصر، وهو البرد الشديد .

يا صاحب الكنانة المكسوره خلّ سبيل الظبيّة المصروه
فإنها لصبيّة مضروره غاب أبوهم غيبة مذكوره

في كورة لا بُوركت من كوره (١)

قال القاضي يحيى بن أكثم : دخلت على هارون الرشيد وهو مطرق
مفكر، فقال لي الرشيد : أتعرف قائل هذا البيت :

الخَيْرُ أَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أُوعِيَتْ مِنْ زَادِ

يحيى : يا أمير المؤمنين ، إن لهذا البيت شأنًا مع عبيد بن الأبرص (٢)!

الرشيد : حدثني عنه .

يحيى : يا أمير المؤمنين ، حدّث عبيد قال : كنت في بعض السنين
حاجًا ، فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر ، سمعت ضجّة عظيمة في
القافلة ألحقت أولها بآخرها ، فسألت عن القصة .

فقال رجل من القوم : تقدّم ترّ ما بالناس .

فتقدم عبيد إلى أول القافلة ، فإذا بشجاع (٣) أسود فاغبر فاه كالجدع ، وهو
ينخور كما ينخور الثور ، ويرغو كرغاء البعير ، فهاله أمره ، وبقي لا يهتدي إلى ما
يصنع ، فعدلت القافلة عن طريقه إلى ناحية أخرى ، فعارضهم ثانية ، ولم
يجسر أحد من القوم أن يقربه .

(١) الكورة : المدينة أو الناحية . ومصدره : آكام المرجان في أحكام الجان ص ١٤٠ .

(٢) شاعر ، من دهة الجاهلية وحكمائها . عاصر امرأ القيس ، وله معه مناظرات ومناقضات . عمر
طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر .

(٣) الشجاع : الذكر من الحيّات .

فقال عبيد : أفدي هذا العالم بنفسى ، وأتقرب إلى الله تعالى بخلاص هذه القافلة منه .

فأخذ قربة من الماء ، فتقلدها ، وسل سيفه ، فلما رآه قرب منه سكن ، وبقي عبيد بن الأبرص متوقفاً منه وثبةً يتلعه فيها ، فلما رأى القربة فتح فاه ، فجعل فم القربة في فيه ، وصب الماء كما يُصبُّ في الإناء . فلما فرغت القربة تسيب^(١) في الرمل ومضى ، فتعجب من تعرُّضه لهم وانصرافه عنهم من غير سوء لحقهم ، ومضوا لحجَّهم . ثم عادوا في طريقهم ذلك ، وحطوا في منزلهم ذلك ، في ليلة مظلمة مُدْهِمَةٌ ، فأخذ عبيد شيئاً من الماء ، وعدل إلى ناحية عن الطريق ، فأخذت عينه ، فنام مكانه ، فلما استيقظ من النوم لم يجد للقافلة حساً ، وقد ارتحلوا ، وبقي منفرداً لم يرَ أحداً ، ولم يهتد إلى ما يفعله ، وأخذته الحيرة ، وجعل يضطرب ، وإذا بصوت هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول :

يا أَيُّهَا الشَّخْصُ المِضْلُ مَرَكَبُهُ مَا عِنْدَهُ مِنْ ذِي رِشَادٍ يَصْحَبُهُ
دُونَكَ هَذَا البَكْرُ مَنَا تَرَكَبُهُ وَبَكَرُكَ المِيمُونُ حَقًّا تَمَجِّنَبُهُ^(٢)
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ زَالَ غَيْهَبُهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ فِي الفَلا تَسِيْبُهُ

فنظر عبيد ، فإذا بِبَكْرٍ قائم عنده ، وبَكَرُهُ إلى جانبه ، فأناخه وركبه ، وتجنَّب بكره ، فلما سار قدر عشرة أميال لاحت له القافلة ، وانفجر الفجر ، ووقف البكر ، فعلم عبيد أنه قد حان نزوله ، فتحول إلى البكر وقال :

(١) تسيب : جرى ومشى مسرعاً .

(٢) البكر : الفتى من الإبل .

يَا أَيُّهَا الْبَكْرُ قَدْ أَنْجَيْتَ مِنْ كَرْبٍ
أَلَا فَخَبَّرَنِي بِإِلَهِ خَالِقِنَا
وَأَرْجِعْ حَمِيدًا فَقَدْ بَلَّغْتَنَا مِنْنَا
فالتفت البكر إليه ، وهو يقول :

أَنَا الشُّجَاعُ الَّذِي أَلْفَيْتَنِي رَمِضًا
فَجُدَّتْ بِالمَاءِ لَمَّا صَنَّ حَامِلُهُ
الْخَيْرُ أَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
هَذَا جِرَاؤُكَ مِنَّا لَا يُؤْمَنُ بِهِ
واللهُ يَكْشِفُ ضُرَّ الحَاثِرِ الصَّادِي (٢)
نِصْفَ النَّهَارِ عَلَى الرَّمِضَاءِ فِي الوَادِي
وَالشَّرُّ أُخْبِتُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ
لَكَ الْجَمِيلِ عَلَيْنَا إِنَّكَ الْبَادِي
فعجب الرشيد من قوله ، وأمر بالقصة والأبيات فكتبت ، وقال : لا
يضيع المعروف أين وضع (٣) !

● عن جعفر بن محمد بن مسعدة قال :

كنت في سامراء بعد قتل المتوكل ، فأريت في منامي هاتفاً يقول لي :

لَقَدْ خَلَاؤُكَ وَأَنْصَدَعُوا
وَلَمْ يُؤْفُوا بِعَهْدِهِمْ
أَلَا يَا مَعْشَرَ المَوْتَى
لِنَطْلِبَهُمَا فَإِنَّ القُلُوبَ
وَلَمْ نَعْرِفْ لَكُمْ خَبْرًا
فَمَا أَلُوهَا وَمَا رَبَعُوا
فَتَبَّأً لِلَّذِي صَنَعُوا
إِلَى مَنْ كَتَمْتُمْ تَقَعُوا
سَبَّ قَدْ أودَى بِهِ وَجَعُ
فَقَلْبِي حَشُوهُ الْجَزَعُ

(١) المدلج : السائر في الليل .

(٢) الرِّمِضُ : الذي حَرَّ جوفه من شدة العطش . الحَاثِرُ : المضطرب . الصَّادِي : العطش .

(٣) مصدره : الأغاني ١٩ / ٨٦ ، المستطرف في كل فن مستظرف ١ / ٢٤٤ ، قصص العرب ٤ / ٣٦٩ ،
المختار من نوادر الأخبار (مخطوط) .

فبكى جعفر في نومه أشد البكاء ، وانتبه وقد حفظ الأبيات ، فقال له
صاحب كان معه : ما قصتك ؟ ما زلت سائر ليلتك تبكي في نومك !
قال جعفر : فرويت له قصتي مع الهاتف (١).

(١) مصدر هذه القصة كتاب آكام المرجان في أخبار الجان ص ١٥١ .

الإرشاد لمن طلب الرشاد (*) لنائيني

- سأل بعض الأنبياء ربّه تعالى أن يكفّ عنه ألسنة الناس، فأوحى إليه : خَصْلَةٌ لم أجعلها لنفسي فكيف أجعلها لك !؟
- قيل لرجل : صف لنا التقوى .
فقال : إذا دخلت أرضاً فيها شوك كيف كنت تعمل ؟
فقال : أتوقى وأتحرز.
قال : فافعل في الدنيا كذلك ، فهي التقوى .
- قال رجل : اللهم احفظني من صديقي . فقيل له في سبب ذلك ،
فقال : إني أتحرز من العدو، ولا أقدر أن أتحرز من الصديق .
- قال أحد العارفين : إياك أن تكون عدواً لإبليس في العلانية، وصديقاً
له في السر !
- العالم يعرف الجاهل ؛ لأنه كان جاهلاً، والجاهل لا يعرف العالم ؛ لأنه
لم يكن عالماً !
- قال محمد بن يحيى مؤدب المأمون : صليت يوماً قاعداً لمرض أصابني ،
فأخطأ المأمون، فقامت لأضربه، فقال : أيها الشيخ . تطيع الله قاعداً
وتعصيه قائماً ؟!

(*) الإرشاد لمن طلب الرشاد / محمد حسن نائيني - بيروت : دار الصادق، د.ت، ٢٠٦ ص .
والكتاب مجموعة منتقاة من المواعظ والحكم والحكايات والطرائف والأخبار النادرة، جمعها المؤلف
من مصادر متعددة .
ومؤلفه كاتب معاصر، من كربلاء . . . وإنما أخذت من كتابه ما هو مفيد - وهو كثير - و . . .
«الحكمة ضالة المؤمن . . .» .

- قال شخص لآخر : جئتك في حويجة : فقال : اقصد بها رُجياً !

- سمع بعض الزهاد شخصاً يقول : أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة ؟ فقال له الزاهد : يا هذا اقلب كلامك ، وضع يدك على من شئت !

- دخل بشار بن برد على المهدي ، وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري ، فأنشد قصيدة يمدحه بها . فلما أتمها قال له يزيد : ما صناعتك أيها الشيخ ؟ فقال بشار : أثقب اللؤلؤ . فقال له المهدي : أتهزأ بخالي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما يكون جوابي له وهو يراني شيخاً أعمى ينشد شعراً ؟ فضحك المهدي وأجازه !

- تكلم الناس عند معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - في يزيد ابنه ، إذ أخذ له البيعة ، وسكت الأحنف . فقال له معاوية : تكلم يا أبا بحر ! فقال : أخافك إن صدقتُ ، وأخاف الله إن كذبتُ !

- قال محمد بن شبيب غلام النظام : دخلتُ إلى دار الأمير بالبصرة ، وأرسلت حماري . فأخذه الصبي يلعب عليه ، فقلت له : دعه ، فقال : إني أحفظه لك ! فقلت : إني لا أريد حفظه ، قال : يضيع ، قلت : لا أبالي بضيعه ، فقال : إن كنت لا تبالي بضيعه فهبه لي ! فانقطعت من كلامه !

- قال أردشير بن بابل : أربعة تحتاج إلى أربعة : الحسب إلى الأدب ، والسرور إلى الأمن ، والقرباة إلى المودة ، والعقل إلى التجربة !

- مرَّ عيسى عليه السلام بقوم ، فشتموه ! فكلما قالوا شيئاً ، قال خيراً ! فقال له أحد الحواريين : كلما زادوك شيئاً زدتهم خيراً ، كأنك تغريهم بنفسك ، وتحثهم على شتمك ؟ ! فقال : كل إنسان يعطي مما عنده !

- أراد رجل تطليق زوجته ، فقيل : ما يسوؤك منها ؟ قال : العاقل لا يهتك ستر زوجته . فلما طلقها قيل له : لِمَ طلقتهما ؟ قال : مالي وللكلام فيمن صارت أجنبية ؟

- قال بعض الحكماء : إذا أردت أن تعرف من أين حصّل الرجل المال ، فانظر في أي شيء ينفقه ؟

- سئل فيثاغورس : من الذي يسلم من معاداة الناس ؟ قال : من لم يظهر منه خير ولا شر ! قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه إن ظهر منه خير عاداه الأشرار، وإن ظهر منه شر عاداه الأخيار !

- قال أحد العارفين : لا يغرنك أربعة : إكرام الملوك ، وضحك العدو ، وتملُّق النساء ، وحرُّ الشتاء !

- كتمان الأسرار يدلُّ على جواهر الرجال ، وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها ، فلا خير في إنسان لا يملك سره !

- قال الفضيل بن عياض : ثلاثة لا تلومونهم على الغضب : المريض ، والصائم ، والمسافر .

- قال الحسن بن علي رضي الله عنه لرجل : كيف طلبك للدينيا ؟ قال : شديد ! قال : فهل أدركت منها ما تريد ؟ قال : لا . قال : فهذه التي تطلبها لم تدرك منها ما تريد ، فكيف بالتي لم تطلبها ؟ (يعني الآخرة) .

- قال أحد العارفين : الدنيا دار خراب ، وأخرُبُ منها قلب من يعمرها ، والآخرة دار عمران ، وأعمُرُ منها قلب من يطلبها .

- جاء رجل إلى سليمان عليه السلام وقال : إن لي جيراناً يسرقون إوزي ولا أعرف من هو من بينهم . فنادى سليمان عليه السلام : الصلاة جامعة . ثم خطب فيهم ، وقال في خطبته : إن أحدكم ليسرق إوزاً جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فمسح الرجل على رأسه ! فقال سليمان عليه السلام : خذوه ، فهو صاحبكم !

- قال الضحاک بن مزاحم لنصراني : لو أسلمت ؟ فقال : ما زلتُ محباً للإسلام إلا أنه يمنعني حبُّ الخمر ! فقال : لا بأس ، أسلم واشربها . فلما أسلم قال له : أسلمت ، وحيثُ إن شربتَ حديدناك ، وإن ارتددت قتلناك ! فحسُن إسلامه !

- قال بعض الحكماء : العاقل من نفسه في تعب والناس منه في راحة ، والأحمق من نفسه في راحة والناس منه في تعب !

- حكى عبد الرحمن الشامي قال : رأيت العُسس ليلاً رجلاً ، فهرب إلى مكان ، فتبعوه إلى مكان خراب ، فأخذوه ، وإذا هناك قتيل ! فقالوا : أنت الذي قتلته . فأحضروه للقتل ، فقال : اصبروا حتى أصلي ركعتين . فلما فرغ من صلاته قال : إلهي أنت نهيتني عن كتمان الشهادة وما لي شاهد غيرك ! فخرج من بين الجماعة رجل وقال : خلُّوا الرجل فأنا القتيل ! فقالوا له : فما الذي حملك على الإقرار بالقتل ؟ قال : نوديت في سري : يا هذا إنه طُلب منا الشهادة ، فإن أقررت ، وإلا كشفنا عن حالك ؛ فما أمكنني إلا الإقرار بالقتل . فقال ولد المقتول : قد عفوت عن القاتل !

- قال أحد العارفين : لا تزوج كريمتك إلا من ذي دين ، فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها أنصفها !

- قال أحد الظرفاء : إني أخاف من النساء أكثر من الشيطان ! لأنه سبحانه يقول في سورة النساء : ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ (١) ، وفي سورة يوسف : ﴿ إن كيدك عظيم ﴾ (٢) !

(١) سورة النساء ، الآية ٧٦ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٢٨ .

- جاء فقير بقمح يطحنه ، فقال الطحان : إن علي شغلاً كثيراً فترفق !
فأبى ، فقال : لئن لم تطحنه دعوتُ الليلة عليك فتهلك دوابك ! فقال له
الطحان : ودعاؤك مستجاب ؟ قال : نعم . قال : فادعُ الله أن يجعل
قمحك طحيناً !

- حضر أعرابي على سفرة هشام بن عبد الملك ، فبينما هو يأكل ، إذ تعلق
شعرة بلقمة الأعرابي ، فقال له هشام : نحُّ الشعرة عن لقمتك . قال : وإنك
تلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة في اللقمة ؟ والله لا أكلت عندك أبداً .
وخرج وهو يقول :

وللموت خيراً من زيارة باخِلٍ يلاحظ أطراف الأكيل على عمد
- حُكي أن رجلاً ادعى أن كل أحول يرى كل شيء اثنين ! وكان له ابن
أحول ، فقال : يا أبه ليس هذا بصحيح ، لو كان كذلك لكنتُ أرى
القمرين أربعة !

- إحسانك إلى الحرِّ يحركه على المكافأة ، وإحسانك إلى الخسيس يبعثه إلى
معاودة المسألة !

مات مجوسي وعليه دَيْن ، فقال بعض غرمائه لولده : لو بعت دارك
وخففت بها عن والدك . فقال : إذا أنا بعت داري وقضيت بها عن أبي دينه
فهل يدخل الجنة ؟ قالوا : لا . قال : فدعوه في النار وأنا في الدار !
- قيل لخالد بن صفوان : أي إخوانك أحبُّ إليك ؟ قال : الذي يسدد
خَلِّي ، ويغفر زَلِّي ، ويقبل عِلِّي .

- كان إسحاق بن فروة مزاحاً ، فقال لأعرابي يوماً وهو يمازحه : أتشهد بما
لم تره عينك ؟ قال : نعم ، أشهد أن أباك فعل بأملك ولم أرَ ذلك ! فحلف
إسحاق أن لا يمازح أحداً .

- قال بعضهم : رأيت رجلاً محموراً به صداع يأكل التمر بكراهة شديدة ، فقلت له : ويحك ! تأكل التمر وأنت محموم ؟ فقال : عندنا شاة ترضع ، وليس لها نوى تأكله ، وأنا آكل التمر مع كراهتي له لأطعمها النوى . قلت : فأطعمها التمر بنواه . قال : ويمكن هذا ؟ قلت : نعم . قال : فرججت عني ، ما أحسن العلم !

- رأى إبراهيم بن الأدهم رجلاً يحدث بشيء من كلام الدنيا ، فوقف عليه وقال : هذا كلامٌ ترجو فيه الثواب ؟ قال : لا . قال : فتأمن فيه العقاب ؟ قال : لا . قال : فما تصنع بكلام لا ترجو فيه ثواباً ولا تأمن فيه عقاباً ؟ !
- مثل الدنيا مثل ماء البحر ، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله .

- أربع خصال تميم القلب : كثرة الأكل ، وكثرة النوم ، وكثرة الكلام وكثرة الضحك .

- جاء رجل إلى الشعبي وقال : إني تزوجت امرأة وجدتها عرجاء ، فهل لي أن أردّها ؟ فقال له : إن كنت تريد أن تسابق بها فردّها !!
- قال إبليس : العجب لبني آدم ! يحبون الله ويعصونه ، ويبغضونني ويطيعونني !!

- قيل ليحيى بن زكريا عليه السلام : ما مبدأ الزنا ؟ قال : النظر والغناء .
- قال بعض العارفين : صحبة الأشرار تورث الشر ، كالريح إذا مرّت على التتن حملت نتناً ، وإذا مرّت على الطيب حملت طيباً .

- دخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق ، فرأى شيخاً يرجف ، فقال : يا شيخ ، أيسرك أن تموت ؟ قال : لا . قال : لِمَ وقد بلغت السنّ

ما أرى ؟ قال : ذهب الشباب وشُرّه ، وبقي الكِبَرُ وخيره ، إذا أنا قعدتُ
ذكرتُ الله ، وإذا قمتُ حمدتُ الله ، فأحبُّ أن تدوم لي هاتان الخصلتان .

- قال أحد العارفين : لا شيء أوجع للأحرار من مراجعة الأشرار !

- روي أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في المنام أنه أُعطي ثلاث دعوات
مستجابة وأن يصرفها حيث يشاء . فشاور امرأته عن كيفية صرفها ، فرأت أن
يصرف واحدة منها في حسنها وجمالها ليزيد حسن المعاشرة بينهما ، فصرفها في
ذلك ، فصارت جميلة !

فاشتُهر أمرها في بني إسرائيل ، إلى أن غضبها ملك ظالم . فدعا الرجل
غَيْرَةً بأن يصورها الله تعالى على صورة كلب أسود ! فصارت كذلك ، ثم
جاءت إلى باب زوجها وتضرّعت إليه مدة حتى رقَّ قلبه ، ودعا بأن يصيّرهما
الله على صورتها الأولى .

فضاعت الدعوات الثلاث فيها !!

- قيل لابن عمر : ألا نجعل لك جوارش ؟ قال : وما الجوارش ؟
قيل : شيء يهضم الطعام . قال : ما شبت منذ أربعة أشهر ، وما ذاك أني لا
أجد ، ولكنني شهدت أقواماً كانوا يجوعون أكثر مما يشبعون .

- من ضيَّع أيام حرثه ندم أيام حصاده .

- جلس كسرى يوماً لمظالم العباد ، فتقدّم إليه رجل قصير وجعل يقول :
أنا مظلوم . فلم يلتفت إليه ! فقال الوزير : أنصف الرجل . فقال : إن
القصير لا يظلمه أحد ! فقال : الذي ظلمني أقصر مني !

- تشاجر زوجان وامتنعا عن الكلام . وقبل أن يصعد الزوج للنوم ، قدّم إلى
زوجته ورقةً مكتوباً عليها : أيقظيني في الساعة الخامسة صباحاً .

وفي اليوم الثاني استيقظ الزوج ، ونظر إلى الساعة فوجدها الثامنة !
فاغتاظ ، ثم لبس ثيابه ، ولما أراد الخروج ، نظر فرأى ورقة مكتوب عليها :
استيقظ ، الساعة الآن الخامسة !

- سأل أحد الشباب حكياً : من هي أكثر وفاء وإخلاصاً لزوجها : المرأة
ذات الشعر الأشقر ، أم ذات الشعر الأسود ؟ فقال : إن أكثر النساء وفاء
لزوجها المرأة ذات الشعر الأبيض !

- وقف جديّ على سطح ، فمرّ به الذئب ، فأقبل الجدي يشتمه ، فقال له
الذئب : لست أنت الذي تشتمني ، إنما يشتمني الموضع الذي أنت فيه .

- من التناقضات العجيبة أن يكون أول ما يهتم به الإنسان أن يعلم الطفل
الكلام ، ثم بعد ذلك يعلمه كيف يسكت !

- دخلت إحدى العجائز على السلطان سليمان القانوني تشكو إليه جنوده
الذين سرقوا مواشيها عندما كانت نائمة . فقال لها السلطان : كان عليك أن
تسهرى على مواشيك ، لا أن تنامي . فأجابته : ظننتك ساهراً علينا يا
مولاي ، فنمت مطمئنة البال . فتنبّه من قولها .

- في كتاب كلستان : إذا أكل الملك تفاحة من بستان الرعية فإن الرعية
تقتلع شجرة التفاح من جذورها !

- ركب أحد البخلاء دابة له ، وفي منتصف الطريق تذكر شيئاً ، وعاد إلى
منزله ، فنادى جاريته قائلاً : أخبري سيدتك أنني حين تناولت العشاء
طرحت لقمة للقطعة ، فحذار أن تطلق لها لقمة أخرى ، وإلا فسدت عاداتها
علينا !

- قال أحد العارفين : الحقيقة مثل النحلة : تحمل في جوفها العسل وفي
ذنبها الإبرة !

- قال بزرجهر : الجاهل عدو نفسه ، فكيف يكون صديق غيره ؟!

- لما تم للإسكندر المقدوني^(١) فتح بعض البلدان ، أمر بالقبض على لص
من لصوص البحر . ولما جيئ به ومثل بين يديه ، سأله : بأي حق تسرق مال
الغير ؟ فأجابه : أنا أسرقه بسفينة صغيرة فيدعونني لصاً ، أما أنت فتسرقه
بأسطول كبير وتسمى فاتحاً !

- جاء رجل إلى فقيه فقال : أفطرت يوماً من شهر رمضان ، فقال : اقض
يوماً مكانه . فقال : قضيتُ وأتيتُ أهلي وقد عملوا هريسة ، فسبقتني يدي
إليها فأكلت . فقال : أرى أن لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك !

(١) هو غير ذي القرنين المؤمن الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم . فالمقدوني مشرك من تلاميذ
أرسطو.

الأطفال في التراث العربي (*)

لعبد الرزاق حسين

● قال سنان بن مَسْلَمَة - وكان أميراً على البحرين - : كنا أُغِيلِمَة بالمدينة المنورة، نلتقط البلح المتساقط من النخل، فخرج إلينا عمر بن الخطاب، فترقّ الغلمان خوفاً منه، وثبّت مكاني. فلما وصل إلي قلت: يا أمير المؤمنين إنما هذا ما أَلقت الريح. قال: أرني أنظر فإنه لا يخفى علي. قال: فنظر في حجري فقال: صدقت، فقلت: يا أمير المؤمنين لئن انطلقت لأغار هؤلاء الغلمان علي فانتزعوها مني. قال فمشى معي عمر بن الخطاب حتى بلغني مأمني!

(*) الأطفال في التراث العربي / جمع وتقديم عبد الرزاق حسين . - الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، ١٤١٢هـ، ٢١٦ ص. - (بحوث في ثقافة الطفل المسلم؛ ٣).

يذكر المعد أن ما أورده في هذا المجموع أخبار وحكايات وطرائف ونوادير الأطفال التي التقطها من كتب التراث المختلفة المطبوعة والمخطوطة . . ووزعها على عشرة فصول هي : (الأطفال والإيمان، النبي ﷺ والأطفال، جهاد الأطفال، الأطفال العلماء، الأطفال الحفاظ، الأطفال البررة، ذكاء الأطفال وحسن أجوبتهم، الأطفال الشعراء، الأطفال الفصحاء، طرائف الأطفال ونواديرهم). وكان الدافع له في جمع هذه الأخبار هو أنها ستثير في نفوس الأطفال حب التقليد في معالي الأمور، وتدفع همهم للسير في طريق النبوغ، وتقدهم زند عقولهم للنظر في عواقب أمورهم . . فإذا كان الأطفال يقبلون على سماع الأنباء العجيبة والأخبار الغريبة بشوق النهم وتطلع الفهم، فإن إعجابهم بالنماذج الرفيعة من الرجال يدفعهم للاحتذاء بهم، وكيف إذا علموا أن هذه الأخبار الفاتحة، والأنباء الرائقة، التي تتنوع بين الشجاعة والبراعة، والفصاحة والسباحة، والكرم ونبل الأخلاق، والنباهة والفتنة، إنما هي لأطفال في مثل سنهم، إن ذلك سيشعل فيهم لظى التشوق، وينبه فيهم همة التفوق . . إن ذلك سيجعلهم يظنون بأنهم قادرين على أن يصنعوا مثل صنعهم، ويفعلوا مثل أفعالهم .

والمؤلف أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء في السعودية .

● روي أن غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالة وأسقف البحرين قاعد . فوقعت الكرة على صدره ، فأخذها . فجعلوا يطلبونها منه ، فأبى أن يعطيهم . فقال غلام منهم : سألتك بحق محمد ﷺ إلا رددتها علينا . فأبى لعنه الله ، وسبَّ الرسول ﷺ ، فأقبلوا بصواليجهم ، فما زالوا يخبطونه حتى مات !

فرُفِعَ ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف ، وقال : الآن عزَّ الإسلام ، إن أطفالاً صغاراً شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا .

● قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : رأيت أخي عمير بن أبي وقاص يتواري قبيل بدء معركة بدر ، فقلت : ما لك يا أخي ؟ قال : إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرنى فيردني ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة .

قال : فعرض الجيش على رسول ﷺ ، فرآه ، فردّه لصغره ، فبكى أخي عمير ، فأجازه مرة أخرى .

فكان سعد رضي الله عنه يقول : فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة !

● قال الإمام ابن الجوزي : كنت في حلاوة طلبتي العلم ألقى من الشدائد ما هو أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو . وكنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث ، وأقعد في مكان ، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء ، فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعينُ همتي لا ترى إلا لذّة تحصيل العلم . فأثمر ذلك عندي .

قال : ولم أقنع بفرن واحد، بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأت اللغة، ولم أترك أحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدم إلا وأحضره، وأتخير الفضائل . ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفسي من العدو لثلاث أسبوع !

● يقول الإمام سفيان بن عيينة : كنت على باب المسجد، فإذا شيخ على حمارة، فقال لي : يا غلام، أمسك عليّ هذا الحمار حتى أدخل المسجد فأركع . فقلت : ما أنا بفاعل، أو تحدّثني ! قال : وما تصنع أنت بالحديث ؟ واستصغرنى . فقلت : حدّثني . فقال : حدّثني جابر بن عبد الله، وحدّثنا ابن عباس . . فحدّثني بثمانية أحاديث .

فأمسكت حمارة، وجعلت أحفظ ما سرده علي . فلما صلي وخرج قال : هل نفعلك ما حدّثتك به ؟ فقلت : حدّثني بكذا، وحدّثني بكذا . فرددت عليه جميع ما حدّثني به . فقال : بارك الله فيك، تعال غداً إلى المجلس . فإذا هو عمرو بن دينار !

● كان عبد الملك بن مروان صغيراً، فتناول عليه صبي فضربه، فقبل له : لو شكوته إلى عمك لانتقم منه، فقال : أنا لا أعد انتقام غيري انتقاماً !

● قال إياس بن معاوية : إن أول شيء حُكي عني أني كنت في مكتب رجل من أهل الذمة، فاجتمع إليه أصحابه، فقال : ألا تعجبون من أهل الإسلام، يقولون إنهم يأكلون في الجنة ولا يتغيطون ! فقلت : يا معلم، أليس الدنيا ضرّة الآخرة ؟ قال : بلى . قلت : كل ما يؤكل في الدنيا يخرج غائطاً ؟ قال : لا . قلت : فأين يذهب ؟ قال : يذهب بعضه غذاء . قلت : فما تنكر إذا كان بعضه يذهب في الدنيا غذاءً أن يكون كله في الجنة يذهب غذاءً ؟

قال : فألوى بيده وقال : قاتلك الله من صبي !

● قال الأصمعي : بينا أنا في بعض البوادي ، إذا أنا بصبي معه قربة قد غلبته ، فيها ماء ، وهو ينادي : يا أبت ، أدرك فاها ، غلبني فوها ، لا طاقة لي بفيها .

قال : فوالله لقد جمع العربية في ثلاث !

● قال الأصمعي : قلت لغلام حدث السن من أولاد العرب : أيسرُك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق ؟ قال : لا والله . قلت : ولم ؟ قال : أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تُذهب مالي ويبقي علي حمقي !

● كان طرفة بن العبد - من شعراء الجاهلية الفحول - مع عمه وهو صغير في بعض أسفارهما ، فنزلا على ماء ، فنصب طرفة فخّه للقنبر وقعد لها ، وهنَّ يَحْدَرْنَ الفخ ، وينفرن مما جوله ، فقال :

قاتلكن الله من قنابـر متبذات في الفـلا نوافـر
وأخذ فخه ورجع إلى عمه ، فلما تحمّلوا ، أقبلت القنابر تلتقط ما كان ألقاه
لهن من الحب ، فالتفت فرأهن ، فقال :

يا لك من قبرة بمعمـر خـلا لك الجؤ فيضي واصفـري
ونقري ما شئت أن تُنقري قد رُفِع الفخُ فماذا تحذري

لا بدّ يوماً أن تُصادي فاصبري !

● عاش يزيد بن زبيبة الشيباني دهنراً طويلاً حتى لحق زمن الحجاج ، وكان في صف ابن الأشعث ضد الحجاج ، فظفر به الحجاج ، وورد عليه كتاب عبد الملك بن مروان يأمر بقتله .

فلما دعا به قال له : أيها الأمير ، اتق الله بسبع عشرة نسوة ، أو تسع عشرة نسوة ليس هن قيّم غيري . قال : أحضرهن .

فلما حَضَرَ، سألهن الحجاج عن شأنهن ، فما منهن امرأة إلا وهي تقول :
اقتلني ودَعِه . فقامت بنية له صغيرة . فبكت بكاء حاراً موجعاً محرقاً ،
وأنشأت تقول :

أحجَّاج إِمَا أن تجود بنعمة علينا وإِما أن تقتلنا معاً
أحجَّاج كم تفجعُ به إن قتلته ثلاثاً وعشراً واثنين وأربعا
فمن رجلٌ دَانٍ يقوم مقامه علينا فمهلاً لا تزدنا تضععنا

فرحمه الحجاج ، وكتب إلى عبد الملك يسأله العفو عنه ، فأجابه إلى ذلك ،
وأطلقه .

● قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت العرب من أحياء
القبائل ، ودخل رؤساؤهم عليه وبينهم «دِرْوَاس بن حبيب» وله أربع عشرة
سنة ، فأحجم القوم وهابوا هشاماً ، ووقعت عين هشام عليه فاستصغره ،
فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلي إلا وصل ، حتى الصبيان ! فعلم
دِرْوَاس أنه يريد . فقال : يا أمير المؤمنين . . إن هؤلاء القوم قدموا لأمر
أحجموا دونه ، وإن الكلام نشر والسكوت طي ، ولا يعرف الكلام إلا
بنشره .

فقال هشام : فانشر لا أبالك ! وأعجبه كلامه .

فقال : أصابتنا سنون ثلاث : فسنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ،
وسنة أنقَت اللحم . وفي أيديكم فضول أموال ، إن كانت لله ففرّقوها على
عباده المستحقين لها ، وإن كانت لهم فعلامَ تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم
فتصدّقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المتصدّقين ، ولا يضيع أجر المحسنين .

فقال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً .

ثم أمر أن يقسم في باديته مائة ألف درهم . . وقال لدرواس : ما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : ما لي من حاجة دون عامة المسلمين !

● قال بعض المعلمين : حضرت لتعليم المعتز وهو صغير، فقلت له : بأي شيء نبدأ اليوم ؟ قال : بالانصراف !

● قال بشر بن الحارث - المعروف بالحافي - : أتيت باب المعافي بن عمران ، فددقت الباب ، فقيل لي : من ؟ قلت : بشر الحافي . فقالت لي بنية صغيرة من داخل الدار : لو اشتريت نعلًا بدانقين ذهب عنك اسم الحافي !

● كان لمحمد بن بشر الشاعر ابنٌ جسيم ، فأرسله في حاجة ، فأبطأ عليه ، ثم عاد ولم يقضها ، فنظر إليه ثم قال :

عقله عقل طائر وهو في خلقه الجمل

فقال الصبي :

شبهه منك نالني ليس لي عنه مُنتقل

● أرسل رجل ولده يشتري له رشاء (حبلًا) للبئر طوله عشرون ذراعاً . فوصل إلى نصف الطريق ، ثم رجع فقال : في عرض كم ؟ قال : في عرض مصيبي فيك يا بني !

● صاح صبي بشيخ أحدب (مقوس الظهر) : بكم اشتريت هذا القوس يا عماه ؟ فقال : إن عشت أعطيتها بغير ثمن !

أبناء نجباء الأبناء (*)

لابن ظفر الصقلي

● قال العباس عم النبي ﷺ لابنه عبد الله : يا بني ، إني أرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أكرمك وأدناك واختصك دون أكابر أصحاب رسول الله ﷺ ، فاحفظ عني ثلاثاً :

لا تُجرينَّ عليه كذباً .

ولا تفشين له سراً .

ولا تغتابن عنده أحداً .

● سأل معاوية ابنه يزيد : لو سألك سائل يا يزيد فقال : من قومك ؟ ماذا تقول له ؟ قال : أقول له : سلاماً ! قال : أحسنت .

(*) أبناء نجباء الأبناء / لبرهان الدين محمد بن محمد المكي المعروف بابن ظفر . - القاهرة : مطبعة التقدم ، - ١٣٥هـ ، أ - ح ، ٢٠٠ ص .

والمؤلف مكي الأصل ، مغربي المنشأ . . تنقل في البلاد ، وكان متضلعا في مذهب مالك ومذهب الشافعي . وكان واعظاً متكلماً شاعراً نائراً . تجول صغيراً في البلاد لطلب العلم ، ودخل أكثر الأمصار ، واستوطن آخر عمره مدينة حماة ، وبها توفي سنة ٥٦٧هـ . . . ولم يزل يكابد الفقر إلى أن مات . له مؤلفات كثيرة .

والكتاب - كما قال مقدمه - فريد في بابهِ ؛ لأن مؤلفه خصه بأخبار من اشتهر بعلو الهمة ، ونور البصيرة . . ممن رشح نفسه للملك أو الرئاسة ، أو نطق ببليغ الحكمة ، أو صاغ بديع الشعر ، أو جاد بهاله ونفسه ، أو قاد الكتائب والجيوش ، أو أخلص لله الطاعة ، أو تخصص بحسن الزهادة .

وقال المؤلف مبيناً هدفه من وضع هذا الكتاب : « هذا كتاب أودعته من أبناء نجباء الأبناء ، ما هو كشررة من ضرام . . . لأنني قصدتُ به تلقيح عقل غلام ، وتنقيح فطنة كهام [الكهام : السيف الذي لا يقطع ، وهو هنا استعارة للغلام البليد] . إلا أنني أجنيت قارئه من هذا النوع الذه وأطيبه ، وأحليته أسره وأعجبه ، مضرِباً في الغالب عما سجع به الحمام هاتفاً ، وهمع به الغمام واكفاً ؛ لأن النفوس طلعة إلى الفائق العجيب ، مولعة بالرائق الغريب ، ذي المتناول والقريب . . » .

يريد بقوله : ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ (١).

● قال المؤلف : بلغني أن هارون الرشيد اطلع يوماً من منظر له في قصره ،
فرأى ولده المأمون - وهو صبي - يكتب على الحائط .

فقال لخدم بين يديه : انطلق فتأمل ما يكتب المأمون ، واحترس أن يفطن
لك أو لتأملك .

فذهب ، فتسلل عليه حتى قام خلفه ، وهو مقبل على الحائط مفكراً ، ثم
رجع فقال :

يا أمير المؤمنين ، إنه يكتب هذا :

قل لابن حمزة مـاتـرى في زيرباج محـكمة (٢)

قال الرشيد : ارجع إليه فاسأله عما هو فيه ؟ فسيقول لك : إني مفكر في
إجازة هذا البيت ، فقل له :

قال ابن حمزة يـابـني هـزلت مجترئاً فـمه !

فانطلق ، فقال له ذلك ، وأنشده البيت . فأطرق المأمون قليلاً ، ثم التفت
إلى الخادم وقال : يا غلام ، قد علمت أنك مرسل ، ولولا ذلك لم تنج سالماً .
فرجع الخادم ، وأخبر الرشيد بذلك .

ثم إن الرشيد أخبر ابن حمزة الكسائي بذلك كله ، وقال له : من أين علم
المأمون أن الخادم كان مرسلًا؟

(١) سورة الفرقان ، الآية ٦٣ .

(٢) ابن حمزة هو الكسائي ، وكان المأمون يقرأ عليه القرآن .

قال : لا أدري .

قال : علمه من قوله «فمه» ، إذ كان الخادم لا يستطيع على مخاطبته بذلك إلا مأموراً . ومه معناها اكفف .

● وقيل إن قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لما زُفَّت إلى المعتضد بالله أغرم بها . فوضع يوماً رأسه في حجرها ، فلما نام ، تلطفت في إزالة رأسه من حجرها ، ووضعت تحته وسادة . وخرجت من البيت .

فلما استيقظ ، غضب ، وناداهما فأجابته من قرب ، فقال : وضعت رأسي في حجرك فذهبت عني ؟

فقالت : لم أزل كإليةٍ لأمير المؤمنين .

قال : فما أخرجك عني ؟

قالت : إن مما أدبني به أبي أني لا أجلس مع النيام ، ولا أنام مع الجلوس . فاستحسن ذلك منها .

● وذكر أن الكسائي كان لا يفتح على ولد الرشيد إذا غلطوا في القراءة عليه ! وإنما كان ينكس طرفه ، فإذا غلط أحدهم نظر إليه ، وربما ضرب الأرض بخيزرانه التي في يده ، فإن سُدِّد القارئ للصواب مضى ، وإلا نظر في المصحف .

فافتتح المأمون يوماً عليه السورة التي فيها الصف ، فلما قرأ : ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾^(١) ، نظر إليه الكسائي ، فنظر المأمون في المصحف ، فإذا هو مصيب ، فمضى في قراءته .

(١) سورة الصف ، الآية ٢ .

ولما رجع إلى الرشيد قال له : يا أمير المؤمنين ، إن كنت قد وعدت الكسائي شيئاً فهو يستنجزه .

قال : إنه كان استوصاني أن أعطي لبعض القراء ، فوعدته ، فهل هذا هو الذي ذكر لك ؟

فقال المأمون : إنه لم يذكر لي شيئاً .

ثم أخبره بالأمر !

● شاور قتيبة بن مسلم الباهلي وزراءه في رجل يؤمّره على جيش يحارب به الكفار، ف قيل له : هل لك في فلان ؟ فقال : ذاك رجل ذو كِبَر. ومن تكبّر أُعجب برأيه ، ومن أعجب برأيه لم يؤامر نصحاءه ، ومن تحلى بالإعجاب ودبر بالاستبداد كان من الرشد بعيداً ، ومن الخذلان قريباً . ومن تكبّر على عدوّه احتقره ، ومن احتقر عدوّه قلّ احتراسه منه ، ومن قلّ احتراسه كثر عثاره . وما رأيت محارباً تكبّر على عدوّه إلا كان مخذولاً مهزوماً مغلولاً !

● قال المؤلف : وبلغني أن السري بن المغلس السقطي قرأ على مؤدبه : ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾^(١) ، فقال : يا أستاذ ، ما الورد ؟ فقال : لا أدري .

فقراً : ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتّخذ عند الله عهداً﴾^(٢) .

فقال : يا أستاذ ، ما العهد ؟

قال : لا أدري !

فقطع السري القراءة وقال : إذا كنت لا تدري ، فلم غررت بالناس ؟

(١) سورة مريم ، الآية ٨٦ .

(٢) سورة مريم ، الآية ٨٧ .

فضربه المؤدب . فقال السري : يا أستاذ، ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم والأذى !؟

فطلب المعلم منه المسامحة ، وتاب إلى الله تعالى من التأديب ، وأقبل على طلب العلم ، وكان يقول : إنما أعتقني من رقّ الجهل السري .

● وقال : بلغني أن أبا يزيد البسطامي لما حفظ ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً﴾^(١) ، قال لأبيه : يا أبة ، من الذي يقول الله تعالى له هذا ؟
قال : يا بني ، ذلك النبي محمد ﷺ .

قال : يا أبة ، ما لك لا تصنع كما صنع النبي ﷺ ؟

قال : يا بني إن قيام الليل خُصَّص به النبي ﷺ وبافتراضه دون أمته !
فسكت عنه . فلما حفظ قوله سبحانه وتعالى : ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك﴾^(٢) قال : يا أبة ،
إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل ، فمن هذه الطائفة ؟
قال : يا بني ، أولئك الصحابة ، رضوان الله عليه أجمعين .
قال : يا أبة ، فأني خير في ترك ما عمله النبي ﷺ وأصحابه !؟
قال : صدقت يا بني .

فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي !

(١) سورة المزمل ، الآيتان ١ - ٢ .

(٢) سورة المزمل ، من الآية ٢٠ .

التحفة البهية والطرفة الشهية (*)

● مرض النضر بن شمیل ، فدخل عليه الناس يعودونه ، فقال له رجل : مسح الله ما بك . فقال له النضر : لا تقل مسح الله ، بل قل : مسح الله ما بك (١) .

فقال الرجل : لا بأس فيما قلت فإن السين قد تعاقب الصاد فتقوم مقامها .

فقال النضر : إن كان كذا فينبغي أن تقول لمن اسمنه سليمان : «صليمان» ، وتقول : قال «رصول» الله . ثم قال : لا يكون هذا في السين إلا مع أربعة أحرف : الطاء والحاء والكاف والعين . وربما أبدلوها بزاي ، كما قالوا : زراط وسراط وصراط .

قال الصولي : وهذه حروف الاستعلاء ، تبدل إذا كانت بعد السين ، فأما إذا كانت قبل ، فلا .

● خرج غسان بن عباد من عند المأمون ، فأتبعه بصره وقال : لا تزال الخلافة نضرة ما حضر مجلسنا مثل هذا ؛ ما اغتاب عندي قط أحداً ، ولا اعترض في كلام متكلم ، ولا التمس حاجة لنفسه ، ولا وقفنا منه على كذب ولا جنائية ، ولا سبقه لسانه بلفظ احتاج إلى الاعتذار منه .

(*) التحفة البهية والطرفة الشهية : مجموعة مختارة من عيون الأدب العربي . - الأستانة : مطبعة الجوائب ، ١٣٠٢هـ ، ٢٩٤ ص .

وهو مجموعة لطيفة تشتمل على سبع عشرة رسالة وكتاباً ، منتخبة من الكتب النادرة الغربية . وقد اخترت بعض الفقرات المناسبة من الرسائل التالية : «كلمات مختارة من درر الكلم» ، «تنبيه النائم العُمر على مواسم العمر» لابن الجوزي ، «رسالة عبد الواسع في المعاتبة» ، «روايات لطيفة وحكايات ظريفة» ، «رسالة في الألغاز» .

(١) مصحح الشيء : زال أو كاد . ومصحح الله ما به : أذهب .

● قال عيسى بن ماهان : صحبتُ جعفر بن يحيى البرمكي خمس عشرة سنة ، فما رأيتَه غضب غضباً مفرطاً ، وإنما أكبر غضبه إذا غضب على خدمه أن يقول : لا تخدمني ، أو : لا أرضى عنك .

● اختلف عاصم بن عمر بن الخطاب وفتى من قريش في ضيعةٍ ، فقال الفتى - وقد غضب - : ادخلها وأنت رجل !

فقال عاصم : أبلغ بك الغضب هذا ؟ هي لك .

قال القرشي : سبقتني إلى المكرمة ، بل هي لك .

قال عاصم : ما أنا راجع في هبتي .

فقال القرشي : ولا أنا .

فلم يأخذها واحد منهما .

● كان عبد الملك بن مروان يحب ابنه الوليد ولا يحثه على الأدب ، فخرج لحاناً ، فقال : أضرتُّ حُبُّنا بالوليد .

● كان الشيخ الزاهد داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز ، فسئل عن ذلك فقال : بين شرب الفتيت ومضغ الخبز يفوتني قراءة خمسين آية !

● دخل قوم على عابد فقالوا له : لعلنا شغلناك ! فقال : نعم ، منعتموني من وردي ، ومن نظر في شرف العمر اغتنمه .

● رسالة عبد الواسع في المعاتبة .

. . أما بعد : فإن هذا كتاب كله عتاب ، وقصةٌ كلها غُصّة ، وكلام كله ملام ، وحكاية أكثرها شكاية ، وفصول كلها نصول ، وألفاظ كلها غلاظ ، ورسالة فيها بسالة .

. . لا يوفون بالعقود، بل يطرون على الحقود، يقولون بألستهم ما ليس في قلوبهم، ولا يميزون بين الحق والباطل، والحالي والعاطل . . فمن اعتمد عليهم فكأنما اعتمد على السراب، ومن اعتضد بهم فكأنما اعتضد بالخضاب يسلي عن الشباب .

أخلاء هذا الدهر هُشُّ وجوههم وفي القلب من نار النفاق أزيز
فلما بلونا واحداً بعد واحد علمنا بهم أن الوفاء عزيز
ولما جربتهم جميعاً، تقلصت عنهم سريعاً. فلا أغترُّ بعد هذا اليوم،
بأمثال هؤلاء القوم، مع أني صاحبت منهم من كان أحسنهم فعلاً،
وأصدقهم مقالاً . . فصار عهدهم رياء، وودهم هباء .

ومنهم من أصغيته ودادي، وأعطيته اعتقادي، وألقيت عليه مني محبة،
وهو لم يكن يساوي حبة . وكم خضتُ لأجله بطون المسالك، وامتطيت
ظهور المهالك، وتجشمت المصاعب، وتحملت المتاعب، فلما انحصد ما
زرعته سبق إليه الجراد، وظهر فيه الفساد . ومنهم من رفعته بعد السقوط،
وأعليت قدره بعد الهبوط، فلما بلغتُ به الأمد الأقصى، ورقيته إلى الدرج
الأعلى، أعرض عني ملياً، وتركني نسياً . . وأنا أنشد :

أعلمه القوافي كل يوم فلما قال قافية هجاني
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
أعلمه المروءة كل يوم فلما طرَّ شاربه جفاني

. . قد مزج المرارة بالحلاوة، وترك المودة بالعداوة، فصار وُدُّه هباءً منشوراً،
كأن لم يكن شيئاً مذكوراً . . ولقد نظمت قصيدة تشتمل على هذه المعاني
بأكثر أبياتها .

ملئت الناس كلهم اضطراراً
وقد قبحت مخابرتهم جميعاً
لئن رفضتني الخلان جهلاً
وكم من صاحب أصفي ودادي
وأرعى عهدته ويضيع حقي
ويظهر باللسان الشوق منه
إذا أجرى القضاء عليك خطباً
فكل شديدة ولها انفراج
وعُدْ بِاللَّهِ يَكْفِكَ كُلَّ شَرٍّ

لأنَّ ودادَ أكثرهم هباءً
وإنَّ حَسُنَتْ وجوهُهُم الوضياء
فإنَّ المسك تطرحه الطباء
له ، ونصيبنا منه الرياء
وهذا يا أخي بئس الجزاء
إليّ ، ، وقلبه منه خلاء
فطب نفساً بما فعل القضاء
وكل بليّة ولها انقضاء
فإنَّ الله يفعل ما يشاء

● حُكي أن امرأة دخلت على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أقرَّ الله عينك ، وفرحك بما أعطاك ، لقد حكمت فقسطت .

فقال : من تكونين أيتها المرأة ؟

فقالت : من آل برمك ، ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم .

فقال : أما الرجال فقد مضى فيهم قدر الله ، وأما المال فمردود إليك .

ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه وقال : أتدرون ما قالت هذه المرأة ؟ فقالوا : ما نراها قالت إلا خيراً .

قال : ما أظنكم فهمتم ذلك . أما قولها : أقر الله عينك ، أي : أسكنها

عن الحركة ، فإذا سكنت العين عن الحركة عميت .

وأما قولها : وفرحك بما أعطاك ، فقد أخذته من قوله تعالى : ﴿ حتى إذا

فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾ (١) .

(١) سورة الأنعام ، الآية ٤٤ .

وأما قولها : حكمت فقسطت ، فقد أخذته من قوله تعالى : ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطاباً﴾ (١).

● من الألغاز شعراً :

بلد في الشام أضحى
أخرج التصحيف منه
كلُّ شيءٍ منــــه يُجَلَّبُ
رأسُ كلبٍ خلف ثعلب (٢)

ما اسمُ شيءٍ تركيبه من ثلاث
حيوان والقلب منه نبات
وهو ذو أربع تعالى الإله
لم يكن عند جوعه يرعاه
عكسوه يصير لي ثلثاه (٣)

ما اسمٌ إذا ما سأل المرء عن
فنصف يس لــــه أول
وإن تزد ثانيه فهو لا
وإن تقل بيّن لنا ما الذي
بيّنهُ لي إن كنت ذا فطنه
تصحّحه خلا له أفحمه
من غير ما شك ولا جمجمه
يذكر للسائل كي يفهمه
منه تبقى بعد ذا قلت : مه
فإنني قد جئت بالترجمه (٤)

يا من يحل اللغز في ساعة
ما اسم إذا نقصت من عده
كلمحة في طرفة العين
في الخط حرفاً صار اسمين (٥)

(١) سورة الجن ، الآية ١٥ .

(٢) هو بعلبك .

(٣) هو الفيل .

(٤) هو كلمة : سلامة .

(٥) يعني : ياسمين .

ترويح النفوس ومضحك العبوس (*)

لحسن الآلاتي

الحمد لله الذي أضحكنا بما أفاض علينا من السرور، والصلاة والسلام على من كان يمزح ولا يقول إلا حقاً، وعلى ساداتنا آله وأصحابه الذين كان وجه الزمان لهم طلقاً. أحمدده حمد عبدٍ بُشِّرَ بالجنة فضحك، وأشكره شكر من أنعم عليه ربُّه الملك .

● أهدي سلاماً يجاري البحر في السمك
يسوى من العيش مقليةً بتنجرة
● أكرم به من شاعرٍ قد بَجَحَا
فأقرن مع خرفانه واستنطحا
وينطوي كانطواء الرِّجل للحنك
ألفاً إذا كان ملفوفاً مع الكبك
في المدح حتى صار مثل المنفحه
واستن من أفراخه بسدر الضحى

والشيبيص كدنة الجلمود

(*) ترويح النفوس ومضحك العبوس / تأليف حسن الآلاتي . - القاهرة : مطبعة جريدة المحروسة ، ١٣٠٧هـ ، ج ١ : ١٦٧ ص .

الكتاب يقع في ثلاثة أجزاء . . وهذه صفحات مختارة من الجزء الأول فقط ، الذي لم أر غيره . . ويغلب عليه الأسلوب الإنشائي والنفس الطويل في الجمل والعبارات والوصف . . وليس فقرات . . بل يجمع بين القصة والحكاية والمقامة . . وفيه الشعر الفصيح والزجل المصري . . ويحتوي على فقرات غير مناسبة لما فيه من الأدب المكشوف . . لكن الجميل ألا يجدد المؤلف الأسماء ، إلا المستعارة منها . ويتوضح أن المؤلف ذو ثقافة عالية . . أدبية ودينية ولغوية واجتماعية ، وهو من النوع «الحكواتي» .

وقد استغربت كيف يطبع مثل هذا الكتاب ؛ نظراً لأنه حديث المجالس الخاصة جداً ، ولا يقال مثله إلا في جو اجتماعي محدد . . وإنما نقلت منه القليل لدلالته على فترة محددة هي أواخر العصر العثماني في مصر . ولأنه نوع غريب من «الأدب» !!
وقد عرّف صاحب الأعلام (٢/٢٠٧) بالمؤلف حسن بن علي الآلاتي ، وذكر أنه متأدب مصري ، من ظرفاء الكتاب ، تعلم في الأزهر ، وكفّ بصره ، ومال إلى الغناء . . وكان حاضر النكتة . . وعُني بنظم الزجل . . مولده ووفاته بالقاهرة . ت نحو ١٣٥٥هـ .

يا من فتحت لكل بيت مخرجاً ونظمت شعراً من رواه استنعباً
لك في مناخ الأوس واصطبل الرجا فرح يريك ذوي المعافر في الدجى

وسط النهار كحيفة بالعودِ

نظم القصيدة ليس بالمتحفظ خالٍ من التعقيد غير مثلفط
حصنت قائله عروس المربط بالقارطين البارطين العابطي

نَ القامطين السامطين السود

لم أخل شعرك قط من تبويظه يا حاسب التاريخ في محفوظه
إن رمّت يوماً ترتوي من بوظه تاريخه بحفظوظه وبظوظه

فرح المعاند غاية المقصود

أعداء شيخي لا زالوا مساخيطا كأنهم نصف ثوب في مساخيطا
قوم إذا استعبطوا عبطوا وإن خبطوا خبطوا وإن لبطوا كانوا ملابيطا
والشيخ لا زالت الآمال تخدمه في جحفل كان أبهى من فرح طيطا
يفوق عن أهل بلده بأربعة علماً وجهداً وإحساناً وقنيطا
وزاد عن أهل هذا الثغر أربعة جوداً وبخلاً ومعروفاً وتقميطا
أهدى إليّ مكاتيباً مضمّخة بالمسك من فيه شعر ما به إيطا
يا صاحب القامة الحسنى وبدر دجى كأنها شطروه بالبلنشيطا
لك المواعين في بحر البديع ولي مقداًف نحو فاملأها قراميطا
يا سيداً ماله في الحسن من مثل ولو ندورُ في الدنيا بركيطا

● . . أشنع من عركة عجر، وأرزل من عجر وبجر، وأحز من طزفش،
وألعن من عفش نفس، وأسمج من سخام ولطام، وأبرد من صرم على
رخام، وأتعب من مرا بتولد، وأوخم من ملقت طنطا بعد المولد، وأتنن من

معمل طرشي ، وأوسخ من بطانة عشي . سلام لا فيش ولا عليش ، أوسخ من الوحل وأتخن من الخيش ، ملطخ بسخام وجله ، ووراه كل علة وعلة ، تحمله أرياح عرجه ، تمشي حدارجة بدارجة ، لا تعطر ولا تتقنطر ، ولا داهية تحوشه ولا وابور يدوسه ولا حية تلوشه حتى يخبط ، وش الجناب اللي لا هنا ولا هناك ، المحشور في وشك ظهرك ، قفاك الوسخ الوحش ، اللي تملي يرتعش ، المصن العفش ، المسطو المحشش ، الغجري الموشش ، سيدي شقلبان مقلبان ، هلا بلا الشيخ ابن فلان ، دامت رزالتة وزادت هبالتة .

● . . وقال إن كان قصدكم الراحة فعليكم بالاستراحة . فلما سمعنا من لسانه الأعوج ما عرج به وأعوج ، ورأينا له وجهاً أشد سواداً من القمر وأعظم بياضاً من الفحم الحجر ، قلبنا عليه أجمعين ، وتوجهنا عنه راجعين ، فذهبنا لنقطع التذاكر . . . فبينما نحن جالسون في العربة ، وقد ذكر كل منا قومه وعربه ، فما نشعر إلا وغبار ثرى وأثار الثرى ، وصفير استطار وسمع من جميع الأقطار ، وقال الكوميساري وهو في الجوساري ، أخر رجلك ونجي خيلك ورجلك . وإذا بعفريت من حديد ؛ يسبق كل مهر جديد ، له باع مديد وصوت يحاكي الحمار في التغريد ، له ذراعين من جنبيه كأنه بدر تجلي بالكنبية .

● . . ومثلهم طراير ملونة من الشوشة للكتف بشرط أن يكون العم الغالي المقدار والعالي المدار يكتب لمحسوبة إجازة عامة عامرة الأركان بجميع ما يحويه من النكايت بحسب الإمكان ، وأن يكون كاتب رجليه في كل موضوع ، ويسند إليه كل مخفوض ومرفوع . وهذا ما اتفق عليه مجلس المصلحة على سبيل المباشطة ، وانتهى أمره بلا إشكال ولا مغالطة .

شهد بذلك عمك طهمة ، وخالك لخرة ، وعمتك كوهية ، وخالتك شلبية ، وابن خالك عفريت السواحل ، وابن عمك أبو الجلاجل .

صورة علم طلب

. . . إلى الأمير المحتشم والهمام المحترم ، صادق الوعد وحافظ العهد ،
ولاحس من السلام العقد ، معتدل الزاوية ، صاحب الأضلاع المتساوية ،
والأركان المتعادلة المتوازية ، من لا يزال إلى الأرض شاخص حتى يضربه
الشاخص ، حضرة بيت التربيع وحصان الربيع ، صاحب ميزان الهوى وخط
الاستواء ، مثلث الصدر ، ومستطاب الانساط ، وجغرافي المنخار ،

ورأسي اللحية و . . . ، مضلع الحاجبين ، مخموس الأذنين ، مسبول
الشوارب ، زاغط القوارب ، وماخطُ القوالب ، مسطح الأكتاف ، مكعب
الأرداف ، طويل الساقين ، عريض الساعدين ، قوي الباع ، شديد الذراع ،
مستدير الفم ، بيضاوي الجسم ، مَنْ شهد كل مهندس بصناعته ، واعترف
كل مجنون ببراغته ألا وهو صاحبُ النفس الشريفة ، والأخلاق الحميدة
اللطيفة ، والهمة العلية المنيفة ، الأسطى حسين أفندي خليفة ، ترجمي
البنائين ومعمارجي المحفلطين المقلطين ، لا زالت دياره عامرة ، والخيرات
عليه متواترة ، لا زال هو وأنجاله متمتعين بالسرور ، ومحفوظين من جميع
الشرور بعناية الرب الغفور .

اعلم يا زكيَّ الهمة ، ومهندس الأمة ، وكاشف عن رأسي الغمة ، أنه قد
سبق إليَّ نطق فمك الكريم ومرسومك الفخيم ، بالتبرع من غير إجبار ،
وصدر منك الإقرار بنصف متر جبس للسلام ، وقاك الله شرَّ كل جاير
وحاسد وظالم .

ومن حيث أنك تبرعت بالجبس المتين ، الذي يمسك السلم بدون
عجين .

ومن حيث أني من ضمن المحسويين عليك والواقعين بين رجلتك .

ومن حيث أنك تبرعت بلا جبر، ولم يكن عندك أدنى فتحة صدر، ولا أقل فشر.

ومن حيث أنني أعلم وأتيقن أنك قدّها وقدود، وأنت قبل أن تُسأل تجود.
ومن حيث أن المبلّطين قد حضروا واشتدوا لنحت البلاط وبادروا.
ومن حيث أننا قد بنينا المركز الأول الذي عليه المعوّل ولم يبق إلاّ نجاز
وعدك ووفاء عهدك .

فبناء على هذه الأسباب الضعيفة، والمستندات الخفيفة، أرجو صدور
الحكم على نفسك بإرسال القدر من الجبس العظيم، وعدم المماطلة والتأخير
والتقديم، فالعجل العجل قبل فوات الأجل، وإلاّ . . . كتبنا لك إنذاراً،
وأرسلناه من البرور والبحار، ونُطّل عليه معظم الأصحاب والأعداء
والأحباب، طبقاً للمادة خمسة آلاف من القوانين الودية، والمنشورات
القسمية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
تحريراً في السنة الفلانية من يوم كذا .

وهذه صورة جواب دبلّاق

قد أرسلناه إلى رجل ببولاق

من العنيد الغالي، ناسج الشوالي، أخذ الأجرة قبل حلول الليالي، ذو
القفطان الجديد، والعصايا الحديد، آكل الثريد، ناظر الوقيد، وهو الأستاذ
الفلاني، المعلم حسن أغاصي الآلاتي .

إلى ذي المجد والإفضال، والبهجة والكمال، بالعب الجبال، خاطف
الجمال، حضرتلري مولانا وأستاذنا الخواجاجا عبد العال، ملك الساحل،
آكل الراجل، محسن إلى المقيم ومسيء إلى الراحل . قد شوقتمونا بقدمكم

بعد صلاة الجمعة، وجمعتم علينا أكبر جمعة، وصار الناس بين قادح ومادح، وجد ومازح، إلى أن مضى معكم نجلنا البهلول، وحصل بعد مضيكم أمر مهول، أفضى إلى الملاكمة بعد المشاتمة، وما زلنا نقمص ونبرش حتى وصلنا إلى المفتش، ففضى لي بالمجيء إلى بولاق، وحكم لي بالأكل من عندكم بأكل ما عندكم من الأصحاب والرفاق، وقد وصلنا من الخيمات اثنان ليس لهما أسنان، وعليكم ذبح الشيال وأجرة المشال، متعكم الله بتمام الأفراح والسرور وجعلكم من أمراء فقهاء الوابور، ويوم الأربعاء إن شاء الله يكون الحضور بلا دستور ولا حادور، وسلموا لنا على السيد المهاب، مولانا وأستاذنا الشيخ يوسف حجاب، ومن لكم وله من الأحباب، ودمتم آكلين الكباب، وبالعين الباب!

(امضاء)

العنيد الأوزع والشجاع الخروع

حسن أفندي علي الأكتع

صورة مرضحال مقدم الشيخ العنيد من رجل بليد ..

قبيحتلو أفندم، عنيد عموم المضحكخانة المصرية، وحضرة البطل البطال، والساذج المفضال، من هو فريد الزمان، وغرة الأهل والخلان :

غِبَّ التقههات المترادفات، والنكات المتتابعات، اللايقين بمقامكم السامي، المماثلين بهزلكم النامي؛ أعرض لأنني كنت سابقاً مستخدماً بالمضحكخانة السورية، الكائنة في الغورية، فاشي سرّ الرئيس، وكنْتُ منكتاً علي أيّ تنكيت، بمرتب شهري ألف وخمسةائة كلمة تصرف لي شهرياً من خزينة التهجيص .. !!

الجراب الجامع (*) لأشتات العلوم والآداب لكنون

● نهى السلطان عام ١١٠١هـ في سائر أقطار المغرب عن لبس السبّاط الأسود (أي الحذاء)، وأمر بلبس الأصفر مكانه، لما قيل: إن الناس اتخذوا الأسود حين استولى العدو على العرائش، أسفاً عليها.

● قال بعضهم:

(*) الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب / عبد الصمد كنون؛ راجعه وقدم له محمد أبو الأجنان . - ط ٢ . - تونس : مطبعة الكواكب، ١٤٠٧هـ، ٣٧٥ص.

مؤلفه عبد الصمد بن محمد التهامي، ابن كنون المستاري الفاسي، ثم الطنجي. ولد بفاس سنة ١٢٩٠هـ، ونشأ في أسرة علمية كان أعضاؤها يتفانون في خدمة العلم، ويرفعون لواءه في رحاب جامع القرويين، وفي غيره من مراكز العلم والمعرفة. وقد حفظ القرآن الكريم بالروايات الثلاث: البصري والمكي وورش قبل أن يختم السنة الثالثة عشرة من عمره. وقد انتقل إلى طنجة واستقر بها، وكان له نشاط علمي فيها. وكان من الفقهاء المفتين، وخطيباً بارعاً مؤثراً، ويستأنف الأحكام الشرعية التي تصدرها محكمة طنجة. . . وله مؤلفات عديدة. توفي سنة ١٣٥٢هـ.

والكتاب جمع فوائد وطرائف ولطائف، فيها زاد وفير من المعلومات التي لا يربطها سلك خاص، بل هي تشري ثقافة العامة، وتساعدهم على المذاكرة المفيدة. ففيه مسائل من تفسير القرآن وتجويده، وأخرى في تأويل بعض الأحاديث النبوية، وحجج مما ساقه المتكلمون، وقواعد ومباحث من علوم النحو والصرف، والبلاغة والبيان. . . وفيه تراجم، ومعلومات تاريخية وجغرافية، وفوائد طبية، ومواعظ وحكم، وسيرة نبوية، وجوانب فقهية عديدة، وفتاوى نوازل وقعت واستدعت الاستفتاء.

وفي هذا الجراب نصوص ورسائل وإخوانيات تبادلها الطلبة والعلماء، وفيه أغاز. . . وما إلى ذلك. إنه حقاً جراب جامع، وكشكول صغير، ودائرة معارف إسلامية وأدبية موجزة.

عليك بالحفظ بعد الجمع في كتب
الماء يُغرقها والنار تُحرقها
فإن للكتب آفات تفرّقها
والفأر يخرقها واللص يسرقها

● قيل لإبراهيم بن أدهم : كيف أنت ؟ فقال :

نرّق دينانا بتمزيق ديننا
فظوبى لعبدٍ آثر الله وحدَهُ
فلا ديننا يبقى ولا ما نرّق
وجاد بدنياه لما يتوقع

● قال بعضهم :

وما ينفع الفتيان حُسنُ وجوههم
فلا تجعل الحُسنَ الدليلَ على الفتى
إذا كانت الأفعال غير حسان
فما كلُّ مصقولٍ الحديدِ يمانى

● قال رجلٌ لأحدهم : العلم والمال يؤخذان من البطن ! قال : وكيف ذلك ؟ قال : أمسك عن الشهوات يكثر مالك ، وأقلل من الأكل يكثر علمك !

● قال أحدهم :

هو الوزير ولا أزر يشدُّ به
الراحة لا تُنال بالراحة ، والعلم لا يُنال براحة الجسم ، فادرس ترأس ، واحفظ تُحفظ ، واقراً ترقّ .

● مما قاله الطبيب الماهر الأديب عبد القادر بن شقرون في منافع النعناع :

ألا هل من الأعشاب نبتٌ يوافق
فكم من خصالٍ حازها وفوائد
موافقة النعناع بل ويرافق ؟
فليس كما النعناع خِلُّ موافق
وكم من مزايا لا يفِي بها ناطقُ
وفي التُّخمة الشنعاء خيرُهُ دافق

وفي خفقان القلب سيفه بارق
وللشمِّ دَفَّاعٍ وللبراء سائق
بُئورِ بِلتاتٍ لذي الفتق راتق
وناهيك منه ما حوته الحدائق
بنظم لآليه وفضلُه سابق ؟!

له في علاج الصدر سهم مفوق
ويُخرج ديدان البطون بأسرها
بمضغه يُشفى السِّنُّ من وجعٍ ومن
وللنكهة التطيب عند اقتضائه
فما لي لا أثنى عليه وأعتني
● وقال بعضهم :

فلا تبال أصدُّوا عنك أو زاروا
وفعلهم منكراً للمرء أو عار
إذا قَضَوْها تنحَّوا عنك أو طاروا !!

لقاءً أكثرٍ من يلقاك أوزار
أخلاقهم حين تبلوهنَّ أوعارُ
لهم إذا جنحوا إليك أوطار

● قال السيد نور الدين السمهودي : ناولتُ السكينَ مرَّةً شيخنا العلامة
الشمسَ الشرواني ، فلم يتناولها مني ، وقال : ضعها . فوضعتها بين يديه ،
فأخذها وقال : هي آلة القطع ، وآلة القطع لا تُناول للمحيين !
● قال أحدهم :

لَحَفَرُ بئيرٍ بِإِبرتين
في يومٍ ریحٍ بِرِيشتين
حتَّى يصيرا أبيضين
يلقاني يوماً بوجه شين !

والله والله مبررتين
وكنسُ أرضِ الحجاز يوماً
وغسلُ عبدين أسودين
ولا وقوفي بباب شخصين

● وقال الفقيه محمد بن القاضي :

لَقَلْعُ ضُرَيْسٍ وِضْنُكَ حَبِيسٍ
وَلَقَمُ نَارٍ وَحَمَلُ عَارٍ

وضربُ ألفٍ بألفٍ كفٌ
وقتلُ غمٍّ وطولُ همٍّ
وحفرُ بئرٍ بفأسٍ قير
وردُّ أميسٍ بكلِّ نحسٍ
وبيعُ دارٍ بربيعِ فلسٍ
وضيقُ خُفٍّ ونزعُ نفسٍ
وشربُ سُومٍ وألفٍ نكسٍ
في أرضٍ جيرٍ كحمرِّ شمسٍ
ولا وقوفٍ ببابِ شمسٍ
يلقاني يوماً بوجهِ عبسٍ

● كان يقال : أدع لا تُقا. عليها حتى تسأل الخمر ما :

والمرأة لا تُقدم على خطبتها حتى تسأل عن منصبها وخلقها .
والطريق لا تسلكها حتى تسأل عن أمنها وخوفها .
والبلدة لا توطنها حتى تسأل عن مرافقها وسيرة سلطانها وأخلاقها وقوة
من يكيد أهلها ويعاديهم .
● قال بعض المشايخ :
إذا أردت أن تصير من جملة الأبدال ، فحوّل أخلاقك إلى أحوال الأطفال .
فقل له : وكيف ذلك ؟

يتحاقدون ، ويتسارعون إلى الصلح ، ويُخَوِّفون فيخافون بأدنى شيء ،
وتدمع أعينهم بسرعة .

● قال بعض الشعراء :

وإخوان حسبتهم دروعاً
وخلتهم سهاماً صائبات
وقالوا : قد صَفَتْ لنا قلوبٌ
لقد صدقوا ولكن : من ودادي
فكانوها ولكن للأعادي
فكانوها ولكن في فؤادي

● ومن نظم مؤلف الكتاب :

إن النعاس والكسل
إن لم تصدقني فسل
وقال بعضهم :

لا يعجبك من يصون ثيابه
فربما افتقر الفتى فرأيته
خوف الغبار وعرضه مبذول
دنس الثياب وعرضه مغسول

● نظم بعضهم أسماء بُناة الكعبة المشرفة فقال :

بنى الكعبة الغرّاء عشرٌ ذكرتهم
ملائكة الرحمن ، آدم ولده
وجرهم ، يتلوه قصي قريشهم
ومن بعدهم من آل عثمان واحد
وربتهم حسب الذي رتب الثقه
كذاك خليل الله ، ثم العمالقه
كذا ابن الزبير ، ثم حجاج لاحقه
مرادٌ ملك الروم والسعدُ وافقه

● ومن نظم الإمام المكوذي رحمه الله :

إذا عَرَضْتُ لي في زماني حاجةً
وقفْتُ بباب الله وقفةً سائل
ولست تراني واقفاً عند باب من
وقد أشكلت فيها عليّ المقاصد
وقلت : إلهي إنني لك قاصد
يقول فتاه : سيدي اليوم راقداً !

● قال ابن حبيب : قد أذن للنبي ﷺ أربعة : بلال ، وأبو محذورة ، وابن أم كلثوم ، وسعد القرظي . وزاد غيره : زياد بن حارث الصداوي .

ونظمهم الشيخ التاودي بقوله :

عمرو ، بلال ، وأبو محذوره سعد ، زياد ، خمسة مذكوره
قد أذنوا جميعهم للمصطفى نالوا بذاك رتبة وشرفا

● لا يكون الطالب طالباً حتى تجتمع فيه معاني حروفه :

فالطاء : أن يكون طاهر القلب ، صفيماً ، نقياً .

واللام : أن يكون لبيباً ليناً .

والباء : أن يكون باكياً على ذنوبه ، ويتخشع ويتقي مولاه .

فإن كان هكذا فطالب ، وإلا فظالم .

وقد نظم مؤلف الكتاب هذا المعنى بقوله :

حروفاً لطالب علم علا	فظاءً ولاًمً وباءً أتت
شوائب تكديره كالقلا	فظاء : طهارة قلبه من
ولين جانبه للفضلا	ولام : لبابته فانتبه
من الـذنب في سره والملا	وباء : بكاءً على ما جنى
وإلا فظالم مبتلى !	فإن كان في نفسه هكذا

● عن وهب بن منبه رحمه الله قال : خرجت ذات يوم في زقاق المدينة ، فوجدت فيه رجلاً طيبياً ، اجتمع عليه خلقٌ كثير ، وهو يعطي وينعت لكل واحد منهم دواء بيده . فدنوت منه ، وسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام .

قال : فقلت له : يا سيدي ! هل عندك شيء من دواء الذنوب ؟

فلما سمع مني ذلك، أطرق برأسه إلى الأرض . فبقي متفكراً ساعة، ثم رفع رأسه وقال : أين أنت يا سائلاً عن دواء الذنوب ؟
فقلت له : ها أنا يا سيدي .

قال : سِرْ إلى وادي الإيوان، وخذ منه عروق النّية، وأوراق الندامة، وثمرّة العلم، وغبار التواضع، واسحقها جميعاً في مهرّاز التوبة، واعجنها بماء الحياء في آنية الخشوع، وأوقد تحتها نار الخوف بحطب الزهد، واشربها بكأس الصبر، في موضع لا يراك فيه أحد إلا الله، تجد راحة نفسك، والسلام .

● مرّ الإمام الحسن البصري بشاب وهو يضحك، فقال له : يا بني ! هل جُرّنت على الصراط ؟ قال : لا . قال : هل تبيّن لك إلى الجنة تصير أم إلى النار ؟ قال : لا . قال : هل تدري أن ربك راضٍ عنك أم ساخطٌ عليك ؟ قال : لا . قال : ففيمَ هذا الضحك ؟

فما رئي ذلك الفتى ضاحكاً بعده قط !

● ومن نظم عم المؤلف الشيخ محمد بن المدني كنون في معاني «مولي» :

معاني «مولي» إحدى وعشرون : مالك، رب، ناصر، والأقربون
جار، عتيق، معتق، وعبد
عمّ، شريك، وابن أخت، والنزِيل
صهـر، ومُنعمٌ عليه
● وفي العدوى قوله :

وذكروا العدا في سبع علل
سِلُّ جُذام حصبة وجدرى
لَا تَقْرَبَنَّ صاحبها بلا خلل
مع رَمَد وجَرَب وبِخَر
● وأورد من نظم والده :

كسرى نجاشيَّ عزيزُ قيصرُ
للْفُرْسِ والحُبشِ مصرُ تَتَّبِعُ
وأوَّلُ لأوَّلٍ لا تَمْتَرِي
أميرَ المؤمنين للإسلام

وهَاكِ ألقَابَ ملوكِ مَنْ غَبَرَ
فرعونُ خاقانُ كذاكَ تُبَعُّ
والرومُ والقبطُ وتركُ حَمِيرُ
وزِدْ هِرَقْلًا لقبًا للشامِ
● وله :

أربعةٌ مِنَ الألفِ فاعلم
سبعةً آفَ بلا نكير

عُدَّ أحاديثُ صحيحِ مسلمٍ
بغيرِ تَكَرُّرٍ وبالتكريرِ
● وله :

بعُدُّ ما للغافقي سَمِيَّه
وعُدُّها جملةُ عشرونا
بعُدُّ الأبهري الإمامِ الثقه

عُدَّ أحاديثُ الموطأ المرويَّه
وستةٌ تضافُ للستينا
أضفُ لها ألفاً وسبعمئته
● وله :

ياءٌ بكسرةٍ فكنِ متبها
كذا يعارِ جمعِ يعرِ فاهتد

ولم تَجِيءْ كَلِمَةً أوَّلا
إلا يِوَامٍ وَيِسَارٍ لِلْيَدِ

● وله ناظماً غزواته ﷺ التي غزا فيها بنفسه ، وهي سبعة وعشرون ، وقاتل
في تسع منها فقط :

هاكها زاده الإله شرفا
ودان مع بُسْوَاطٍ والعشير
بنو سليم قينقاع تاليه
فاحفظ هداك الله للتحقيق

يا سائلي عن غزوات المصطفى
وهي على ترتيبها في الذكر
وبدر الأولى كذاك الثانيه
لها كذاك غزوة السويق

وبعدها غزوة حمراء الأسد
 غزوة بدر الأخيرة خذا
 بنو قريظة تليها حقق
 مريسع فغزوة الحديدية
 غزوة فتح فحين تقتضى
 وهي تبوك موضع ذو شهره
 وغيرها عدد نقط ما به
 والإذن في القتال قصد النصره
 بدر حين أحد قريظه
 والفتح والطائف فافهم واذكر

غزوة أنمار وبحران أحد
 بنو النضير والرقاع وكذا
 دومة جندل وغزو خندق
 غزو بني لحيان غزو الغابه
 وخير كذاك عمرة القضا
 وغزوة الطائف ثم العُسره
 هذي التي فيها غزا بنفسه
 وكلها جرت بُعيد الهجره
 ولم يقاتل ما عدا في تسعه
 وخندق مريسع وخير

● محصل المنقول من الأفعال المبنية للمجهول - أي الأفعال التي تكون مبنية للمجهول دائماً :

عُنيت بالشيء وأعنى به .

أولع بالأمر وأوزع به ، معناهما واحد ، أي : أغرق .

وُثِيء . يقال : وُثت يده ، معناه : أصيبت بالوشاء ، وهو الفك ، أي :

انفراج المفاصل وتزلزلها وخروج بعضها عن بعض .

زُهي ، أي تكبَّر .

نُتج : يقال : نُتجت الناقة ، ولا يقال : نَتجت .

أهرع الرجلُ : إذا كان يرعد من غضب وغيره .

أغمي وغمي على المريض .

غَمَّ عَلَيْهِ الْخَبْرُ، أَي خَفِيَ . وَغَمَّ الْهَلَالُ : سَتَرَ بَغِيمٌ أَوْ غَيْرَهُ .
 أَهْلٌ وَاسْتُهْلَلٌ - وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِيزُ بِنَاءِهُمَا لِلْفَاعِلِ .
 سَقَطَ فِي يَدِهِ : أَي نَدِمَ .
 بُهِتَ ، أَي دُهَشَ وَتَحَيَّرَ .
 أُرْعِدْتَ فِرَائِصَهُ : اضْطَرَبْتَ .
 وَوَضِعَ فِي حَسَبِهِ ، فَهُوَ وَضِيعٌ : أَي سَاقِطٌ .
 شُدَّهِ فُلَانٌ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ ، أَي دُهَشَ .
 وَكَسَّ الرَّجُلُ فِي تِجَارَتِهِ : خَسِرَ فِيهَا .
 نُخِيَ فُلَانٌ : تَعَاطَمَ وَتَكَبَّرَ .
 شُغِلَ عَنْهُ وَبِهِ : تَلَهَّى .
 شُهِّرَ فُلَانٌ فِي النَّاسِ أَوْ الْأَمْرِ : اشْتَهَرَ وَفَشَا .
 طَلَّ دَمُ فُلَانٍ : هُدِرَ .
 حُصِرَ الرَّجُلُ : اِعْتَقَلَ بَطْنَهُ وَاحْتَبَسَ .
 وَوَقَصَ فُلَانٌ عَنِ دَابَّتِهِ : سَقَطَ عَنْهَا فَانْدَقَّتْ عُنُقُهُ .
 غُبِنَ فِي الْبَيْعِ فَهُوَ مَغْبُونٌ ، أَي مَنْقُوصٌ فِي الثَّمَنِ .
 هُزِلَ الرَّجُلُ وَالِدَابَةُ : أَصَابَهَا الْهُزَالُ .
 نَكِبَ فُلَانٌ : أَصَابَتْهُ نَكْبَةٌ مِنْ نَكَبَاتِ الدَّهْرِ ، أَي مَصَائِبِهِ .
 حُلِبَتْ نَاقَتُكَ وَشَاتَكَ لَبَنًا كَثِيرًا .
 رُهِصَتِ الدَابَةُ : أَصَابَهَا الرَّهْصُ ، وَهُوَ دَاءٌ يَصِيبُ الرَّجُلَ .
 زُكِمَ الرَّجُلُ : أَصِيبَ بِالزُّكَامِ .

تُقي فلان : إذا أصيب باللقوة ، وهي داء يصيب الوجه .
دير بي عليهم وأدير .
عُشي على المريض .
بَرَّ حجك ، أي تُقبَّل .
تُلج فؤاد ، أي اطمأن .
فُلج فلان إذا أصابه الفالج .
أرض الخشب : إذا أكلته الأرضة ، وهي دويبة تأكل الخشب .
ضُنك عيشه : ضيق .
وُقرت أذن الرجل تُوقر : صمَّت .
شُغف بالشيء .
سُرَّ الرجل بالشيء يُسُرُّ به سروراً .
نُفِست المرأة ، إذا ولدت .
أسهب الرجل : إذا ذهب عقله من لدغ الحية ، عياداً بالله .
امتقع لونه : إذا تغَيَّر من حزن أو فزع أو مناسبة .
أعرب الرجل : إذا اشتدَّ وجعه .
انقُطع بزيد أو قُطع به : إذا عجز عن سفره بأي سبب كان ، كنفقة
ذهبت ، أو ضلَّت عليه راحلته ، أو حيل بينه وبين ما يؤمله .
نُسئت المرأة . . وذلك عند أول حملها ، حين يتأخر حيضها عن وقته ،
فيرجى أنها حُبلى .

عُنست الجارية وعَنسها أهلها، ولا يقال عَنست . ومعناه : طال مكثها
في منزل أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبيكار، وهذا إذا لم
تتزوج ، فإن تزوجت مرة فلا يقال عُنست .
شُبَّ لي كذا ، وأُشِبَّ أي : أُتِيح وتيسر .
أُعرب الفرس : إذا فشت عُرتَه حتى تأخذ عينيه .
دهش فلان : تحيّر في أمره ولم يتجه لشيء .
نُقش العذق ، وهو النخلة ، والمراد هنا التمر ، إذا أظهر به نكت ، أي نقط
من الأرتاب .

سُوس الرجلُ أمورَ الناس إذا ملك أمرهم .
أوكس فلان في تجارته : أي خسر .
أُحصر فلان : اعتُقل بطنه ، والعقول : الدواء الذي يمسك البطن .
نُطع الرجل : أي زُكم .
دُفق الماء ، وهو الانصباب بشدة .
أرتج على القارئ : إذا لم يقدر على القراءة ، كأنه أطبق عليه ، كما يُرتج
الباب .

طُلِقَ السليم - أي اللديغ - إذا رجعت إليه نفسه وسكن وجعُه .
أفتلتت نفس فلان : مات فجأة .
أرث فلان : حُمل من المعركة جريحاً .
دُبر القومُ : أصابتهم ريح الدبور ، وهي التي تهبُّ من جهة الغرب .
رُيخَ الغدير : أي ضربته الريح . والغدير : القطعة من الماء يغادرها
السيل . سمي بذلك لغدره بأهله بانقطاعه عند شدة الحاجة إليه !
رُكضَ الفرسُ على ما لم يسمَّ فاعله : إذا عدا .

قُنيت الجارية تُقنى : إذا مُنعت من اللعب مع الصبيان وسُتريت في البيت .

كانت تلك سبعون كلمة مبنية للمجهول استفادها المؤلف من كتاب «المزهر» في علوم اللغة للسيوطي ، وزاد عليها ثلاثاً من عنده هي :
حُمَّ . . من البُحْمَى .

وُعِك ، يقال : فلان موعوك ، أي محموم .
جُن . . فهو مجنون .

جمع الجواهر في الملح والنوادر (*) للحصري

● ولَّى الحجاجُ أعرابياً على تبالة^(١)، فجمع أهلها وقال : إن الأمير أوصاني عليكم ، ووالله لا أحسن أن أقضيَ بين خصمين مرتين ، ووالله لا أوتى بظالم ولا مظلوم إلا وضربته حتى أقتله .
فتناصف الناس بينهم !

● سقط أبو الحارث - واسمه جَمِيرٌ - من سطح ، فقيل له : أكان السطح مرتفعاً ؟ قال : لا تسأل عن شيء ، استطبْتُ برد الهواء قبل الوصول إلى الأرض !

● وقال رجل : أشتهي أن أرى خلفي . فجاءه أبو الحارث بمرآة ، وجعل وجه المرأة تلقاء وجهه هو ، وظهرها تلقاء وجه الرجل !

(*) جمع الجواهر في الملح والنوادر / لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ؛ حققه وضبطه وفصّل أبوابه ووضع فهرسه علي محمد البجاوي . - القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٢ هـ ، ٤٠٣ ص .

وهو أيضا مجموعة من الأخبار والطرائف والنوادر الأدبية والاجتماعية ، بذل المؤلف جهده في ترتيبها والعناية بها ، وإيراد بعض مناسباتها . وإنما انتقيت بعض الأخبار من ص (٢٠٣ - ٣٦٨) . وهو ما عثرت عليه مصوّراً في إحدى المكتبات الخاصة .

والمؤلف أديب وناقد معروف . وهو من أهل القيروان ، ونسبته إلى عمل الحصر . وله كتاب «زهر الآداب وثمر الألباب» ومختصره : «نور الطرف ونور الظرف» . ت ٤٥٣ هـ . وأشير إلى أن كتابه الذي نحن بصددده سبق أن طبع أيضاً بعنوان : «ذيل زهر الآداب» .

(١) بلد باليمن خصبة . استعمل عليها الحجاج ، فأتاها فاستحقرها فلم يدخلها ، فقيل : أهون من تبالة على الحجاج !

● ونصب مع رفقاء له قِدرًا، وجعل فيها لحمًا. فلما كاد أن ينضح، نشل بعضهم قطعة وقال: تحتاج إلى ملح. ونشل آخرُ قطعة وقال: تحتاج إلى توابل. ونشل آخر قطعة وقال: تحتاج إلى بصل.

فرجع أبو الحارث القِدر وقال: والله تحتاج هذه القِدر إلى لحم.

● طبخ بعض البخلاء قِدرًا، فقعد هو وامرأته يأكلان، فقال: ما أطيب هذا القدر لولا الزحام! قالت: أي زحام هاهنا؟ إنما أنا وأنت! قال: كنت أحب أن أكون أنا والقِدر.

● كان بعض الأكاسرة يتطيّر. فلقيه رجل أعور، فأمر بحبسه. فأقام مدة، ثم أطلقه. فتعرّض له فقال: لِمَ حبستني؟ قال: تشاءمت بك. قال: فأنت أشأم مني؛ خرجت من قصرِك فلقيتني فلم تر إلا خيراً، وخرجتُ أنا فلقيتك فحبستني. فقال الملك: صدق. وأمر له بصلة.

● نزل شيخٌ أعرابي من بني نهشل يكنى أبا الأغر على بنتٍ أختٍ له من قرينش بالبصرة، وذلك في شهر رمضان؛ فخرج الناس إلى ضياعهم؛ وخرج النساء يصتلين في المسجد، ولم يبق في الدار إلا الإماء؛ فدخل كلب، فرأى بيتاً فدخله وانصفق الباب، فسمع الإماء الحركة فظننَّ لصاً دخل الدار، فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته، فأخذ عصاً ووقف على باب البيت، فقال: إيهاً والله! إني بك لعارف، فهل أنت من لصوص بني مازن، وشربت نبيذاً حامضاً خبيثاً، حتى إذا دارت الأقداح في رأسك متتِك نفسك الأماني، فقلت: أطرقُ دورَ بني عمرو، والرجالُ خلوف، والنساء يصتلين في مسجدهن فأسرقهن، سوءةٌ لك! والله ما يفعل هذا حرٌّ، بثسما متتِك نفسك، فاخرج بالعفو عنك وإلا دخلتُ بالعقوبة عليك، وإيم والله

لتخرجنَّ أو لأهتفنَّ هتفةً يلتقي فيها الحيان عمرو وحنظلة ، ويصير زيداً ، وتجيء سغد بعدد الحصى ، وتسيلُ عليك الرجال من هاهنا وهاهنا ؛ ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود في بني تميم .

فلما رأى أنه لا يجيبه أخذه باللين ، فقال : اخرج بأبي أنت منصوراً مستوراً ، إني والله ما أراك تعرفني ، ولئن عرفتنني لوثقت بقولي ، واطمأننت إليّ ، أنا أبو الأغر النهشلي ، وأنا خال القوم وجِلْدَة ما بين أعينهم ، لا يعصون لي رأياً ، وأنا خفير كفيلاً ، أجعلك شحمة بين أذني وعاتقي ، فاخرج فأنت في ذمتي ، وإلا فعندي قوصرتان أهداهما إليّ ابنُ أختي البار الوصول ، فخذ إحداهما فانتبذها حلالاً من الله ورسوله .

وكان الكلبُ إذا سمع هذا الكلام أطرق ، وإذا سكت وثب يريدُ الخروج . فتهافت أبو الأغر ثم قال : يا ألام الناس ، أراني بك الليلة في وادٍ وأنت في آخر ، وأنت في داري أقلب البيضاء والصفراء ، فتصيح وتطرق ، وإذا سكتُ عنك وثبت تريد الخروج ، والله لتخرجنَّ أو لأجئنَّ عليك .

فلما طال وقوفهُ جاءت جارية وقالت : أعرابي مجنون ! والله ما أرى في البيت أحداً ، ودفعت الباب ، فخرج الكلبُ مبادراً ، ووقع أبو الأغر مستلقياً . فقلن له : قم ويحك ! فإنه كلب . فقال : الحمد لله الذي مسخه كلباً ، وكفى العرب حَرْباً .

● قال أبو علقمة النحوي لجارية كان يهواها : يا خريدة ؛ إخالك عَرُوباً ، فما بالنا نَمِئُك وتشتئينا ؟ فقالت : ما رأيتُ أحداً يحب أحداً ويشتمه سواك !

والخريدة : الناعمة اللينة . والعروبة : المتحبة إلى زوجها . والمقّة : المحبة .

● وأتى الهيثم بن العريان بغريم قد مَطَّلَ غريمه ديناراً فقال : ما تقول ؟ قال : إنه ابتاعني عنجراً واستنَّسأته حَوْلاً، فصار لا يلقاني في لَقْمٍ إِلَّا اقتضاني . فقال الهيثم : أمن بني أمية أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أكفائهم من بني هاشم ؟ قال : لا . قال : ويلى . . . فعلامَ تتكلم بهذا الكلام ؟ السياط ! فلما جُرِّدَ قال : أصلحك الله ؛ إِنَّ إزارى مُرْعَبَلَةٌ . فقال : دعوه ، فلو ترك الثاقل بالغريب في وقتٍ لتركه الآن !

والعنجر : عجم الزبيب . واللقم : الطريق . والمرعبله : الخَلقة .

● دخل أبو العيناء على ابن منارة الكاتب وعنده أبو عبد الله بن المرزبان ، فقال لابن منارة : أَحِبُّ أن أعبث بأبي العيناء . فقال له : لا تقوم به . فأبى إِلَّا العبثَ به ، فلما جلس أبو العيناء قال له : يا أبا عبد الله ؛ لِمَ لبست جُبَّاعَةً ؟ قال : وما الجُبَّاعَة ؟ قال : التي ما بين جبة ودرّاعة . قال أبو العيناء : لأنك صفيديم . قال : وما صفيديم ؟ قال : الذي هو ما بين صفعان ونديم !

● بينا ابنُ أبي ليلى في مجلس القضاء ، إذ تقدَّم إليه امرأتان عجوزٌ وشابة . فقالت الشابة : أنا أصلح الله القاضي امرأةٌ مُبَدَّنة (١) ، وقد بهرني النَّفس ؛ فإن رأى القاضي أن يأذن لي فأحسرَ عن وجهي فليفعل . فقالت العجوز : أصلح الله القاضي ، إنها من أحسن الناس وجهاً ، وإنما تُريدُ أن تخدعَ القاضي ، لا أمتعها الله بما وهبها من الجمال . فقال لها ابن أبي ليلى : إذا أنتِ شددتِ قِنَاعَكَ فشانك ووجهك .

(١) المبدنة : الجسيمة .

فحسرت الفتاة عن وجه جميل . ثم قالت : أصلح الله القاضي ، إنَّ هذه عمتي وأنا أسميها أُمي لكبر سنها ، وإن أبي مات وخلف مالا ، وخلفني في حجرها ؛ فجعلت تمونني وتحسنُ التدبيرَ في المال وتوفيره عليّ ، إلى أن بلغت مبلغَ النساء ، فخطبني ابنُ عم لي ، فزوجتني منه ، فكان بي وبه من الحب ما لا يوقف على صِفته ، ثم إن ابنةَ لعمتي أذركت ، فجعلت هذه ترغبُ زوجي فيها ؛ فتاقتُ نفسه إليها ، فخطبها . فقالت : لست أزوجه حتى تجعل أمرَ بنت أخِي في يدي . فقال لها : قد فعلت ! فلم أشعر حتى أتاني رسولها فقال : عمتك تقرئك السلام وتقول لك : إنَّ زوجك خطب ابنتي ، وإنِّي أبيتُ أن أزوجهَا منه حتى يجعلَ أمرك في يدي ففعل ذلك ، فأنت طالق . فحمدتُ الله تعالى على ما بليت به .

وإنَّ زوج عمتي هذه قدم من سفرٍ ، فسألني عن قصتي ، فأخبرته فقال : تزوجين نفسك ؟ فقلت : نعم ! على أن تجعل أمرَ عمتي في يدي . قال لي : فما تصنعين إذا ؟ قلت : ذلك إليّ ؛ إما أن أعفو وإما أن أقتص . قال : قد فعلت ، فأرسلتُ إلى عمتي أن زوجك خطبني وأني أبيتُ عليه حتى يجعل أمرك في يدي ، ففعل ؛ فأنت طالق !

فضحك ابن أبي ليلى ! فقالت العجوز : لا تضحك أيها القاضي ، فالذي بقي أكثرُ وأعظمُ .

فقالت الشابة : ثم إن زوج عمتي مات ، فجعلت تخاصمني في ميراثه ، فقلت لها : هو زوجي وأنا أحقُّ بميراثه . فأغرث ابن عمي ووكلته بخصومتي ، ففعل .

فقلت : يا ابن العم ؛ إن الحق لا يُستحيا منه ؛ وقد صلحت لك إذ
نكحْتُ زوجاً غيرك ، فهل لك في مراجعتي ؟ فقال : كان ما كان ولا ذنب لي
فيه ، بل كنا على أشد رغبة وأعظم محبة . ثم قال : أو تفعلين ؟ قلت : على
أن تجعل أمر بنت عمتي بيدي . قال : قد فعلت . فأرسلتُ إلى بنت عمتي
أن زوجك خطبني ، وأني أبيتُ عليه حتى يجعل أمرك في يدي ، ففعل ، فأنتِ
طالق !

فقالت العجوز : أصلح الله القاضي ؛ أيحلُّ هذا ، أطلِّق أنا وابنتي ؟ فقال
ابن أبي ليلى : نعم ، التَّعَس (١) والنُّكْس لك .

ثم ركب إلى المنصور فأخبره حتى ضحك وفحص برجليه ، وقال : أُنْبَعَدَ
الله العجوز ولا فرَّج عنها .

● أتى رجل نخاساً فقال : اشتر لي حماراً ليس بالصغير المحتقر ، ولا
بالكبير المشتهر ، إن أشبعته شكر ، وإن أجمعه صبر ، وإن خلا الطريق
تدقق ، وإن كثر الزحام ترفق ، لا يصدُم بي السواري ، ولا يدخل بي تحت
البواري . إن ركبته هام ، وإن ركبه غيري نام . فقال له النخاس : أنظرنِي
قليلاً ، فإن مسخَّ الله فلاناً حماراً اشتريته لك !

● قال أبو سودة لابنه : يا بني ، تعلم خطبة النكاح ، فإنني أريد أن أنكح
أخاك . قال : نعم . فلما كان من الليل قال : أتعلمت شيئاً ؟ قال : نعم .
قال : هات . قال : الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، حيَّ
على الصلاة ، حيَّ على الفلاح .

(١) التعس : الهلاك .

فقال أبوه : يا بني ، لا تُقم الصلاة حتى أذهب وأجيء ، فإني على غير وضوء !!

● أتى رجل أبا محمد النوبهاري فقال : وضعتُ رأسي في حجر امرأتي فقالت : ما أثقل رأسك ! فقلت : أنت طالق إن كان رأسي أثقل من رأسك . فقال النوبهاري : تطلق عليك ، فقيل له : ولمَ ؟ قال : لأن القَصَّابين أجمعوا على أن رأس الكبش أثقل من رأس النعجة !

● كتب رجل إلى قاضٍ في أمر قوم من جيرانه اختصموا : إن الذي لم يجر بينهما غير مفهوم ، وقد أردتُ الاستصلاح فعاد استفساداً . فإن رأى القاضي - أدام الله عزله - أن يصفح عن كتابي فإن فيه نقصاً .

فقال القاضي : لا ، بل فيه زيادة لام ، كفانا الله شرّها (١) .

● سُئل أحدهم عن رجل فقال : رزين المجلس ، نافذ الطعنة .

فحسبوه سيدياً ! فإذا هو خياط : طويل الجلوس ، نافذ الإبرة !

● طلب العتبيُّ بعد ثمانين سنة أن يتزوج ، فقيل له في سبب ذلك فقال : أولاد الزمان فسدوا ، فأردتُ أن أذلمم باليتم ، قبل أن يُذلوني بالعقوق !

● ابتاع أعرابي غلاماً ، فقال له : إنسانبراً إليك من عيب فيه . قال : ما هو ! قالوا : يبولُ في الفراش . قال : إن وَجَدَ فراشاً فليفعل !

● رأى أعرابي سراويل في فلاة ، فأخذه يظنه قميصاً ، فلم يعرف كيف يلبسه !

فمرَّ يعدو ورماه . فلقية رجل فقال : مالك يا أعرابي ؟ قال : أصبتُ قميصاً للشيطان ، وأخاف أن يلحقني فيقول : لِمَ أخذت قميصي ؟ !

(١) يعني اللام الزائدة في كلمة «عزله» ، فكان المقصود : أدام الله عزّه .

● خصَّ والد أحد ولديه بهدية ثمينة دون ابنه الآخر، فسمع بذلك الابن الثاني، فكتب لأبيه شعراً :

ليس لي بعد إلهي مشتكى إلا إليك
وأخي في الفضل مثلي وكلانا في يديك
لا تفضُّلُهُ عليَّ بالحبا من ناظريك
إنما ابنك كعيني لك فداوي مُقلتيك
إن أذقت العين كُحلاً هاجت الأخرى عليك
فأرسل إليه هدية مثلها .

● دخل أبو عبد الله بن الجصاص على ابن له وقد احتضر، فبكى عند رأسه، وقال : كفاك الله يا بني الليلة مؤنة هاروت وماروت . قالوا : وما هاروت وماروت ؟ قال : لعن الله النسيان، إنما أردتُ يأجوج ومأجوج . قالوا : وما يأجوج ومأجوج ؟ قال : فطالوت وجالوت . قالوا : فلعلك أردت منكرًا ونكيرًا . قال : والله ما أردتُ إلا غيرهما ! ! يريد أن يقول : ما أردت غيرهما !

● وغفل عنه أهله يوماً فسمعوا صياحه، فأتوه، فوجدوه في بيت كالميت . فقالوا : ما لك ؟ قال : فكَّرتُ في كثرة مالي وشدة مصادرة السلطان للتجار في هذا الوقت وتعذيبه لهم بالتعليق، فعلقت نفسي ونظرتُ كيف صبري، فزحلت^(١)، فلم أتخلص حتى كذتُ أموت !

● كان أبو بكر الخوارزمي رافضياً غالياً . وكان فاحشاً بذيثاً، مستخفاً، جريئاً على ذوي الإنعام عليه والإحسان إليه . قال إسماعيل بن عبَّاد لما بلغه موته :

(١) زحل عن مكانه : زال، أو تنحى وتباعد .

سألتُ بريداً من خراسان مقبلاً أمات خوارزميكم؟ قال لي : نعم
فقلت اكتبوا بالحص من فوق قبره : ألا لعن الرحمن من يكفر النعم
وكان هجا بعض الملوك ، فظفر به ذلك الملك ، فوسمه في جبهته
سطين ، فيها شطران بأقبح هجاء . فكان يشدُّ العمامة على حاجبيه سترأ
عليهما .

● قال بعضُ الرواة : خرجنا نريد البصرة ، فنزلنا على ماء لبني سعد ، فإذا
أعرابيةٌ نائمة ، فأنبهاها للصلاة ؛ فأتت الماء فوجدته بارداً ، فتوجهت إلى
القِبلة قاعدة ولم تمس الماء . فكبرت ثم قالت : اللهم قمْتُ وأنا عَجلى ،
وصليتُ وأنا كسلى ؛ فاغفر لي عدد الثرى . قال : فعجبنا وقلنا : ما تجوزُ لك
الصلاة ، وما هذه بقراءة ! قالت : والله إن هذه لصَلاتي منذ أربعين سنة .

● وقام أعرابيٌّ وقد حضرت الصلاة فقال : حَيَّ على العمل الصالح ، قد
قامت الفلاح . ثم تقدَّم فكبر . وقال : اللهم احفظ لي حَسبي ونسبي ، وارُدْ
عليَّ ضالتي ، واحفظ هَملي (١) ، والسلام عليكم .

● وكان بمصر رجل يعرف بأبي جعفر الشق ، شبيه بأبي علي بن الجصاص
في الغفلة والجَدِّ والنعمة .

وقد حضر إليه رجل مرة ، فطلب إليه أن ينتظر ليأكل معه . فقدَّم
الطعام ، وفيه حصرمية غير محكمة . فرفع يده وقال : مثل مطبخي يكون فيه
مثل هذه ؟ عليّ بالطباخ . فأتى ، فقال له : ما هذا العمل ؟ فقال : يا سيدي
إنما أنا صانع ، وعلى قدر ما أعطى أعمل ، وقد سألت المنفقَ يشتري لي ما
أحتاجُ إليه فتأخر عني ، فعملت على غير تمكّن ؛ فجاء التقصيرُ كما ترى .

(١) الهَمَل : الإبل المتروكة ليلاً ونهاراً .

فقال : عليّ بالمنفق . فأحضر . فقال : مالي قليل ؟ قال : لا يا سيدي ، بل عندك نعمٌ واسعة . قال : فما لك تضايقتنا في النفقة ولا توسع كما وسّع الله علينا ؟ قال : يا سيدي ، إنما أنفقُ ما أُعطي ، وقد سألتُ الجُهيدَ أن يدفع لي فتأخّر عني . فقال : عليّ بالجُهيد . فأتي به ، فقال : ما لك لم تدفع للمنفق شيئاً ؟ قال : لم يوقع لي الكاتب . فقال للكاتب : لِمَ لم تدفع إليه شيئاً ؟ فتلعثم في الكلام ، ولم يكن عنده جواب . فقال للكاتب : قِفْ هاهنا . فوقف ، ووقف خلفه الجُهيد ، ووقف خلفَ الجُهيد المنفق ، وخلفَ المنفق الطباخ . وقال : نفيت من فلان إن لم يصنع كل واحد منكم من يليه بأكثر ما يقدر عليه ، فتصافعوا .

قال : فخرجت وأنا متعجب من غباوته ، ودقته في هذا الحكم .

● ودخل عليه كاتبه أبو الحسين ، فوجده يبكي بكاءً شديداً ويقول :
وا انقصام ظهراه ، وا هلاً كاه ! فقلت : ما للشريف لا أبكى الله عينه ؟
فقال : ماتت الكبيرة - يريد أمه - وكان باراً بها . فقلت : ماتت ؟ قال :
نعم ! فشقت جيبِي وأظهرتُ من الجَزَع ما يجِبُ لمثلي . ثم إني أنكرتُ الحال ،
إذ لم أجِدْ لذلك دليلاً ، لا أحد يعزّيه ، ولا في الدار حركة ؛ فبقيتُ حائراً
حتى أتت الخادِمة . فقالت لسيدها : الكبيرة تُقرئك السلام وتقول لك :
إيش تأكل اليوم ؟ قال : قولي لها ، ومتى أكلتُ قطّ بغير رغبتك ؟ فقلت له :
يا سيدي ، والكبيرة في الحياة ؟ فقال : وإيش تظنّ أنها ماتت من حق ؟
إنما رأيت البارحة في المنام كأنها راكبةٌ على حمار مصري تسقيه من النيل ،
فذكرتُ قول الشاعر : إذا ذهب الحمار بأم عمرو البيت
المشهور !!

● وقال أبو الحسين كاتبه : وأتيتُ إليه يوماً وقد ماتت والدتي فعرفته ، فبكى وقال : ماتت كبيرتي ومربّيتي - وهو كان أكبر منها بأربعين سنة - ثم قال لغلامه : يا بشري ، قُمْ فاجثني بعشرين ديناراً . فأتاه بها ، فقال : خُذها فاشترِ بعشرة دنانير كفنّاً ، وتصدّقْ بخمسة دنانير على القبر . وأقبل يصرّفُ هو الخمسة الباقية فيما يحتاج إليه من تجهيزه . ثم قال لغلام آخر : امض أنت يا لؤلؤ إلى فلان صاحبنا يغسلها ، فاستحييتُ منه وقلت : يا سيدي ، ابعث خلف فلانة تغسلها . قال : يا أبا الحسين ، ما تدع عَقْلَكَ في فرح ولا حزن ، كأنّ حرمك ما هي حرمي ! كيف يدخلُ عليها من لا نعرفه . قلت : نعم ! تأذنُ لي بذلك . قال : لا والله ما يغسلها إلّا فلان ! فقلت : وكيف يغسل رجلُ امرأة ؟ قال : وإنما أمك امرأة ؟ والله لقد أنسيت !!

● جاء رجل إلى أبي ضمضم يستعدي على رجل في دابةٍ اشتراها منه ، وظهر بها عيب . فقال له أبو ضمضم : وما عيبها ؟ قال : في أصل ذنبها مثل الرمانة ، وفي ظهرها مثل التفاحة ، وفي عجيزتها مثل الجوزة ، وفي بطنها مثل الموزة ، وفي حلقها مثل الأترجة ، فقال له أبو ضمضم : اذهب عنا ، فهذه صفة بستان وليست بصفة دابة !

● كانت امرأة سقراط كثيرة الأذى له ، وقد أقبلت يوماً تشتمه وهو ينظر في كتاب ولا يلتفت إليها ، وهي تغسل ثوباً ، فأخذت الغسّالة وأراققتها عليه ، فقال : ما زلت تُبرقين وترعدين حتى أمطرت !
- ولما مُضي به ليُقتل ، أقبلت تبكي وتصيح : وا مظلوماه ! فقال : أكان يسرُّك أن أقتل ظالماً ؟ !

● حبس عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الحطيئة لهجائه المقذع ، فكتب إليه من الحبس :

ماذا تقول لأفراح بذي مَرخ زُغِبِ الحواصلِ لا ماءً ولا شجرُ (١)
غادرتَ كاسبهم في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغفر هَذَاكَ مَلِيكَ النَّاسِ يا عمر
أنتَ الإمامُ الذي من بعد صاحبه أَلَقْتُ إِلَيْكَ مَقَالِيَدَ النَّهْيِ البَشْرِ
لم يُوْثِرُوكَ بها إذْ قَدَمُوكَ لها لكن لأنفسهم كانت لها الأثر (٢)

فبكى عمر وأحضره، فقال : قَدْ والله يا أمير المؤمنين هجوتُ أبي وامرأتي
وأمي . قال : وكيف ذلك ؟ قال قلت لأبي :

ولقد رأيتك في المنام فسؤتني وأبأ بنيك فسأني في المجلس
وقلت لأمي :

تَنَحَّيْ فَاجْلِسِي مِنِّي بَعِيداً أَرَأَيْتَ اللهُ مِنْكَ العَالَمِينَ
أَغْنِي بَالاً إِذَا اسْتُغِيثَ بِهَا وَكَانُوا عَلَيَّ المْتَحَدِينَ

وقلت لامرأتي :

واطلعت في بئر فرأيتُ وجهي قبيحاً فقلت :
أَبَتْ شَفَتَايَ اليَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمَا بسوءٍ فلا أدري لمن أنا قائله
أَرَى لِي وَجْهًا قَبَّحَ اللهُ خَلْقَهُ فَقُبِّحَ مِن وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ
فتبسّم عمر وقال : فَإِنْ عَفَوْنَا عَنْكَ ، أَمْهَجُوا بَعْدَهَا أَحَدًا ؟ قال : لا يا
أمير المؤمنين ، وَعَلَيَّ بِذَلِكَ عَهْدُ اللهِ ! فقال : لكَأني بفتى من قريش قد نصب

لك نمرقة (١)، فاتكأت عليها، وأقبلت تنشده في أعراض المسلمين. قال :
أعوذ بالله يا أمير المؤمنين .

قال بعض الرواة : فوالله لقد رأيتَه عند عبيد الله بن زياد على الحال التي
ذكر عمر، فقلت له : لكأن أمير المؤمنين عمر كان حاضراً لك اليوم ! فتأوه
وقال : رحم الله ذلك المرء، فما أصدق فراسته !

● قال مزيّد لامرأته : أنتِ غير شفيقةِ علي، ولا راعيةِ لي . فقالت : والله
لأننا أرمي بك من التي كانت قبلي وأشفق . قال : أنت طالق ثلاثاً ! لقد
كنتُ آتيها بالجرادة فتطبخ لي منها أربعة ألوان وتَشوي جنينها !

فَدَعَتْهُ إلى القاضي، فجعل القاضي يطلب له المخرج، فقال له :
أصلحك الله، لا عليك إن أشكلت المسألة، فهي طالق ثلاثين !

● ولقي مزيّد رجلاً كان صديقاً لأبيه فقال : يا بني، كان أبوك عظيم
اللحية، فما بالك أجرد؟ فقال مزيّد : خرجتُ لأمي !

● قال رجل لامرأته : الحمد لله الذي رزقنا ولداً طيباً . فقالت : ما رزق
أحدٌ مثلها رزقنا . فدعاها، فجاء، فقال له الأب : يا بني، من حفر البحر؟
قال : موسى بن عمران . قال : من بلطه؟ قال : محمد بن الحجاج !
فشقت المرأة جيبها، ونشرت شعرها، وأقبلت تبكي ! فتعجب الأب وقال :
ما لك؟ فقالت : لن يعيش ابني مع هذا الذكاء ! سيقتله ذكاؤه !

● مما يشكل هل هو مدح أو هجاء، أن أبا الينبغى دفع إلى خيَاط أعور
اسمه زيد طيلساناً يقوِّره له، فلما جاءه ليأخذه دفعه إليه، وقال له : قد

(١) النمرقة : الوسادة الصغيرة، أو المثيرة .

خِطْتُ شَيْئًا لَا تَدْرِي أَهْوَ طَيْلَسَانَ أَوْ هُوَ دُوَاجٌ (١). فقال : وأنا أقولُ فيكَ
بيتاً لا تدري أهو مدحٌ أو هجاء . وأنشده :

خَاطَ لِي زَيْدٌ قَبَاءً لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَاءَ
يريد بسواء : يكونان صحيحتين أو ذاهبتين .

ومن هنا اهتدى أبو الطيب المتنبى إلى قوله :

فِيَابَنَ كَرَوَيْسٍ يَا نِصْفَ أَعْمَى وَإِنْ تَفَخَّرَ فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ
تُعَادِينَا لِأَنَّكَ غَيْرُ لُكْنٍ وَتُبْغِضُنَا لِأَنَّكَ غَيْرُ عُرٍ

ومن عجيب ما يتعلّق بهذا الباب إنه وصل إلى حَضْرَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ رَجُلٌ
مِنْ أَهْلِ بَغْدَادٍ يَعْرِفُ بِالْمَبْحَثِ ، وَكَانَ يَنْقُرُ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ بِمَا لَمْ يَدْفَعِ
الْخِصْمَ وَلَا يَنْكُرُهُ الْوَهْمَ ، فَتَلَقَّاهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِالْيَمِينِ ؛ وَأَعْجَبَ بِهِ إِعْجَاباً
شَدِيداً ؛ فَقَالَ يَوْمًا : أَخْطَأَ امْرَأُ الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلدَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ
وَلَمْ أَسْبَأِ الرِّزْقَ الرُّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ لِحَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ

وهذا معدول عن وجهه لا شك فيه . فقيل : وكيف ذلك ؟ قال : إنها
سبيله أن يقول :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ لِحَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ
وَلَمْ أَسْبَأِ الرِّزْقَ لِلدَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ

فيقترن ذِكْرُ الحَيْلِ بِمَا يَشَاكِلُهَا فِي الْبَيْتِ كُلِّهِ ، وَيَقْتَرِنُ ذِكْرُ الشَّرْبِ وَاللَّهُوِ
بِالنِّسَاءِ . وَيَكُونُ قَوْلُهُ : لِلدَّةِ فِي الشَّرْبِ ، أَطْبَعُ مِنْهُ فِي الرُّكُوبِ .

(١) الدُّوَجُ : معطف غليظ .

فبهت الحاضرون، واهتزَّ سيف الدولة، فقال بعضُ الحاضرين من العلماء للمبحث : أنت أخطأت، وطعنت على القرآن إن كنت تعمّدت؟ فقال سيف الدولة : وكيف ذلك؟ فقال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى . وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾^(١). وعلى قياسه يجب أن يكون : إن لك أن لا تجوع فيها ولا تظمأ، ولا تعرى فيها ولا تصحى . وإنما عطفه امرؤ القيس بالواو التي لا تُوجب تعقيباً، ولا ترتب ترتيباً. فنجعل وانقطع .

● كان أبو الحارث حسين يُظهر لجارية من المحبة أمراً عظيماً . فدَعَتْهُ، وأخّرت الطعام إلى أن ضاق . فقال لها : مالي لا أسمع للغداء ذكراً؟ فقالت : يا سبحان الله ! أما يكفيك النظرُ إلي وما ترغبه فيّ من أن تقول هذا؟ فقال : لو جلس جميل وبشينة من بكرة إلى هذا الوقت لا يأكلان طعاماً، لبصق كلُّ واحد منهما في وجه صاحبه !

● تسابقت الخيل في الحَلَبَة، ففاز حصان من بينها، فجعل رجل من الحضور يكثر الفرح ويكبر ويصفق . فقال له رجل إلى جانبه : يا فتى، الحصان لك؟ قال : لا، ولكن اللجام لي !

● عوتب طفيلي على التطفل فقال : والله ما بُنيت المنازل إلا لتُدخل، ولا نُصبت الموائد إلا لتؤكل، وإني لأجمع في التطفل خصالاً جيدة، فأدخل مُجالساً، وأقعد مستأنساً، وأنبسط وإن كان ربُّ الدار عابساً، ولا أتكلف مَغْرماً، ولا أنفق درهماً، ولا أتعب خادماً !

● قيل لبشار بن برد : إن فلاناً يزعم أنه لا يُبالي بقاء واحدٍ أو ألف .

فقال : صدق، لأنه يفرُّ من الواحد كما يفرُّ من الألف !

● كان جامع بن وهب الصيدلاني من أكبر الناس دنيا، وأعظمهم

غفلة :

(١) سورة طه، الآيتان ١١٨-١١٩ .

— دخل بستاناً له ، فقال لوكيله : اغرس لي بصلاً بِخَلٍّ ، فإنه نافع
للصفراء !

— وعثرت به البغلة ، فقال لغلامه : انظر ، هل سال الدم من إصبعها ؟
وسقطت ابنته في البئر فقال : يا بنية لا تبرحي من مكانك حتى أجيء
بمن يخرجك منها !

● تعطّر مغفلاً بالبخور في ثياب نفيسة ، فاحترقت ، فحلف بالطلاق أن
لا يتبخّر بعدها إلا عُرياناً !

● وأتى مغفلاً آخر ليكسر لوزة . فزلقت عن الحجر ! فقال : كل شيء
يفرّ من الموت ، حتى البهائم أيضاً !!

● وقال الحمدوني في أضحية أهداها إليه سعيد بن أحمد بن جوسبنداد :

أسعيدُ قد أهديتني أضحيةً مكثت زماناً عندكم ما تُطعمُ
نضواً تغامزت الكلابُ بها وقد شدوا عليها كي تموت فيولموا
فإذا الملاً ضحكوا بها قالت لهم لا تهزؤوا بي وارحموني تُرحموا
مرّت على علفٍ فقامت لم ترمِ عنه وغنّت والمدامعُ سُجّمْ
● وقال :

أبا سعيد لنا في شاتك العبرُ جاءت وليس لها بؤولٌ ولا بعُرُ
وكيف تبعرُ شاةً عندكم مكثت طعامها الأيضان : الشمس والقمرُ
لو أنها أبصرت في نومها علفاً غنّت له ودموع العين تنحدرُ
يا مانعي لذّة الدنيا بما رُحبت إني ليمتعي من وجهك النظّرُ

وقال :

شاةٌ سعيد في أمرها عِبرٌ
وهي تُغني لسوء حالتها
مرّت بقطف خضر ينثرها
فأقبلت نحوها لتأكلها
وأبدلتها الظنون من طمع
كانوا بعيداً وكنث أملهم

وقال :

لسعيدٍ شُويهةٌ
قد تغنت وأبصرت
بأبي من بكفه
فأتاهما مطمّعاً
فتولى فأقبلت
ليته لسم يكن وقف

● قَدِمَ رَجُلٌ إِلَى الْقَاضِي فِي شَيْءٍ يَدَّعِيهِ عَلَيْهِ ، فَأَنكَرَ . فَقَالَ لِلْقَاضِي :

اكتب لي أصلحك الله إنكاره . قال : ذلك في يدك متى شئت !

● بعث عائشة بنت سعد بن أبي وقاص مولاها فنداً يأتيها بنارٍ - وهي بالمدينة - فمضى إلى مصر ، فأقام بها سنةً ، ثم جاء بنارٍ وهو يعدو مسرعاً ، فعثر ، فبدد الجمر ! فقال : تعست العجلة !!

ما رأينا لغراب مثلاً
غير فندٍ أرسلوه قابساً
إذ بعثناه يجي بالمشعلهُ
فثوى حولاً وسبَّ العجلهُ !

● صعد ابن زهير الخُزاعي جبلاً، فأعيا، وسقط كالمغشي عليه، فقال :
يا جبل ما أصنع بك ؟ أأضربك ؟ لا يوجعك . أأشتمك ؟ لا تُبالي . يكفيك
يوم تكونُ الجبال كالعهن المنفوش !

● قالت الخنفساء لأمها : ما مررتُ بأحد إلا بصق علي ! قالت : يا بُنية
لحسنك تُعوّذين .

● وقف كلب على قصاب فأذاه، فقال له القصاب : والله لئن قمْتُ
إليك لأرْمينك بهذا الكرش ! فلم يبرح . فتغافل عنه القصاب ، فلما طال
وقوفُ الكلب ، قال للقصاب : ترمينا بالكرش أو ننصرف !

الزهرات المنثورة في نكت الأخبار الماثورة (*) لابن سماك

● ذكر أن ملكاً من ملوك الهند^(١) نزل به صمم ، فأصبح متوجّعاً ، مهتماً بأمر المتظلمين وأنه لا يسمع استغاثتهم . فأمر مناديه ألا يلبس أحد في مملكته ثوباً أحمر إلا مظلوم ، وقال : لئن مُنِعْتُ سمعي لم أُنْع بصري . فكان كل مظلوم لبس ثوباً أحمر ووقف تحت قصره يكشف عن ظلامته !

● قال رجل ليحيى بن خالد البرمكي : والله لأنت أحلم من الأحنف ، وأحكم من معاوية ، وأحزم من عبد الملك ، وأعدل من عمر ابن عبد العزيز !

(*) الزهرات المنثورة في نكت الأخبار الماثورة / لابن سماك العاملي ؛ دراسة وتقديم وتحقيق محمود علي مكي . - مدريد : المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٠ ص .
والمؤلف أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي ، من تلاميذ ابن الخطيب في غرناطة خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري .
والكتاب مجموعة من الأخبار والطرائف والمواعظ ، قصد بها المؤلف تقديم مادة لتثقيف المتأدبين من الأمراء وأبناء السلاطين . يقول في مقدمته : « إن في الاطلاع على أخبار المتقدمين ومن سلف من خيار المسلمين لمسلاة للنفس ، واستجابلاً لحصول الأنس ، لما يتخلل ذلك من نوادر الأخبار ، ويفيد من المواعظ والاعتبار ، ولما يشتمل عليه من ضروب الفوائد ، ويوقظ إليه من الهداية إلى جميل السير وكريم المحامد ، لا سيما أخبار الملوك والأمراء ، والحجج والوزراء ، فأخبارهم تعمّر مجالس الأشراف ، وللفنوس إلى تعرّفها تطلع واستشراق ، ولهممهم عنها سؤالات ومباحث ، واستشهاد بما جرت به الكوائن والحوادث . . . فجمعت في هذا المرسوم من نكت أخبارهم الغريبة ، ونوادرهم العجيبة ، وتوقعاتهم المختصرة القريبة ، ما ربما يُستحسن مسموعه ، ويندر في كل كتاب وقوعه . أضفت كل شكل منها إلى شكله ، وضممت الفرع إلى أصله ، ضمّنته منها كل حكاية لطيفة ، وحليته بكل طريقة ، فاجتمع منها زهرات يانعة ، لفنون الأخبار جامعة ، بديعة الوضع ، مجنبة عن الطول ، فيها استبصار لأرباب العقول . . . » .
(١) في مصادر أخرى أنه من ملوك الصين .

فقال له يحيى : والله لعمير غلام الأحنف أحلم مني ، ولسرْحون كاتب معاوية أحكم مني ، ولأبو الزُّعيزعة صاحب شرطة عبد الملك أحزم مني ، ولمزاحم قهرمان عمر بن عبد العزيز أعدل مني . وما تقرب إليَّ مَنْ أعطاني فوق حقي .

فعجب مَنْ حضره من سرعة جوابه وتعديده لمن لا يعرفه ، حتى كأنه قد أعدَّ الجواب !

● عُرض على المنصور بن أبي عامر اسم أحد خُدامه في جملة مَنْ طال سجنه ؛ وكان شديد الحقد عليه . فوَقَّع على اسمه بأن لا سبيل إلى إطلاقه حتى يلحق بأمه الهاوية (يعني الموت) . وَعَرَفَ الرجل بتوقيعه ، فاغتمَّ وأجهد نفسه في الدعاء والمناجاة . فأرِق المنصور بن أبي عامر على إثر ذلك ، وحاول النوم فلم يقدر ، وكان يأتيه عند بداية نومه آت كرية الشخص ، عنيف الأخذ ، يأمره بإطلاق الرجل ويتوعَّده على حبسه ! فاستدفع شأنه مراراً ، إلى أن علم أنه نذير من ربِّه ، فانقاد لأمره ، ودعا بالرواة من مرقده ، فكتب بإطلاقه ، وقال في كتابه : هذا طليق الله على رغم أنف ابن أبي عامر !
وتحدَّث الناس زماناً بما كان فيه .

● سأل سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير : ما كنت تفرغُ إليه عند خروجك إلى حربك ومباشرة عدوك ؟
قال : الدعاء ، والصبر عند اللقاء .

قال : فأبي الخيل رأيتها في تلك البلاد أصبر ؟
قال : الشُّقر .

قال : فأبي الأمم كانوا أشدَّ قتالاً ؟

قال : هم أكثر من أن أصفهم لك .

قال : فأخبرني عن الروم .

قال : أسود في حصونهم ، عقبان على خيولهم ، إن رأوا فرصة افترصوها ،
وإن رأوا غلبة فأوعالاً تذهب في الجبال ، لا يرون الهزيمة عاراً .

قال : فأخبرني عن البربر .

قال : هم أشبه بالعرب لقاءً ونجدةً وصبراً وفروسيةً وسباحةً ، غير أنهم
أغدر الناس ، لا وفاء لهم ولا عهد .

قال : فأخبرني عن أهل الأندلس .

قال : ملوكٌ مترفون ، وفرسان لا يجبتون .

قال : فأخبرني عن الإفرنج .

قال : هنالك العدد والعُدَّة ، والجَلَد والشُدَّة ، والبأس والنجدة .

قال : فأخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم ؟ أكانت لك أم عليك ؟

فقال : أما هذا فوالله يا أمير المؤمنين ما هُزِمْتُ لي راية !

قال : فضحك سليمان وعجب من قوله !

● قال الخليفة أبو جعفر المنصور : بلغني أن أسداً لقي خنزيراً ، فقال له
الخنزير : قاتلني . فقال له الأسد : إنما أنت خنزير ، ولست لي بكفؤ ولا
نظير ، ومتى فعلت الذي تدعوني إليه فقتلتك قيل : قتل خنزيراً ، فلم أعد
ذلك فخراً ولا ذكراً حسناً ، وإن نالني من قبلك شيء كان سبباً علي .

فقال له الخنزير : إن أنت لم تفعل رجعتُ إلى السباع وأعلمتُها أنك نكلت عني وجبنت عن قتالي .

فقال الأسد : احتمالي كذبتك أيسرُ عليّ من لطح شاربي بدمك !

● حُكي عن معروف الكرخي أنه جلس يوماً على شاطئ دجلة وحوله جماعة من تلامذته ، إذ نظروا إلى قوم بإزائهم يتغنون بالعود ، ويتعاطون ماء العنقود ، فقالوا : أيها الأستاذ ، أما ترى اجترأ هؤلاء على الله ؟ ادعُ الله عليهم . فقال معروف : اللهم كما فرّحتهم في الدنيا ففرّحهم في الآخرة . فقالوا : سألتناك أن تدعو عليهم فدعوت لهم ! قال : نعم ، إنه إن فرّحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا .

● خرج الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فنظر إلى النجوم تُزهر ، فحمد الله ، وسبّح ، واعتبر ، ثم قال في آخر كلامه : اللهم لا تُخوِّجني إلى أحد من خلقك ! فسمعه أبوه رضي الله عنه فقال : تطلب من الله شيئاً لم يُعطهُ الصفاة من أنبيائه ؟ إنما قل : اللهم ليّن لي قلوب عبادك .

● قيل لأعرابي : أتحسن أن تدعو ربك ؟ قال : نعم . قيل : فادعُ . فقال : اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك ، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك .

سلوان المطاع في عدوان الأتباع (*)

لابن ظفر الصقلي

● حُكي أن موسى الهادي كان يوماً في بستان ومعه أهل بيته وبطانته ، وهو راكب على حمار، وليس معه سلاح . فدخل عليه حاجبه ، فأخبره أن رجلاً من الخوارج جيء به أسيراً - وكان الهادي حريصاً على الظفر به - فأمر بإدخاله بين رجلين قد أمسكا بيديه . فلما رأى الخارجي الهادي ، جذب يديه من الرجلين الذين كانا يمسكانه ، واخترط سيف أحدهما ، ووثب نحو

(*) السلوانات في مسامرة الخلفاء والسادات : سلوان المطاع في عدوان الأتباع / تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن ظفر الصقلي ؛ حرره وراجعته على النسخ الخطية وقدم له : أبو نهلة أحمد بن عبدالمجيد . - القاهرة : أسعد طرابزوني الحسيني ، ١٣٩٨هـ ، ١٥١ ص .

يعد الكتاب ضمن كتب سياسة المجتمعات ، عن طريق سرد الحكايات وإيراد الحكم والوصايا والإرشادات ، مما يناسب سياسة الملوك ، ويتنفع به القادة والرؤساء . وقد ألفه ابن ظفر سنة ٥٥٤ هـ للقاتل الصقلي أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم علي القرشي . وذكر في مقدمته أنه سمي هذه السلوانات التي جمعها «سلوان المطاع . . .» مبيناً أن «السلوان» جمع سلوانة ، وهي خريزة تزعم العرب أن الماء المصبوب عليها إذا شربه المحبُّ سلا !!

والكتاب يحوي خمس سلوانات : الأولى في التفويض ، والثانية في التأسي ، والثالثة في الصبر ، والرابعة في الرضى ، والخامسة في الزهد .

وهي طويلة ، وقد انتقيت منها حكايتين أتنا عرضاً ضمن هذه السلوانات ، مع انتقاء بعض الحكم والإرشادات المفيدة الغريبة .

والمؤلف ولد بصقلية ، ونشأ بمكة المكرمة . وقصد مصر في صباه ، ثم قصد المهديّة بإفريقيا . ولما استولى النورمانديون على المهديّة سنة ٤٨١ هـ انتقل إلى صقلية ، ومنها إلى حلب ، ماراً بمصر . وفي حلب كتب تفسيره للقرآن الكريم بمدرسة ابن أبي عصرون ، ثم قصد حماة بعد أحداث وقعت في حلب . وفي حماة تلقى وظيفة بالديوان كان راتبها دون الكفاف . وكان دميم الخلق ، غير أنه صبيح الوجه - كما يذكر ابن خلكان والصفدي - ت ٥٦٥ هـ .

الهادي . ولما رأى ذلك مَنْ كان حول الهادي من أهله وخاصته ، فرُّوا جميعاً ، وبقي الهادي وحده . فثبت على حماره بمكانه ، حتى إذا قرب الخارجي منه وكاد يعلوه بالسيف ، قال الهادي : اضرب عنقه يا غلام ! فالتفت الخارجي حين سمع ذلك ، ووثب الهادي عن سرجه ، فإذا هو على الخارجي ! وسقط الخارجي تحته ، فقبض الهادي على يده ، وانتزع منه السيف ، فذبحه به ، ثم عاد إلى ظهر حماره من فوره . وتراجع إليه خاصته وأهله يتسللون وقد مُلِّئوا منه رعباً وحياءً ، فما خاطبهم في ذلك بحرف . ولم يكن بعد ذلك يفارقه سيف ، ولا يركب إلا الخيل .

● حُكي أن طحاناً كان له حمار يطحن به ، وكانت له زوجة سوء يحبها ، وهي تحب جاراً لها ، وذلك الجار الذي تحبه يبغضها ويمتنع منها . فرأى الطحان في منامه قائلاً يقول له : احتفر في موضع كذا من مدار الطاحونة تجد كنزاً . فحدّث امرأته برؤياه ، وأمرها بكتمانه . لكنها أخبرت بها جارها الذي تهواه ، وتقربت بها من قلبه . فواعدها أن يذهب إلى الموضع ليلاً ليتعاونوا على حفرة . وفَعَلَا ذلك ، فوجدوا الكنز ، واستخرجاه . فقال جار المرأة لها : كيف نصنع بهذا المال ؟ قالت : نقسمه نصفين بالسواء ، وينطلق كل واحد منا بنصفه إلى منزله ، وتفارق أنت زوجتك ، وأحتال أنا في فراق زوجي ، ثم تتزوجني ، فإذا اجتمعنا على النكاح جمعنا المال ، فكان بأيدينا .

فقال لها جارها : أنا أخاف أن يطغيك الغنى فتتكحي غيري ، ثم قال لها : بل الرأي أن يكون جملة المال عندي لتحرصي على التخلص من زوجك واللاحاق بي .

فقالت له المرأة : إني أخاف منك مثل الذي خفت مني ولست مسلّمةً إليك حظي من هذا المال ، فلا تحسدي على حظي منه ، وقد آثرتك بالدلالة عليه .

فلما سمع مقالتها، دعاه البغي والشَّرة والحذر من نميمتها عليه، إلى قتلها! فقتلها، وألقاها في موضع الكنز، ولم يوار جسدها بالتراب . . فقد كان في عجلة من أمره!

ويخرج الطحَّان من بيته وهو راكب حماره متجهاً إلى مكان الكنز . . وعندما وصل إلى مقربة منه، رأى حماره جثة المرأة . . فوقف ولم يتقدَّم، فضربه الطحَّان، لكنه لم يتحرك - وهو لا يعرف سبب توقفه - فأخذ سكيناً، ونخسه نخسات كثيرة . . ثم استشاط غضبه، فطعنه بها على خاصرته، فمرت فيه السكين، وسقط ميتاً.

ولما انتشر الضوء، رأى الطحَّان الحفرة، ووجد امرأته فيها مقتولة، فاستخرجها، فرأى آثار الكنز. فاشتدَّ أسفه على ذهاب الكنز، وهلاك المرأة والحمار، فقتل نفسه!

● سأل يزدجرد بن بهرام حكيماً من الفلاسفة: ما صلاح المُلْك؟

قال: بالرعية، وأخذ الحق منها بغير تعسف، والتودُّد إليها بالعدل وأمن السُّبل، وإنصاف المظلوم.

قال: فما صلاح المَلِك؟

قال: وزراؤه. إذا صلحوا صلح.

● قيل: كان الحجاج بن يوسف إذا تعارضت آراؤه في خطب من

الخطوب أنشد:

دعها سماويَّةً تجري على قَدَرٍ لا تفسدنيَّ برأي منك منكوس

● قيل: إن حروف الغربة مجموعة من أسماء دالة على محصول الغرب!

فالغين: من غدر وغيبة، وغبن وغم وغلة، وهب حرارة الحزن، وغيره

وغول، وهي كلها مهلكة.

والراء: رزء وروع وردى، وهو الهلاك.

والباء : من بلوى وبؤس وبوار، وهو الهلاك .

والهاء : من هون وهواء وهم وهلك !

● كان يقال : يُسْتَدَلُّ على إدبار الملوك بخمسة أمور :

أحدها : أن يستكفي الملك بالأحداث ومن لا خبرة له بالعواقب .

والثاني : أن يقصد أهل مودته بالأذى .

والثالث : أن ينقص خراجه عن قدر مؤونة المملكة .

والرابع : أن يكون تقريبه وإبعاده للهوى لا للرأي .

والخامس : استهانتة بنصائح العقلاء وآراء ذوي الحنكة .

- ليس الأسير من أوثقه أعداؤه أسراً، إنما الأسير من أوثقه هواه قسراً .

- كُتِبَ في الصحيفة الصفراء المعلقة في أعظم هياكل الفرس : كما أن

الحديد يعشق المغناطيس ، فكذلك الظفر يعشق الصبر، فاصبر تظفر .

- الصبر دَرَجٌ يفضي بمن عَرَجَ إلى الفرج .

- انظر إلى الناصح : فإن أتاك بما يضرُّ غيرك ولا ينفعك ، فاعلم أنه

شرير . وإن أتاك بما ينفعك ويضرُّ غيرك ، فاعلم أنه طامع . وإن أتاك بما

ينفعك ولا يضرُّ غيرك ، فاصغ إليه وعوّل عليه .

- إذا عجزت عن التحصن من كلام عدوك ، فأنت عن التحصن من كيدك

أعجز .

- أيدي الرعية تَبَعُ لألستها، فإذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن

تصول .

- لا تغشَّ عدوكَ إلا متسلحاً متحرزاً متحفظاً ، ولا يغرِّك منه استسلامه وإلقاؤه السلاح ، فما كلُّ سلاح يُدركُ بالبصر .
- من تعرَّض لما لا يعنيه ، تورَّط فيما لا قبل له به .
- إذا لم تجد من السخِّدَم إلا من ساء أدبُه ، فاخدم نفسك ولا تستخدمه ؛ لأنه يحمل على قلبك من المشقة أضعاف ما تحمل على بدنك .
- من أوضح وبيَّن فقد نصح وزين ، ومن حذر وبصر فما غدر ولا قصر .
- الغنى مفسدة للنساء ، لغلبة شهواتهن على عقولهن !

صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم (*) للسيوطي

● صاحب الذوق السليم : مزاجه مستقيم ، يتخذ التواضع سُنَّةً ،
والعطاء من غير منَّة ، والعمو عند المقدرة ، والتغفل عن المعيرة ، لا يزدري
فقيراً (١) ، ولا يتعاضم بأمر ، لا ينهر سائل ، ولا هو عما لا يعنيه سائل ، كريم
طروب ، قليل العيوب ، كثير المزاح ، جميع خصائله ملاح ، صاحب
الأصحاب ، حبيب الأحاب ، ليس بكذاب ولا مغتاب ، نطقه صواب .
عفيف شريف ، كئيب لطيف ، ليس بكثيف . مليح الصفات ، ليس
بقتات (٢) يواسيك ويسليك ، ويتوجع إليك ، ويعظك ويتحفك بعلمه
وماله ، ولا يُجوجك إلى سؤاله ، ينظر إلى المضطر بعين الفراسة ، ويواسيه
بكياسة . رجل همام ، والسلام .

المسلوب الذوب الأحمق : عقله ممزق ، وعيناه تتحلقت ، يعيط ويبقب (٣) ،
ولزوجته يطلق ، لا يهتدي لصواب ، ولا يتأمل ردَّ جواب . إن مدحتَه

(*) كتاب في صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم / جلال الدين أبو الفضل
عبدالرحمن السيوطي . - ط ، محققه . - بيروت : دار ابن حزم ، ١٤١١هـ ، ٨٠ ص .
وهو جزء من مقامات السيوطي ، التي لم ترد ضمن «شرح مقامات جلال الدين السيوطي» التي
صدرت في مجلدين ، بشرح سمير محمود الدرؤبي .

يبدأ الإمام السيوطي مقامته هذه بصاحب العقل والذكاء ، ويذكر من صفاته ، ويُنثي بضده وهو
الأحمق ، ثم يذكر صاحب الذوق السليم من الملوك وضده ، ومن الأمراء والأجناد وأبناء الترك
والغلمان ، ثم يذكر بعد ذلك القضاة والموقعين والخطباء والكتّاب وغير ذلك ، إلى أن يختم
بصاحب الطرب من المغنين والملحنين ، وينتهي مقامته بأرجوزة في مقامات الغناء .

(١) ينحو الكاتب منحى العامية في مقاماته ، ولا يراعي القواعد النحوية ، من أجل السجع .

(٢) القَتَات : النَّمَام .

(٣) بقبق : كثر كلامه .

ازدراك، وإن تركته عاداك وهجاك . ما لعلته دواء، والخير والشرُّ عنده سواء . لو فرشتَ خدك بالأرض، ظن أن ذلك عليك فرض . إذا لبس الشيء الجديد، يظنُّ الناس كلهم له عبيد . في نفسه غلطان، ويظنُّ أنه سلطان . فهو من أنكاد الدهر، والخَلْقُ جميعاً منه في قهر . رجل مطلق، سيء الأخلاق .

النذل من الرجال : قليل الوفاء، مصفوع القفا . قليل الغيرة، مع كل خيل مغيرة . قليل الأدب، كثير الضحك بلا عجب . كثير النوم، قليل الهمة بين القوم . لا يقضي حاجة، كثير اللجاجة . يأكل الكدَّ الكثير، ولا يرى لذلك تأثير . ولو خربت الشام وسائر الثغور، تراه من غير فكر في البجاقات يدور . يغوي الخصال القباح، ويترك الخصال الملاح . كثير العيوب، وهو من الذوق مسلوب . رحم الله من تأمل هذه الخصال، وجعل بينه وبينها انفصال .

صاحب الذوق السليم من القضاة : لا يقبل الرشوة، ويترقُّ في الدعوة، لا يسعى في وظيفة، ويتأمل ما كان عليه أبو حنيفة . ينظر في حال المسكين، ويحصل له عليه من المشقة كمن ذُبِح بغير سكين . رضي الخلق سيوس، ضاحك غير عبوس . يساوي بين الخصمين، وينظر في حقيقة الدَّين . لا يميِّز صاحب ألف دينار على من يملك قنشار^(١)، ويعلم أن قاضياً في الجنة وقاضيين في النار . لا يراعي في الحكم جار، ويخشى أن يُحرق بالنار . له معان وبيان، وفقه وتصريف بإمكان، فهو خير إنسان . نطقه سعيد، وخيره يزيد، وقد أقامه الله تعالى لمصالح العبيد . فهو خائف من الله

(١) القنشار : ما يساوي فلساً أو نحوه .

متوكل على الله ، لا يحكم إلا بحكم الله . لا يقبل شهادة الزور، ولو كان على وزن الخردلة في كل الأمور.

فرحم الله من تأمل هذه الخصال ، وجعل بينه وبينها اتصال .
ضد ذلك المسلوب الذوق من القضاة^(١): لا فقه ولا معاني ولا بيان ،
ألكن اللسان ، لا يسوي بين الخصمين ، ويقبل الرشوة ولو كانت فلسين . لا
يرافق العلماء ، ويزدري بالفقراء . يقبل شهادة الزور، ولا ينظر في عواقب
الأمور، كأنه لا يرى التنقل من القصور إلى القبور، فهو رجل مغرور أو
مسحور. فلا يفيق من الغفلة ، وهو أضعف من نملة . ليس هو أهل
الوظيفة ، ولا يتأمل ما قال أبو حنيفة . فرحم الله من اتبع النعمان ، وأعرض
عن القضاء في هذا الزمان .

صاحب الذوق السليم من الشَّحَّاذين : قليل السؤال ، كثير الاحتمال ،
يرضى بالقوت ، حتى لا يصير ممقوت . راض بقسمة الله ، متوكل على الله .
يمضي خصماً ويعود بطنان ، فهو من الشيطان في أمان . لا يجزن على ما فاته
بالأمس ، مهذب الأخلاق ، لا يخالف الرفاق ، كل خلوة عنده حلوة ، إذا
حصلت المؤونة ، فلا يشقُّ المدينة . عفيف النفس نظيف ، لا يسأل الناس
أكثر من رغيف .

و ضد ذلك المسلوب الذوق من الشَّحَّاذين : ثقیل الدم لحوح ، لو حلفت
له بالطلاق ما يخليك تروح ، جَرَبَنْدِيَّتُهُ^(٢) ملائنة كِسْر، ويحلف أنه ما فطر.
يشحت من بكرة إلى العشاء ، ويقول إنه بات بلا عشاء . يجهل نعمة الله ،
ولا يرضى بما قسم الله ، وقلبه ملآن بالحسد ، ولا يشكر أحداً ، يكتز الفضة

(١) لم أنقل كل ما قاله الكاتب . . هنا وهناك !

(٢) جراب يوضع على الكتف .

والذهب . يسأل وعنده ما يكفيه ويزيد ، فكأنه من نار جهنم يستزيد .
لا يشتري له حاجة بفلوس ، بل يشحت من النصارى واليهود والقسوس .
كثير السؤال ، قليل الاحتمال . ما يكفيه كافية ، فلا شفاه الله بعافية .
صاحب الذوق السليم من النساء : صيئة ، ديئة . ليئة المعاطف ، قلبها
من الله خائف .

لا تكلف بعلمها ما لا يطيق ، فهي من المؤمنات بتحقيق . ليست صحابة ،
ولا كذابة . جفونها وسنة ، وألفاظها حسنة . شفوقة رفيقة ، فهي نعمة وثيقة .
تأكل من ماله بالمعروف ، ولا ذبح كل يوم خاروف . لا تشكو بعلمها
للجيران ، خائفة من النيران . نهارها صيام ، وليلها قيام ، ودينها تمام . كثيرة
السكون ، سوداء العيون . كيئة ظريفة ، عفيفة شريفة ، لطيفة نظيفة . لا
تنقض العهود ، قليلة الصدود ، ناعمة الحدود . لا تسفر عن وجهها لغير
بعلمها ، ولا تلين كلمتها إلا لأهلها . تزيد محاسنها بالعبادة ، وتتخذ الخير
عادة ، داعية إلى الله أن تموت على الشهادة .

و ضد ذلك المسلوب الذوق من النساء : صحابة ، سخاطة ، حمرية
شرواطة ، حرفوشة عياطة (١) . لا يصطلى لها بنار ، وهي من الأشرار .
تتمنحس (٢) وتغير ، وزوجها معها كالأسير ، تكلف زوجها ما لا يطيق . لا
تقنع بالقليل ، ولا تراعي في الأنام خليل . كثيرة الملك ، ولو لبست حلة من
الحلل . تكره الحلال ، وتبدي له الضجر والملال . نحسها معروف ، ولو أنفق
عليها من الألف . حالها متلوف ، ولو ذبح لها كل يوم خاروف .
فرحم الله امرأة تأملت هذه الخصال ، وجعلت بينها وبينها انفصال .

(١) السخاطة يعني كثيرة السخط ، والحمرية ربما من الاحمرار عند الغضب . وشرواطة كثيرة
الشروط ، وحرفوشة هي الأشرة كثيرة العراك ، وعياطة أي دائمة الصياح والجلبة .
(٢) هي التي يصحبها النحس دائماً .

طرائف الأطباء (*) للحكيم التكريتي

● كان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه ، فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت ، فاجتمع عنده أولاده وقالوا : ندعو لك فلاناً أخانا؟

قال : إن جاءني قتلني !

فقالوا : نوصيه أن لا يتكلم .

فدعوه ، فلما دخل عليه قال له :

يا أبت قل لا إله إلا الله تدخل بها الجنة وتفز من النار، يا أبت والله ما شغلني عنك إلا فلان ، فإنه دعاني بالأمس إلى ضيافة ، فأهرس وأعدس واستبرح وسكبح وطهيج وأخرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوذج . .

(*) طرائف الأطباء / راجي عباس التكريتي ، ط ٢ . - بيروت : دار الأندلس ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٣٦٨ .

والكتاب مجموعة فريدة من النوادر والفكاهات والطرائف التي تتناول الطب والأطباء والمرضى والمستشفيات قديماً وحديثاً ، جمعها طبيب متخصص في أوقات متفاوتة ، لتكون تنفيساً لمن أهجمه مشكلات الحياة ودور ما الشائكة ، وتكون تسلية لمن هم على أسرة المرض ، وربما تكون

فصاح أبوه : أغمضوني فقد سبق هذا ملك الموت إلى قبض روحي !

● انتاب الشاعر حافظ إبراهيم ألم في بطنه من الجهة اليسرى ، فاعتقد أنه مريض بـ«المصران الأعور» فأخبر بذلك طبيباً صديقاً له ، فطمأنه بأن «الأعور» لا يكون إلا في الجهة اليمنى .

فقال حافظ : يا دكتور يمكن يكون الي عندي أعور شمال !!

● تأملت امرأة جحا ، فأشارت إليه أن يأتي بالطبيب . فذهب لإحضاره ، وفيما هو خارج من الباب أطلت من النافذة وقالت له : الحمد لله فقد زال الألم فلا لزوم للطبيب .

ولكن جحا أسرع في الحال إلى الطبيب وقال له إن امرأتي تأملت وأشارت بلزوم إحضارك إلا أنها أطلت من النافذة وقالت : الحمد لله زال الألم فلا لزوم للطبيب ، لذا جئت لأخبرك حتى لا تتحمل مشقة الحضور!

● قال سعيد بن بشير عن أبيه : إن عبدالمملك قال حين ثقل به المرض ورأى غسلاً يلوي ثوباً بيده : وددت أني كنت غسلاً لأعيش بها أكتسب يوماً فيوماً .

فذكر ذلك لأبي حازم فقال : الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه .

● كان «هتري أرسكين» المدعي العام في أسكتلندا في أواخر القرن الثامن عشر يتلقى علنومه على ييد أستاذ خاص اشتهر بضعف ذاكرته . وكان «أرسكين» شديد الإعجاب بأستاذه العجوز .

وفي أحد الأيام التقى التلميذ بأستاذه بعد أن تخرج وأصبح رئيساً للنيابة ،

فسأله هذا الأخير: لقد علمت بمزيد الأسف يا بني أن أحد أفراد أسرتك قد أصيب بالحمى ، وأنه قضى نحبه ، تُرى هل كنت أنت أم شقيقك ، هذا الذي مات بالحمى؟

وذهل «أرسكين» وهو يستمع إلى سؤال أستاذه الغريب ، فما كان منه إلا أن قال : كنتُ أنا يا سيدي الذي أصيب بالحمى ومات !
ومدَّ الأستاذ يده مصافحاً تلميذه ثم قال :

- آسف جداً يا بني ، أرجو أن تبلغ أسرتك خالص تعزيتي .

وانصرف الأستاذ العجوز!

● كان بعض الأطباء يتقاضى خمسة جنيهاً عن الفحص الأول ، وجنيهاً عن الفحص الثاني .

ومرة جاءه مريض ماكر لم يسبق أن فحصه ، فلما دخل عليه بادره بقوله :

- إن الدواء الذي وصفته لي في الزيارة الأولى لم يشفني؟

ففطن الطبيب إلى ما يرمي إليه ، ولكنه تجاهل ، ومضى يتحسس جسده وأعضائه ، ثم قال له :

- إنك أحسن حالاً مما رأيتك عليه قبل الآن ، فثابر على الدواء الذي وصفته لك في المرة السابقة!

● خصص أحد كبار الأغنياء في الغرب نصف إيراده لعلاج المرضى الفقراء من كل لون ودين ، فقال له أحد القساوسة :

- لو خصصت هذا المبلغ لمرضى الطائفة التي تنتمي إليها وحدهم؟

فأجابه الرجل غاضباً:

- لا يا سيدي . . إن جميع المرضى عندي سواء ، فليس ثمة طاعون كاثوليكي ، ولا سل بروتستانتية ، ولا سرطان أرثوذكسي!

● دفعت المرأة أجرة الفحص إلى السكرتيرة ودخلت إلى الدكتور هادي السباك حاملة طفلها البالغ من العمر بضعة شهور، وهي شاكية ومشتبهة بأن شيئاً ما في عظام الطفل .

وبعد الفحص الدقيق أكد لها الدكتور السباك بأن طفلها بأتم الصحة ، ولا يوجد في الساقين والعظام بصورة عامة مرض أو خلل ما على الإطلاق ، وليس بحاجة إلى أي نوع من العلاج .

وهنا رجعت السيدة وتوجهت إلى السكرتيرة وقالت لها : ارجعي لي الدينار؛ لأن الدكتور يقول : لا يوجد شيء في العظام ولا يحتاج إلى علاج!

● أصيب شيخ يبلغ السبعين من عمره بشلل في رجله اليمنى ، فاستدعى طبيباً لفحصه وسأله :

- هلا أخبرتني يا سيدي كيف حصل لي هذا لشلل؟

فأجابه الطبيب :

- السبب بسيط . . إنه كبر سنك!

وهنا قال المريض :

- ولكن أتصور يا دكتور أن رجلي اليسرى خرجت من بطن أمي مع اليمنى بوقت واحد فلماذا لم تصب بالشلل أيضاً؟

● سأل أستاذ الطب طلابه سؤالاً عجزوا عن الإجابة عليه جميعهم ، إلا واحداً وقف وأخذ يلقي الجواب عن ظهر قلب حرفاً حرفاً كما ورد في الكتاب ، فقال له الطبيب الأستاذ :

- اجلس ، فإنك لست بأحسن من رفاقك . . أنت مصاب بإمساك في التفكير وإسهال في الكلام !

● كان أول سؤال وجهه المتحنون لأحد طلبة الطب ما يلي :

- اذكر لنا خمسة أسباب تجعل حليب الأم أفضل من حليب البقرة .

وهنا صمت الطالب برهة ثم أجاب :

أولاً: لطراوته ، ثانياً لنظافته ، وثالثاً: لسهولة استصحابه عند الذهاب للتنزه ، ورابعاً: لأن القوط لا تستطيع سرقة ، ثم فكر بسرعة وأجاب :
 وخامساً: لأنه محفوظ في إناء أنيق . . !!

● تظاهرت الأم بأنها مريضة ، فأخذها ولدها إلى الطبيب ، فقال له الطبيب :

- يا بني ، إذا أردت شفاء أمك فزوِّجها !

فتزوجت الأم وهي كبيرة في العمر ، فطلقها زوجها .

ثم تظاهرت بالمرض ثانية ، فقال لها ابنها :

- . . هل أجلب لك الدكتور؟

فقالت :

- لا داعي لذلك . . أنت تعرف الوصفة من المراجعة السابقة !

● إذا وجدت أيتها الأم صعوبة في حمل طفلك الصغير على ابتلاع حبة الدواء ، فما عليك إلا أن تضعي الحبة أو القرص على الأرض . . واطركي طفلك يجبو بقربها ، وثقي أنه سيلتقطها في أقرب وقت ، وابتلعها بسرعة قبل أن تتمكني من منعه!

● جلس عدة آباء في حجرة الاستقبال بمستشفى الولادة ينتظرون أخبار وضع زوجاتهم :

وفُتح الباب فجأة ، وأطلت منه الممرضة ، ثم أشارت إلى أحد الجلوس قائلة :

- أهنتك يا سيدي . . لقد رُزقت ابناً جميلاً .

فنهض رجل آخر منفعلاً وقال :

- ما هذه الفوضى؟ أين النظام؟ إنني هنا قبله بساعتين!

● دخل الطبيب غرفة النوم وترك الزوج واقفاً بقلق خارج الغرفة .

وبعد دقيقتين خرج الطبيب وطلب سكيناً كبيرة! فاعتذر الزوج بعدم وجودها لديهم!

ودخل الطبيب الغرفة مرة أخرى ، وخرج بعد مرور خمس دقائق ، وطلب هذه المرة مطرقة مع مفك!

فذهب الزوج ، وأحضرهما بسرعة ، وكان في حالة شديدة من الذعر!

ودخل الطبيب الغرفة ليعود بعد خمس دقائق قائلاً :

- أنا متأسف . . أعتقد بأنني بحاجة إلى منشار!

فردّ الزوج المسكين قائلاً:

- أسألك بالله يا دكتور، هل يمكن نقل زوجتي إلى المستشفى إذا كانت بهذه الدرجة من الخطورة؟!!

فأجاب الطبيب:

- كلا.. إنني فقط حاولت جاهداً فتح حقيبتني!

● بعد أن أنهى الطبيب فحص الزوجة، تقدم نحو الزوج وقال بصوت منخفض:

- عفواً.. إن أعراض زوجتك وهمية فقط، وقد كتبت لها أدوية وهمية!

وهنا بادر الزوج:

- ما دامت الأعراض وهمية، والعلاج وهمياً، فلتكن أتعابك وهمية إذن!

وخرج من غرفة الطبيب!

● ذهب رجل إلى أحد المختبرات ومعه «بوله». وبعد استلام النتيجة كُتب

فيها:

حامل ثلاثة أشهر!

وتعجب المريض من ذلك، وأخذ يصب جام غضبه على المختبرات والأطباء وأخطائهم القاتلة.

ولكن بعد رجوعه إلى الدار أخبرته زوجته أن البول الذي كان في القارورة كان قد انسكب، مما اضطرها لأن تضع هي عوضاً عنه!!!

● في لبنان، لاحظت فيوليت أن جاريتها قد اقترب يوم ولادتها، فسألتها:

- هل اتفقت مع أحد الأطباء أو إحدى المولّدات؟

فردت عليها قائلة :

- كلا، فإن زوجي يرفض أن نفعل هذا، فمن رأيه أن يعتمد الإنسان على نفسه!

● أعلن أحد الصيادلة عن دواء يعيد الشباب . فاشتد إقبال الناس على شرائه؛ فجاءه رجل يطلب منه زجاجة، ولكن الصيدلي أخطأ، فأعطاه مسهلاً بدلاً منه!

وما لبث أن شرب الرجل جميع محتويات القنينة!

وفي الطريق إلى بيته شعر بمغص وإسهال، إلى درجة أنه لم يستطع ضبط نفسه، فتلوّثت ملابسه الداخلية . فلما بلغ الدار رآته زوجته، فسألته عن الأمر، فقال لها:

- لقد أعطاني الصيدلي دواءً يعيد إليّ الشباب . . ويظهر أن الدواء من القوة بحيث أرجعني إلى دور الرضاعة!!

● تقابل زميلان قديمان، وكان أحدهما قد تخرّج طبيباً، وأما الآخر فقد اشتغل صياداً.

وفي يوم ما، أراد الطبيب أن يعبر النهر، وأخذ الصياد في قاربه . . وسأله الطبيب:

- هل تعرف شيئاً عن الفسلجة والتشريح والطب؟

فأجاب الصياد: أبداً.

فقال له الطبيب : لقد ضاع عليك نصف عمرك .

وبعدها هبت عاصفة شديدة ، فدار بينهما الحديث الآتي :

الصياد : هل تعرف شيئاً عن السباحة؟

الطبيب : أبداً .

الصياد : إذن لقد ضاع عليك عمرك كله!

● المريض : إنني أشعر بتعب في معدتي يا دكتور . .

الطبيب : لا تأكل كثيراً .

المريض : وهل الأكل متعب للمعدة؟ إن أجدادنا كانوا يأكلون كثيراً
وكانت معدتهم مثل الحديد!

الطبيب : أجدادنا كلهم قد ماتوا . . !

● الزبون لطبيب الأسنان : إذا أحضرت لك زبائن هل تعطيني عمولة؟

طبيب الأسنان : طبعاً! كلما أتيت لي بزبون أقلع لك ضرساً واحداً مجاناً!

● كان الطبيب المتخرج حديثاً يفاخر طبيب العائلة القديم عن تقدم
الطب وتخصصه ، فقال له :

- لقد انتهى عصر عدم التخصص ، وللحفاظ على تقدم العلوم الطبية
يجب تشجيع التخصص . . وحتى ما يُدعى بالتخصص القديم فإنه واسع
جداً . فخذ مثلاً «الأذن والأنف والحنجرة» ، إنه فرع واسع جداً للرجل
الواحد لتغطيتها جميعاً علمياً ، والأفضل لي شخصياً أن أركز فقط على
الأنف .

وهنا قاطعه الطبيب الكبير بمسحة من الاستهزاء وقال :

- حقاً ، ، وفي أي منخر ستخصص ؟!

● كان الطفل المدلل في عيادة الجراح لمداواة جرح صغير له ، وكانت أمه المولعة به قلقة جداً عليه :

- لا تقلقي عليه أبداً ، أستطيع أن أؤكد لك أنها غير مؤلمة أبداً ،

ولكن بعد دقائق سُمع صراخ عالٍ من غرفة العمليات ، وخرج الجراح بعدها مصفراً الوجه!

- والآن . . والآن يا دكتور، أعتقد أنك قلت بأن العملية غير مؤلمة ؟!

- كما قلت يا سيدتي . . إن الذي صرخ هو أنا ، فقد عضني ابنك بشدة فلم أتمالك نفسي من الصراخ!

● مدرس التطبيق العملي الصحي :

- اشرح الخطوات التي تؤخذ لإنقاذ وإسعاف الرجل الغريق .

التلميذ الحاذق :

أولاً: إخراج الرجل من الماء ، و . . ثانياً: إخراج الماء من الرجل!

● يروي النقيب ركن (ص .ع) هذه الحادثة التي وقعت له فقال :

عندما كنت طالباً في كلية الأركان ، وفي أمسية من أمسيات رمضان خُلع كتفي بعد حادث سقوط على الأرض ، ونُقلت على عجل إلى مستشفى الرشيد العسكري . وبينما أنا على طاولة العمليات سمعت الجراح المناوب يقول مكلماً صاحبه بالإنجليزية :

- إني لم أجبر عملية إرجاع خلع الكتف قبل الآن ، لذا سأذهب لأقرأ الموضوع ، ثم أعود لإجراء العملية !

فما كان من النقيب ركن (ص .ع) إلا أن قال ، بعد أن عرف المحادثة بين الطبيين ، حيث إنه كان يعرف الإنجليزية ، فقال :

- لا عليك يا دكتور . امسك يدي هكذا ، واثنها هكذا ، واسحبها هكذا ، وأرجعها هكذا . . وهكذا تمت العملية بيسر وسهولة !

وقد اندهش الجراح ، فقال النقيب : لا تدهش يا دكتور، فقد أصبت بالخلع نفسه من قبل !

● كان لأحد الأطباء صديق شديد البخل والتقتير. وحدث أن قابله يوماً فرآه مهموماً؛ ولما استفسر منه عن السبب ، أخبره أنه شعر بألم . ولما فحصه الطبيب ، أشار عليه بإجراء عملية استئصال الزائدة الدودية ، وهي عملية تكلف (٥٠) ديناراً ، ثم سأل صديقه :

- ما رأيك أنت؟

فأجاب الصديق :

- رأيي أن تموت وتوفر الخمسين ديناراً!

● روى الجراح الأخصائي (و.خ) هذه النادرة :

زاره يوماً أحد المرضى ، وسأله فيما إذا كان قد زار طبيباً آخر قبل أن يأتي إليه ، فأجاب المريض :

- كلا ، ولكنني ذهبت إلى صيدلي !

فقال له الجراح (و.خ):

- وما هو الرأي السخيف الذي أشار عليك به؟

فأجاب المريض:

- لقد أشار عليّ بأن أحضر إلى عيادتك!

● خرج رجل من مستشفى المجاذيب مسرعاً، والتقى في الطريق الريفي بمزارع، فسأله:

- هل رأيت مجنوناً هارباً مرّ بك؟

- وما هي صفاته؟

- قصير جداً، ونحيف جداً، ويزن نحو ١٢٠ كغ، وأصلع جداً، وشعر رأسه منفوش!

واحتار المزارع فيما سأل، وسأل:

- وكيف يستطيع إنسان أن يكون قصيراً جداً ونحيفاً جداً ومع هذا يزن ١٢٠ كغ؟ وكذلك أصلع جداً وشعر رأسه منفوش؟

- ولم لا؟ ألم أقل لك إنه مجنون؟

● قالت السيدة للطبيب:

- إن مشكلة ابني عويصة جداً يا دكتور، فهو يتخيل دائماً بأنه دجاجة!

- وكم من الوقت مضى عليه منذ أن انتابته هذه الحالة؟

- منذ سنة يا دكتور. .

- منذ سنة؟! (متعجباً) ولم تفكروا في علاجه إلا الآن؟

وردت السيدة بخجل :

- أنت تعرف يا دكتور أننا فقراء ، وكنا نظن أن الانتظار قد يأتي بنتيجة ،
خاصة وأن أسعار البيض مرتفعة!!

● عرضت أم ابنتها البالغة من العمر ست سنوات على طبيب نفسي ،
فبادر إلى طرح أسئلته على الفتاة وقال :

- هل أنت بنت أم ولد؟ فكري في الأمر يا صغيرتي ثم أجيبي على
السؤال . . ؟

وجاء ردُّ الفتاة سريعاً :

- أنا ولد!

فقال الطبيب :

- حسناً . . وماذا تنوين أن تكوني حينما تكبرين؟

الفتاة :

- أريد أن أكون أبي!

وهنا تدخلت الأم وخاطبت ابنتها قائلة :

- ما هذه السخافات يا بنتي؟

وكان جواب الفتاة :

- ألا ترين أن الأسئلة السخيفة تدعو إلى أجوبة سخيفة!!

● استيقظ أحد أساتذة الجامعات المعروفين بالشروذ وضعف الذاكرة ذات صباح وهو يحس بحرارة في فمه ، فمر به طبيبه الخاص كي يفحصه . وبعد أن جس نبضه قال له :

- إن ضربات قلبك عادية . . أرني لسانك .

وما إن فتح الأستاذ فمه حتى قال له الطبيب :

- ماذا؟ إن لسانك على ما يرام ، ولكنني أرى طابع بريد ملتصقاً به !!

فقال الأستاذ بعد أن أطرق لحظة يفكر:

- لقد تذكرت ! بالأمس وضعت في فمي كي ألصقه على ظرف خطاب كتبتة ، فلصقته بلساني . . والعجيب أنني بقيت أبحث عنه وقتاً طويلاً دون جدوى !!

● ذهب رجل إلى طبيب نفساني ، وطلب منه أن يساعده ؛ لأنه يظن أنه كلب!

ولما سأله الطبيب النفساني : منذ متى بدأ يظن أنه كلب . .

أجاب الرجل : منذ أن كنتُ جرواً صغيراً!

● ليس على الشيخ أضرُّ من أن يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء ، لأنه يستكثر من الطعام فيسقم ، ويستكثر من الجماع فيهرم!

● عاد الرجل مريضاً فقال لأهله :

- آجركم الله .

فقالوا :

- إنه حي لم يموت بعد!

فقال :

- يموت إن شاء الله .

● الأولى : لقد تأملتُ حينما سمعتُ أن زوجك مريض راقد في الفراش .

الثانية : لا داعي للقلق . . إن زوجي بخير وعافية .

الأولى : إذا لماذا يرقد في الفراش ؟!

الثانية : حينما زاره الطبيب قبل شهرين قال له أن لا يترك الفراش إلا بعد أن يزوره مرة ثانية ؛ وقد التحق الطبيب بالجيش ولم يعد إلى الآن!

● أول تقرير وجده أمين العاصمة^(١) الجديد فائق شاکر سنة ١٩٤٦ م على منضدته بديوانه الرسمي في اليوم الأول من دوامه ، هو التالي :

من الطبيب البيطري بأمانة العاصمة إلى أمين العاصمة .

سعادة أمين العاصمة المحترم .

الموضوع : التقرير اليومي للحيوانات التابعة لأمانة العاصمة والتي تستخدم في نقل الأزبال والأوساخ والأنقاض وجرّ العربات . . الخ .

مساء البارحة وبعد غروب الشمس بقليل ، قام البغل الأسود رقم (٧٣) بممازحة رفيقه الحمار الأبيض رقم (٢٠١) المربوط بجانبه في الاصطبل الواقع

(١) يعني بغداد .

بالنزيهة مال شيخ عمر . . وقد أدى هذا المزاح (الشقة) - على غير عاداتهم كل يوم - إلى الصراع أمام زملائهم ، وأسفر مع الأسف الشديد عن فسخ الحمار بكوكة رأسه نتيجة ضربة زوج أرداف قوية ومتعاقبة من البغل ، مما دفع زميله الحمار أن يخرج عن جادة الصواب ويملخ البغل بعضة قوية شلعت وصلة من كتفه الأيمن . وعند قيام النوبجي (السايس رقم ١١ جبار العور) بمفازعتهم أمام طولة الحيوانات . . أتته ضربة غير مقصودة في بطنه ، وانطرح على الفشقي يتلوى من شدة الألم .

وقد أدخل المصابان في المستشفى البيطري بموجب ورقة الفحص الطبي ٩٣ في ٢٥ / ٩ / ١٩٤٦ م . أما السايس فقد قام بعدها بسلامات .

تقدم للتفضل بالاطلاع والأمر مما يتم وإعلامنا والأمر منوط لسعادتكم

التوقيع

الطبيب البيطري

هامش :

أولاً: الحمد لله على سلامة السايس جبار العور.

ثانياً: يُغرم البغل والزمّال بقطع العليج عنهم مدة ثلاثة أيام ، حتى يتأدبوا من الآن فصاعداً ، ويكونا عبرة لغيرهم من الحيوانات ، وليفهم كل من تسوّل له نفسه بالخربطة أن الحكومة ساهرة وفاكة عينها على الصغيرة والكبيرة ، وليتصوروا بهذه الفترة ، وكلمن ابكيفه .

ثالثاً: يمنع الشقة بين الحيوانات بالشغل وأثناء الراحة منعاً باتاً بأمرى ، وتعلّق قطعة بذلك في الاسطبل .

رابعاً: يربط الطيب البيطري بين الزّمال والبغل حتى إشعار آخر، حتى يتأكد الطيب - وهو الأب المسؤول عن أبنائه - أن البغل والحمار قد صفت قلوبهم ، وما بقي بيناتهم عداوة قد تؤدي للكتل والمكتول!

خامساً: على مدير الإدارة بأمانة العاصمة أن يبرق إلى معالي وزير الداخلية أن يفتح الجهات المسؤولة لنقلي فوراً إلى أية وظيفة ماعدا أمانة العاصمة لأنني ما عندي خُلق الزمايل والبغال .

احنه ويه الأوادم هله هله ، عاد وين الحواوين؟!!

فائق شاكر

أمين العاصمة

١٩٤٦/٩/٢٦ م

الفراسة (*)

لابن قيم الجوزية

أتت امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فشكرت عنده زوجها وقالت :

« هو من خيار أهل الدنيا ، يقوم الليل حتى الصباح ، ويصوم النهار حتى يمسي » . ثم أدركها الحياء ، فقال : « جزاك الله خيراً فقد أحسنت إلينا » .

فلما ولت قال كعب بن سوار الأزدي (تابعي) : يا أمير المؤمنين ، لقد أبلغت في الشكوى إليك ! فقال : وما اشتكت ، قال : زوجها . قال : عليّ بهما . فقال لكعب : اقض بينهما . قال : أقضي وأنت شاهد؟ قال : إنك قد فطنت إلى ما لم أفطن له . قال : إن الله تعالى يقول : ﴿ فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾^(١) . صم ثلاثة أيام ، وأفطر عندها يوماً . وقم ثلاث ليال ، وبت عندها ليلة ، فقال عمر : هذا أعجب إلي من الأول .

(*) الفراسة / لابن قيم الجوزية ؛ تحقيق وتعليق صلاح أحمد السامرائي . . بغداد : مكتبة القدس ، ١٤٠٦هـ ، ٣١٢ ص .

وهذا الكتاب في الفقه الإسلامي ، ويتخصص في الدعاوى القضائية والأدلة الجنائية . . وهو باب فريد لم أر من خصه بمؤلف مستقل سوى هذا الإمام البحر العلامة ابن قيم الجوزية !! يقول في مقدمته : « سئلت عن الحاكم أو الوالي يحكم بالفراسة والقرائن التي يظهر له فيها الحق والاستدلال بالأمارات ، ولا يقف مع مجرد ظواهر البيّنات والأحوال ؛ حتى إنه ربما يتهدد الخصمين إذا ظهر له أنه مبطل . وربما سأله عن أشياء تدله على بيان الحال ، فهل ذلك صواب أم خطأ؟ فهذه مسألة كبيرة عظيمة النفع ، جليلة القدر ، إن أهملها الحاكم أو الوالي أضاع حقاً كثيراً وأقام باطلاً كبيراً ، وإن توسع وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع في أنسواع الظلم والفساد . . . » .

وإنما اخترت بعض الأخبار النادرة من أول الكتاب ، ولم أورد المسائل الفقهية وتفريعاتها وما يحتاج منها إلى فراسة وكيفية ذلك وأقوال الفقهاء واستشاداتهم . . رحمهم الله رحمة واسعة .
(١) سورة النساء ، الآية ٣ .

فبعثه قاضياً لأهل البصرة. فكان يقع له في الحكومة من الفراسة أمور عجيبة .

● وكذلك شريح في فراسته وفطنته ، قال الشعبي : شهدت شريحاً - وجاءته امرأة تخاصم رجلاً - فأرسلت عينيها وبكت . فقلت يا أبا أمية ، ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة؟ فقال : يا شعبي ، إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون .

● وتقدم إلى إياس بن معاوية أربع نسوة . فقال إياس : أما إحداهن فحامل ، والأخرى مرضع ، والأخرى ثيب ، والأخرى بكر .

فنظروا فوجدوا الأمر كما قال . قالوا : كيف عرفت؟ فقال : أما الحامل : فكانت تكلمني وترفع ثوبها عن بطنها فعرفت أنها حامل ، وأما المرضع : فكانت تضرب ثديها فعرفت أنها مرضع ، وأما الثيب : فكانت تكلمني وعينها في عيني فعرفت أنها ثيب ، وأما البكر : فكانت تكلمني وعينها في الأرض فعرفت أنها بكر .

● وقال المدائني عن رُوح : استودع رجل رجلاً من أبناء الناس مالاً ، ثم رجع فطلبه ، فجحده . فأتى إياساً فأخبره ، فقال له إياس : انصرف فاكتم أمرك ، ولا تُعلمه أنك أتيتني ، ثم عد إليّ بعد يومين . فدعا إياس المودع فقال : قد حضر مال كثير وأريد أن أسلمه إليك ، أفحصين منزلك؟ قال : نعم . قال : فأعد له موضعاً وحالين . وعاد الرجل إلى إياس فقال : انطلق إلى صاحبك فاطلب المال . فإن أعطاك فذاك ، وإن جحدك فقل له : إني أخبر القاضي . فأتى الرجلُ صاحبه فقال : مالي ، وإلا أتيت القاضي وشكوتك إليه وأخبرته بأمرك . فدفع إليه ماله .

فرجع الرجل إلى إياس فقال : قد أعطاني المال . وجاء الأمين إلى إياس لموعده . فزجره وانتهره ، وقال : لا تقربني يا خائن .

● واستودع رجل لغيره مالاً ، فجحده ، فرفعه إلى إياس ، فسأله فأنكر ، فقال للمدعي : أين دفعت إليه ؟ فقال : في مكان في البرية ، فقال : وما كان هناك ؟ قال : شجرة ؟ قال : اذهب إليها فلعلك دفنت المال عندها ونسيت ، فتذكر إذا رأيت الشجرة ! فمضى ، وقال للخصم : اجلس حتى يرجع صاحبك ، وإياس يقضي وينظر إليه ساعة بعد ساعة . ثم قال : يا هذا ، أترى صاحبك قد بلغ مكان الشجرة ؟ قال : لا ، قال : يا عدو الله ، إنك خائن : قال : أقلني ، قال : لا أقالك الله . وأمر أن يحتفظ به حتى جاء الرجل ، فقال له إياس : اذهب معه فخذ حقك .

● وجرى نظير هذه القضية لغيره من القضاة : ادعى عنده رجل أنه سلم غريباً له مالاً وديعة ، فأنكر . فقال له القاضي : أين سلمته إياه ؟ قال : بمسجد ناءٍ عن البلد . قال : اذهب وجئني منه بمصحف أحلفه عليه . فمضى ، واعتقل القاضي الغريم ، ثم قال له : أترأه بلغ المسجد ؟ قال : لا . فألزمه بالمال .

● وقال معتمر بن سليمان ، عن زيد أبي العلاء : شهدت إياس بن معاوية اختصم إليه رجلان ، فقال أحدهما : إنه باعني جارية رعناء .

فقال إياس : وما عسى أن تكون هذه الرعونة ؟ قال : شبه الجنون .

فقال إياس : يا جارية ، أتذكرين متى ولدت ؟ قالت : نعم . قال : فأني رجلك أطول ؟ قالت : هذه . فقال إياس ردها فإنها مجنونة .

● وقال نعيم بن حماد ، عن إبراهيم بن مرزوق البصري : كنا عند إياس

ابن معاوية قبل أن يُستقصى ، وكنا نكتب عنه الفراسة كما نكتب عن المحدث الحديث ، إذ جاء رجل فجلس على دكان مرتفع بالمربد ، فجعل يترصد الطريق . فبينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً ، فنظر إلى وجهه ، ثم رجع إلى موضعه ، فقال إياس : قولوا في هذا الرجل . قالوا : ما نقول؟ رجل طالب حاجة . فقال : هو معلم صبيان ، قد أبق له غلام أعور .

فقام إليه بعضنا فسأله عن حاجته؟ فقال : هو غلام لي أبق . قالوا : وما صفته؟ قال : كذا وكذا ، وإحدى عينيه ذاهبة ، قلنا وما صنعتك؟ قال : أعلم الصبيان !

قلنا لإياس : كيف علمت ذلك؟ قال : رأيته جاء ، فجعل يطلب موضعاً يجلس فيه ، فنظر إلى أرفع شيء يقدر عليه فجلس عليه . فنظرت في قدره فإذا ليس قدره قدر الملوك ، فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك ، فلم أجدهم إلا المعلمين ، فعلمت أنه معلم صبيان . فقلنا : كيف علمت أنه أبق له غلام؟ قال : إني رأيته يترصد الطريق ، ينظر في وجوه الناس . قلنا : كيف علمت أنه أعور؟ قال : بينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً قد ذهبت إحدى عينيه ، فعلمت أنه اشتبه عليه بغلامه .

● فراسة الحسن بن علي رضي الله عنهما لما جيء إليه بابن ملجم ، قال له : أريد أسارك بكلمة ، فأبى الحسن ، وقال : تريد أن تعض أذني . فقال ابن ملجم : والله لو أمكنتني منها لأخذتها من صمخيتها .

وقال أبو الوفاء بن عقيل : فانظر إلى حسن رأي هذا السيد الذي قد نزل به المصيبة العاجلة ما يذهل الخلق ، وفطنته إلى هذا الحد ، كيف لم يشغله حاله عن استزادة الجناية .

● ومن ذلك : فإسالة أخيه الحسين رضي الله عنه ، أن رجلاً ادعى عليه مالاً، فقال الحسين : ليحلف على ما ادعاه ويأخذه . فتهيأ الرجل لليمين وقال : والله الذي لا إله إلا هو . فقال الحسن . قل ! والله والله والله - ثلاثاً - إن هذا الذي يدعيه عندي ، وفي قلبي . ففعل الرجل ذلك . وقام ، فاختلقت رجلاه وسقط ميتاً ! فقيل للحسين : لم فعلت ذلك ؟ أي عدلت عن قوله : والله الذي لا إله إلا هو ، إلى قوله : « والله والله والله » فقال : كرهت أن يُثني على الله ، فيحلم عنه .

● ومن ذلك ما يذكر المعتضد بالله ، أنه كان جالساً يشاهد الصنّاع ، فرأى فيهم أسود منكر الخلقة ، شديد المرح ، يعمل ضعف ما يعمل الصنّاع ، ويصعد مرقاتين مرقاتين . فأنكر أمره . فأحضره وسأله عن أمره ؟ فلجلج ! فقال لبعض جلسائه : أي شيء يقع لكم في أمره ؟ قالوا : ومن هذا حتى تصرف فكرك إليه ؟ لعله لا عيال له ، وهو خالي القلب ، فقال : قد خمنت في أمره تخميناً ما أحسبه باطناً : إما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها دفعة ، أو يكون لصاً يتستر بالعمل !

فدعا به ، واستدعى بالضراب فضربه . وحلف له إن لم يصدقه أن يضرب عنقه . فقال : لي الأمان . قال : نعم إلا فيما يجب عليك بالشرع . فظن أن قد أمّنه . فقال : قد كنت أعمل في الأجر ، فأجتاز رجل في وسطه حزام ، فجاء إلى مكان ، فجلس وهو لا يعلم مكاني . فحلّ الحزام ، وأخرج منه دنانير ، فتأملته ، وإذا كله دنانير ! فساورته وكتفته وشددت فاه . وأخذت الحزام ، وحملته على كتفي ، وطرحته في حفرة ، وطيتته . فلما كان بعد ذلك أخرجت عظامه فطرحتها في دجلة . فأنفذ المعتضد من أحضر الدنانير من منزله وإذا على الحزام مكتوب : فلان ابن فلان . فنادى في البلد باسمه ، فجاءت امرأة

فقلت : هذا زوجي ، ولي منه هذا الطفل ، خرج وقت كذا وكذا ومعه ألف دينار، فغاب إلى الآن . فسلم الدنانير إلى امرأته وأمرها أن تعتد ، وأمر بضرب عنق الأسود ، وحمل جثته إلى تلك الحفرة .

● ومن عجيب الفراسة : ما ذكر عن أحمد بن طولون ، أنه بينما هو في مجلس له يتنزّه فيه ، إذ رأى سائلاً في ثوب خلق ، فوضع دجاجة على رغيّف وحلوى ، وأمر بعض الغلمان فدفعه إليه . فلما وقع في يده لم يهشّ له ولم يعبأ به . فقال للغلام : جئني به . فلما وقف قدامه استنطقه ، فأحسن الجواب ، ولم يضطرب من هيئته فقال : هات الكتب التي معك ، وأصدقني من بعثك ؟ فقد صحّ عندي أنك صاحب خبر .
وأحضر السياط ، فاعترف .

فقال بعض جلسائه : هذا والله السّحر قال : ما هو بسحر ولكن فراسة صادقة . رأيت سوء حاله ، فوجهت إليه بطعام يشرّهُ إلى أكله الشبعان فما هشّ له ، ولا مدّ يده إليه . فأحضرتّه ، فتلقّاني بقوة جأش . فلما رأيت رثاثة حاله وقوة جأشه علمت أنه صاحب خبر ، فكان كذلك !

● ورأى يوماً حمّالاً يحمل صنّاً^(١) وهو يضطرب تحته فقال : لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنق الحمّال ، وأنا أرى عنقه بارزة ، وما أرى هذا الأمر إلا من خوف .

فأمر بحط الصن ، فإذا فيه جارية مقتولة وقد قطعت !! فقال : اصدقني

(١) الصن : وعاء شبه السلة يوضع فيه الخبز .

عن حالها، فقال: أربعة نفر في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير، وأمروني بحمل هذه المقتولة.

فضربه، وقتل الأربعة.

● وكان يتنكر ويطوف بالبلد يسمع قراءة الأئمة. فدعا ثقته وقال: خذ هذه الدنانير وأعطها إمام مسجد كذا فإنه فقير مشغول القلب. ففعل، وجلس معه وباسطه، فوجد زوجته قد ضربها الطلق، وليس معه ما يحتاج إليه. فقال: صدق، عرف شغل قلبه في كثرة غلظه في القراءة.

● ومن ذلك: أن اللصوص أخذوا في زمن المكتفي بالله مالا عظيماً، فألزم المكتفي صاحب الشرطة بإخراج اللصوص، أو غرامة المال. فكان يركب وحده، ويطوف ليلاً ونهاراً، إلى أن اجتاز يوماً في زقاق خال في بعض أطراف البلد، فدخله، فوجده منكراً، ووجده لا ينفذ. فرأى على بعض أبوابه شوك سمكٍ كثير، وعظام الصلب، فقال لشخص: كم يقوم تقدير ثمن هذا السمك الذي هذه عظامه؟ قال: كذا دينار. قال: أهل الزقاق لا تحتمل أحوالهم مشترى مثل هذا؛ لأنه زقاق بين الاختلال، إلى جانب الصحراء، لا ينزله من معه شيء يخاف عليه، أو له مال ينفق منه هذه النفقة، وما هي إلا بلية ينبغي أن يكشف عنها.

فاستبعد الرجل هذا وقال: هذا فكر بعيد. فقال: اطلبوا لي امرأة من الدرب أكلمها.

فدقَّ باباً غير الذي عليه الشوك، واستسقى ماءً، فخرجت عجوز ضعفية. فما زال يطلب شربة بعد شربة، وهي تسقيه، وهو في خلال ذلك يسأل عن الدرب وأهله، وهي تخبره غير عارفة بعواقب ذلك، إلى أن قال

لها: وهذه الدار من يسكنونها؟ وأوماً إلى التي عليها عظام السمك - فقالت: فيها خمسة شبان أعفار^(١)، كأنهم تجار. وقد نزلوا منذ شهر، لا تراهم نهراً إلا في كل مدة طويلة. وترى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعاً. وهم في طول النهار يجتمعون فيأكلون ويشربون، ويلعبون بالشطرنج والنرد. فإذا كان الليل انصرفوا إلى دار لهم في الكرخ، ويدعون صبياً في الدار يحفظها، فإذا كان سحراً جاؤوا ونحن نيام لا نشعر بهم فقال للرجل: هذه صفة اللصوص أم لا؟ قال: بلى.

فأنفذ في الحال، فاستدعى عشرة من الشرط وأدخلهم إلى أسطحة الجيران، ودق هو الباب. فجاء الصبي ففتح. فدخل الشرط معه. فما فاته من القوم أحد. فكانوا هم أصحاب الجناية بعينهم!

● ومن ذلك: أن بعض الولاة سمع في بعض ليالي الشتاء صوتاً بدار يطلب ماء بارداً. فأمر بكبس الدار، فأخرجوا رجلاً وامرأة. فقيل له: من أين علمت؟ قال: الماء لا يبرد في الشتاء، إنما ذلك علامة بين هذين.

● وأحضر بعض الولاة شخصين متهمين بسرقة، فأمر أن يؤتى بكوز من الماء، فأخذه بيده، فألقاه عمداً فانكسر. فارتاع أحدهم، وثبت الآخر فلم يتغير!

فقال للذي انزعج: اذهب، وقال للآخر: أحضر العملة. فقيل له: من أين عرفت ذلك؟ فقال: اللص قوي القلب لا ينزعج، والبريء يرى أنه لو نزلت في البيت فأرة لأزعجته، ومنعته من السرقة.

(١) أي: شجعان.

● سأل بعض الخلفاء ولده - وفي يده مسواك - : ما جمع هذا؟ قال : ضد محاسنك يا أمير المؤمنين .

● دخل معن بن زائدة على المنصور، فقارب في خطوه، فقال له المنصور: كبرت سنك يا معن . قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين . قال : إنك لجلد . قال : على أعدائك . قال : وإن فيك لبقية . قال : وهي لك !

● خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعس المدينة في الليل ، فرأى ناراً موقدة في خباء ، فوقف وقال : يا أهل الضوء . وكره أن يقول : يا أهل النار .

● كان لبعض القضاة جليس أعمى ، فكان إذا أراد أن ينهض يقول : يا غلام ، اذهب مع أبي محمد . ولا يقول : خذ بيده . قال : والله ما أخلّ بها مرة واحدة .

● قال مالك : عن يحيى بن سعيد ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل : ما اسمك؟ قال : جمره . قال : ابن من؟ قال : ابن شهاب . قال : ممن؟ قال : من الحرقة . قال : أين مسكنك؟ قال : بحرة النار . قال : أيها؟ قال : بذات لظى . فقال عمر : أدرك أهلك فقد احترقوا .

فكان كما قال !

● قال الشعبي : كان عمر في بيت ومعه جرير بن عبد الله البجلي ، فوجد عمر ريحاً ، فقال : عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ . فقال جرير : يا أمير المؤمنين ، أو يتوضأ القوم جميعاً؟ فقال عمر : يرحمك الله ، نعم السيد كنت في الجاهلية ، ونعم السيد أنت في الإسلام .

● قضى علي رضي الله عنه في مولود ولد له رأسان وصدران في حقو واحد، فقالوا: أيورث ميراث اثنين أم ميراث واحد؟ فقال: يترك حتى ينام، ثم يصاح به، فإن انتبها جميعاً كان له ميراث واحد، وإن انتبه واحد وبقي الآخر: كان له ميراث اثنين.

لطائف اللغة (*)

للبابيدي

● صفات الأحمق :

إذا كان أدنى حمق وأهونه : فهو أبله .

فإن كان مع ذلك تسرع . . : فهو أهوج .

فإن كان عقله قد أخلق وتمزق : فهو رقيق .

فإذا زاد حمقه : فهو بُوْهة .

فإن كان مشبعاً حمقاً : فهو عفيك .

فإن زاد مابه من ذلك : فهو أخرق .

(*) لطائف اللغة / تأليف أحمد بن مصطفى البابيدي الدمشقي . الأستانة : د . ن ، ١٣١١ هـ ،
٢٤٨ ص .

والمؤلف - كما في الأعلام - من أفاضل دمشق ، ولد سنة ١٣١٨ هـ .
قال في مقدمته : . . ورأيت كثيراً من أهل العلم والأدب يرغبون كتاباً حاوياً على غريب اللغات . .
وكانت الكتب المؤلفة بها وإن كانت محتوية على فوائده ، إلا أن المتناسب منها غير مجموع في مكان
واحد : فكان تعليقه بالأذهان يحتاج إلى طول من الزمان ، ولا يتيسر ذلك لكل إنسان . فجمعت
ما تناسب منها تسهيلاً للمرام ، وهو ما يشفي القلوب ويطفىء الأوام ، لكونها ألفاظاً منسوجة
على منوال عجيب ، وآثاراً أسديت لحمتها في صنع بديع غريب . فينبغي أن تتلقاها القلوب
بالقبول ، والصدور بالانشراح ، والبصائر بالاستبصار . وذكرت مفردات لطيفة المعاني ، دقيقة
المباني ، يظهر فضلها وحلاوتها في التراكيب ، عند وصفها في المناسبات وأكمل الأساليب . . .
وكان جلُّ مأخذه من القاموس ، الذي هو لكل ذي أدب ناموس ، وما أخذت من غيره إلا ما ندر
وقل ، ودقُّ وجلُّ ، كفقته اللغة وفصيح ثعلب ومزهر السيوطي والأشباه والنظائر التي هي معتبرة
عند أولي البصائر . . .

فإن لم يكن له رأي يرجع إليه : فهو مأفون .

فإذا زاد على ذلك : فهو مَرَقَعَان .

فإذا اشتدَّ حُمُقه : فهو هَبَنْقَع .

● في اللؤم والخسنة :

إذا كان الرجل ساقط النفس : فهو وغد .

فإن كان خبيث البطن والفرج : فهو دنيء .

فإن كان رذلاً نذلاً لا مروءة له : فهو فَسَل .

فإذا ازداد لؤمه وتناهت خسنته : فهو عِكَل .

فإن كان مزدري في خَلْقه وخُلْقه : فهو نذل .

فإن كان ضدّاً للكريم : فهو لئيم .

فإن كان مع لؤمه وخسنته ضعيفاً : فهو نكس .

فإن كان لا يدرك ما عنده من اللؤم : فهو أَبَل .

● أسماء الأنف : المساف ، العزتين ، المنشق ، المرعف ، الزعامى ، المرثم ، الخطم ، المخطم ، المعطس ، المرسن ، المرغم ، الدواسة ، المكزنف ، الخزطم ، العجوز ، الأسم ، القيرى ، المصفح ، القعنب ، الخشام .

● الشبر : ما بين طرفي الخنصر إلى طرف الإبهام وطرف السبابة .

الرتب : ما بين طرف السبابة والوسطى .

العتب : ما بين طرف الوسطى والبنصر .

البُصم : ما بين البنصر والخنصر.
الفؤت : ما بين كل إصبعين طولاً.

● تفصيل شعر الإنسان :

العقيقة : الشعر الذي يولد به الإنسان .

القروة : شعر معظم الرأس .

الناصية : شعر مقدم الرأس .

الدُّوابة : شعر مؤخر الرأس .

الفرع : شعر رأس المرأة .

الغديرة : شعر ذؤابتها .

الغفر : شعر ساقها .

الدَّبب : شعر وجهها .

الوفرة : ما بين شحمة الأذن من الشعر .

اللمة : ما ألم بالمنكب من الشعر .

الطرّة : ما غشّى الجبهة من الشعر .

الجُمَّة : ما غطى الرأس من الشعر .

الهذب : شعر أجفان العينين .

الشارب : شعر الشفة العليا .

العنفة : شعر الشفة السفلى .

المشربة : شعر الصدر .

الشعرة : شعر العانة .

الأشب : شعر الأست .

الزَّبب : شعر بدن الرجل .

● يقال :

لا تراه الطوارف : أي العيون .

حيًا الله المعارف : أي الوجوه .

حيا الله قهبلك : أي وجهك .

أعان الله الحوامل : أي الأرجل .

سلم الله الأجنحة : أي الأيدي .

● في معايب العين :

الحَوْص : ضيق العينين . الخوص : غورهما مع الضيق

الشَّتر : انقلاب الجفن . العَمَش : أن لا تزال العين تسيل وترمص .

الكمش : أن لا يكاد يبصر . الغَطَش : شبه العَمَش .

الجَهَر : أي لا يبصر نهراً . العشا : أن لا يبصر ليلاً

الخَزَر : أن ينظر بمؤخر عينه الغَضَن : أن يكسر عينه حتى تتغضَّن
جفونه .

القبل : أن يكون كأنه ينظر إلى أنفه ، وهو أهون من الحَوْل .

الشُّطُور: أن تراه ينظر إليك وهو ينظر إلى غيرك، وهو قريب من صفة الأحول .

الشَّوْص: أن ينظر بأحد عينيه ويميل وجهه في شق العين التي يريد أن ينظر بها .

الحَفَّش: صغر العينين وضعف البصر، ويقال: إنه فساد في العين يضيق له الجفن من غير وجع ولا قرح .

الدَّوْش: ضيق العين وفساد البصر .

الإطراق: استرخاء الجفون .

الجُحُوظ: خروج المقلة وظهورها من الحجاج .

البخق: أن يذهب البصر والعين منفتحة .

الكمه: أن يولد الإنسان أعمى .

النجص: أن يكون فوق العينين أو تحتها لحم ناتئ .

● في مقابح الأسنان :

الرَّوْق: طولها . الكَسَس: صغرها .

الثَّعَل: تراكبها وزيادة سن فيها . الشَّفا: اختلاف منابتها .

اللَّصَص: شدة تقاربها وانضمامها . اليَلَل: إقبالها على باطن الفم .

الدَّفَق: إنصابتها إلى قُدَّام . الفقم: تقدُّم سفلاها على العليا .

القلح: صفرتها . الطُّرامة: خضرتها .

الحَقْر: ما يلزق بها . الدَّرْد: ذهابها .
الهُتَم: انكسارها . اللَّطَط: سقوطها . .

● تفصيل الرياح :

إذا وقعت الريح بين الريحين : فهي النكباء .
فإذا هبَّت من جهات مختلفة : فهي المتناوِحة .
فإذا جاءت بنَفَس ضعيف : فهي النسيم .
فإذا ابتدأت بشدة : فهي النافجة .
فإذا حركت الأغصان وقلعت الأشجار: فهي الزعزاع .
فإن كانت سريعة : فهي المُجْفِل .
فإذا هبَّت بالغبرة : فهي الهبُّوة .
فإن كانت باردة : فهي الحَرَجَف .
فإن كانت حارة : فهي الحرور .
فإن كان بردها يخرق الثياب : فهي الخريق .
فإن كانت لينة : فهي الرِّيدانة .
فإن كان لها حنين كالإبل : فهي الحنون .
فإن كانت شديدة حتى جاءت بالحصى : فهي الحاصبة .
فإذا هبَّت من الأرض نحو السماء : فهي الإعصار .
فإن كان مع بردها ندى : فهي البليل .

● من أسماء الحجارة :

القهقر أو القهقار: الحجر الصلب .

المرجاش : الحجر الذي يرمى به في البئر ليصيب ماءها ويفتح عيونها .

المرداس : الحجر الذي يرمى به في البئر ليُعلم أفيها ماء أم لا، وليعلم مقدارها أيضاً!

الزُّور: حجر يظهر لحافر البئر فيعجز عن كسره .

البَلَقُ : حجارة باليمن تضيء ما وراءها كالزجاج .

المِلدس : حجر ضخم يُدقُّ به النوى .

النَّسفة : الحجر الذي تُدلك به الأقدام في الحمام .

الشَّهم : حجر يجعلونه في مصيدة الأسد يقع إذا دخله .

المضبوحة : حجارة تُقدح بها النار .

الحَبْس : حجارة تُبنى في مجرى الماء لتحبسه .

الضاحك : الحجر الأبيض الشديد البياض يبدو في الجبل .

● في الفروقات :

افترق : في المعاني والصفات . تفرَّق في الأشخاص والأجسام .

الإنكار: باللسان . الجحود: بالقلب .

الجدال : المجادلة في الحق قبل ظهوره

المراء : المجادلة في الحق بعد ظهوره .

- الإفادة : صدور الشيء عن نفسه .
الاستفادة : صدور الشيء عن غيره .
العجمي : منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً .
الأعجمي : من يمنع لسانه عن العربية ولا يفصح وإن كان نازلاً بالبادية !
المكتوم : في المعاني . المستور : في الأعيان .
الرداء : ما يكسو النصف الأعلى . الإزار : ما يكسو النصف الأسفل .
الحرور : الريح الحارة ليلاً السموم : الريح الحارة نهاراً .
التقريظ : مدح الرجل حياً التأبين : مدحه ميتاً .
السين : للاستقبال القريب . سوف : للاستقبال البعيد .
الدفع : صرف الشيء قبل الورود . الرفع : صرف الشيء بعد وروده .
جذبه : جرّه لنفسه . سحبه : جرّه على الأرض .
الحزم : التأهب للأمر . العزم : النفاذ فيه .
أحدب : إذا خرج ظهره ودخل صدره . أقعس : إذا خرج صدره ودخل ظهره .
سياع : طين فيه تبن . طين : إذا كان خالياً منه .
النيف : من واحد إلى ثلاثة . البضع : من أربعة إلى تسعة .
النهس : بأطراف الأسنان . النهش : بالأسنان والأضراس .
الجلوس : هو الانتقال من سُفل إلى علو .

العود : هو الانتقال من علو إلى سُفل .

● الطاط والطوط والطيط : الرجل الطويل .

القاق والقوق والقيق : الرجل الطويل أيضاً .

الحُوري والحُوري والحيري : الرجل الفائق .

قسمة ضأزى وضؤزى وضيزى : جائرة .

● في الكليات :

كل ما أشبه رأسه رأس الحيات : فهو حنش .

كل شجر له شوك : فهو عضاة .

كل أرض مستوية : فهي صعيد .

كل شيء دبَّ على الأرض : فهو دابة .

كل جبل عظيم : هو أخشب .

كل ما ارتفع من الأرض : فهو نجد .

كل فعله شنيعة : فهي سؤأة .

● الأشياء الصغيرة :

القارب : السفينة الصغيرة . الحُسانية : الوسادة الصغيرة .

القلهزم : الغرس الصغير . الخُشيش : الغزال الصغير .

الجدول : النهر الصغير . السؤملة : الفنجانة الصغيرة .

الذر : صغار النمل . الحبلق : صغار المعز .

الفسيل : صغار الشجر . اللَّمَم : صغار الذنوب .

● الأشياء الضخمة :

الجاب : الحمار الضخم . العُلُكُوم : الناقة الضخمة .
الهرأوة : العصا الضخمة . الهلُّوف : اللحية الضخمة .

● تقسيم الأنوف :

أنف الإنسان . مِخْطَم البعير هرثمة السبع
قِرْطِمة الطائر نُخْرَة الفرس خُرطوم الفيل
خِنَابَة الجراح فَنطِيسَة الخنزير
● ضروب مشي الإنسان :

الدَّرْجَان : مشية الصبي الصغير . الحبو : مشي الرضيع على أسته .
الخطران : مشية الشاب بنشاط . الدليف : مشية الشيخ وريداً .
الهدجان : مشية المثلث . الرسفان : مشية المقيّد .
الاختيال : مشية المتكبر . العشزان : مشية المقطوع الرجل .
القرل : مشي الأعرج . التخلج : مشية المجنون .
الإهطاع : مشية المسرع الخائف من الله .
القهقرى : مشية الراجع إلى خلف .

● تقسيم النكاح :

نكح الإنسان . كام الفرس . باك الحمار .

قاع الجمل . نزا التيس والسبع . عاظل الكلب .
سَفَد الطائر . قمط الديك .

● ترتيب النوم :

النعاس : أن يحتاج الإنسان إلى النوم .

التزنيق : مخالطة النعاس العين .

التغفيق : النوم مع سماع كلام قوم .

التهويم والغرار : النوم القليل .

الوسن : ثقل النعاس .

الكرى : الغمض بين النوم واليقظة .

الإغفاء : النوم الخفيف .

الرقاد : النوم الطويل .

● أَلغاز لغوية وفقهية :

- هل يجوز للإنسان بيع الوقف؟

الجواب : نعم ولو بلغ ثمنه مائة ألف

(الوقف : حُلي المعصم كالسوار، وهو من عاج) .

- هل يجوز للإنسان بيع الريحان؟

الجواب : لا يجوز ولو لكسوة العريان .

(الريحان : الولد) .

- ما تقول في بيع أم عطية؟

الجواب : يجوز سرّاً وعلانية!

(أم عطية : الرحي) .

- ما تقول في أكل أم جابر؟

الجواب : يجوز في الماضي والغابر .

(أم جابر : الخبز والهريسة ، وكلا المعنيين جائز هينا) .

- ما تقول في أكل المنشار والمنارة؟

الجواب : جائز كأكل قثاء أو خياراً!

(المنشار : سمكة على هيئة المنشار ، والمنارة : سمكة على هيئة المنارة) .

- ما تقول في شافعي لمس الإبريق؟

الجواب : يُنتقض وضوؤه عند كل صديق!

(الإبريق : المرأة الحسناء البرّاقة) .

- ما تقول في شافعي لمس الكنيسة؟

الجواب : يُنتقض وضوؤه عند كل أنيسة .

(الكنيسة : المرأة الحسناء) .

- ما تقول فيمن سجد على شئالة؟

الجواب : لا بأس بفعاله .

(الشئالة : قطيفة للصلاة) .

- ما تقول فيمن حمل جرّواً وصلّى؟
الجواب: هو كما لو حمل باقلاً.
(الجرّو: البطيخ الصغير).
- ماذا لو ضحكت المرأة في صومها.
الجواب: بطل صوم يومها.
(يقال: ضحكت المرأة أي حاضت).
- ما تقول في وجود السبت يوم الخميس؟
الجواب: يجوز عند كل أنيس.
(السبت: حلق الرأس).
- ما تقول فيمن ضرب على يد اليتيم؟
الجواب: جائز إلى أن يستقيم.
(يقال: ضرب على يد اليتيم: حجر عليه إلى بلوغ رشده).
- ماذا يجب على من ملك مائة مصباح؟
الجواب: حُفَّتَانِ ياصباح!
(المصباح: الناقة).
- هل يجوز أن يُضحّى بالطالق؟
الجواب: نعم، ويُقري منها الطارق.
(الطارق: الناقة تُرسل في المرعى. ويُقري: أي يُطعم منها الطارق، وهو الضيفُ السائل).

- هل يوجد أعور له عينان؟

الجواب : يوجد في القاموس والتبيان .

(الأعور: الغراب) .

- هل يجوز للرجل أن يذبح خاله للأضحية؟

الجواب : نعم ، تكون جميع أفعاله مرضية !

(الخال : البعير الضخم) .

- ما تقول في ذبح أبي الفضائل؟

الجواب : يجوز عند المناهل .

(أبو الفضائل : كنية الجمل) .

- ما تقول في ذبح أبي حسان؟

الجواب : جائز للصلة والإحسان .

(أبو حسان : كنية الديك) .

- ما تقول في ذبح أم الوليد؟

الجواب : يجوز عند كل فريد .

(أم الوليد : كنية الدجاجة) .

- ما تقول في جواز قتل الرقيب؟

الجواب : جائز للبعيد والقريب .

(الرقيب : حية خبيثة) .

● أمره عجيب وشأنه غريب :

- له وجه ولا وجه له !

(المراد من الوجه الأول : الوجه المعلوم للإنسان ، والمراد من الوجه الثاني : هو الطريق ، أي لا طريق له مخصوص) .

- له لسان ولا لسان له !

(المراد باللسان الأول : اللسان المعلوم للإنسان ، والمراد باللسان الثاني : الفصاحة ، أي لا فصاحة له ، فإن اللسان يطلق على الفصاحة أيضاً ، وهي من جملة معانيه) .

- له رقبة ولا رقبة له !

(يراد بالأولى : الرقبة المعلوم للإنسان ، وبالثانية : الرقيق . . . قال تعالى : ﴿فتحري رقبه مؤمنة . . .﴾) .

- له يد ولا يد له !

(اليد الأولى هي اليد المعلوم للإنسان ، والثانية : بمعنى القوة ، فإنها تجيء بمعناها أيضاً) .

- له فخذ ولا فخذ له !

(الأول هو الفخذ المعلوم للإنسان ، والثاني : العشيرة . . .) .

- له شقيقة ولا شقيقة له !

(الأولى : الأخت الشقيقة ، والثانية : داء حاصل في الرأس ، وهو مرض يعرف بالشقيقة) !

لطائف المعارف (*)

لثعالبي

● من ألقاب الشعراء الذين لُقّبوا بأشعارهم :

الممزق : وهو شأس بن نهار العبدي ، لقب بذلك لقوله :

فإن كنت مأكولاً فكنْ خير آكلٍ وإلا فأدركني ولماً أمزق

المخرق : واسمه عباد الحضرمي ، لقب بذلك لقوله :

أنا المخرق أعراض اللثام كما كان الممزق أعراض اللثام أبي

تأبط شراً : وهو ثابت بن جابر ، لقب بذلك لقوله :

تأبط شراً ثم راح أو اغتدى يطالع غنماً أو يسيف إلى ذحل

(*) لطائف المعارف/ تأليف أبي منصور الثعالبي ؛ تحقيق إبراهيم الأبياري ، حسن كامل الصيرفي -

القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٩ هـ ، ٣٠ ، ٣٢٨ ص .

والكتاب موسوعة أدبية من نوع خاص ! فيه معلومات طريفة يصعب على متخصص أن يوفّق لضمها ولم شتاتها . وفيها فوائد كثيرة لا سبيل إلى جمعها إلا بالنظر في كتب كثيرة متفرقة . فهو يتكلم في الأوائل ، وفي ألقاب الشعراء ، والألقاب الإسلامية للوجوه والأعيان ، وفي المتقدمين ، والأعرقين من كل طبقة ، وفي المتناسقين في أحوال مختلفة ، وفي الغايات من طبقات الناس ، وفي ظرائف الاتفاقات في الأسماء والكنى . وتكلم في فنون شتى من المعارف النبوية والقرشبية والملوكية ، وتكلم في ملاح النوادر في غرائب الأحوال وعجائب المخلوقات ، وتكلم في خصائص البلدان وذكر محاسنها ومساوئها .

والمؤلف هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، من أئمة اللغة والأدب ، من أهل نيسابور ، كان فزاً يخيظ جلود الثعالب ، فنسب إلى صناعته ، واشتغل بالأدب والتاريخ فنبغ ، وصنف الكتب الكثيرة الممتعة . ت ٤٢٩ هـ .

عويف القوافي : وهو عويف بن معاوية بن عقبة ، لقب بذلك لقوله :
سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعَمُ أَنِّي إِذَا قَلْتُ قَوْلًا لَا أَجِيدُ الْقَوَافِيَا
ذُو الرُّمَّةِ : هو غيلان بن عقبة ، لقب بذلك لقوله :

أشعث باقي رُمّة التقليد

[وهذا البيت من أرجوزة لذي الرمة يخاطب بها أخاه مسعوداً ، يصف وتداً
يدق في الأرض يتشعث رأسه . والرمة : القطعة من الحبل . والتقليد : من
قلده ، إذا وضع في عنقه مثل القلادة . يعني : لم يبق في أرض الدار بعد نزح
أهلها عنها غير هذا الوتد المشعث الرأس من كثرة ما دُقَّ عليه ، فيه بقايا
حبال هي كالقلادة له].

جِرَانُ العَوْدِ : هو المستورد العُقيلي . لقب بذلك لقوله لامرأته :
خُذَا حِذْرًا يَسَا طَلَّتِي فَإِنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ العَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلُحُ
[والطَّلَّةُ : امرأة الرجل .

والجران : باطن العنق الذي يضعه البعير إذا مَدَّ عنقه لينام ، ومنه تعمل
الأصواف .

والعَوْدُ : البعير المسن ، وجلده أقوى وأمتن].

موسى شَهَوَاتِ : وهو موسى بن يسار ، مولى قريش . لقب بذلك لقوله
ليزيد بن معاوية :

لست منا وليس خالك منَّا يَا مُضِيْعَ الصَّلَاةِ للشَّهَوَاتِ
عائد الكلب : هو مصعب بن عبد الله الزبيري ، لُقِّبَ بذلك لقوله :

مالي مرضتُ فلم يُعُدني عائدٌ منكم ، ويمرض كلُّكم فأعودُ
 مقبَّل الريح ، لقب بذلك لقوله :
 يا هندُ ما تأمرين في رجلٍ قد اشتفى من فؤاده الكَمَدُ
 هبَّ شمالٌ فقيل من بلَدٍ أنت به ، طاب ذلك البلد
 فقَبَّل الريح من صبايته ما قبَّل الريح قبله أحدًا

● ومن ألقاب الأعيان : عبدالله الفقير. وهو عبدالله بن مسلم ، أخو قتيبة ابن مسلم . لُقِّب بذلك ؛ لأن أخاه قتيبة كان كلما قسم الغنائم بخراسان على أصحابه وقومه ، قال له عبدالله : أيها الأمير، أنا رجلٌ فقير فزدي . فلُقِّب بالفقير! فولاه قتيبة سمرقند ، وقال لأصحابه : أترون هذا اللقب يزول عن أخي الآن وهو ولي سمرقند؟ قالوا : لا والله أيها الأمير، ولو ولي خراسان ، فإن اللقب ألزم له وألزم من الدين ، وحُمِّي الرَّبِيع^(١) ، وشَعَرَاتِ الْقَصِّ^(٢) .

● ذكر الأعرقين من كل طبقة والمتناسقين في أحوال مختلفة :

- أعرق الأنبياء في النبوة :

يوسف الصديق ، ابن يعقوب إسرائيل ، ابن إسحاق الذبيح^(٣) ، ابن إبراهيم الخليل ، صلوات الله عليهم أجمعين .

ولا يُعرف نبيُّ ابن نبي ابن نبي سواه .

(١) حمى الربيع : التي تنقطع ثلاثة أيام ونجىء في الرابع .

(٢) شعرات القص : يقال في المثل : ألزم من شعرات القص . والقص : رأس الصدر، وذلك أنه كلما حلقت نبتت . والمعنى : أنه لا يفارقه !

(٣) الصحيح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام .

- أعرق الخلفاء في الخلافة :

المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور
وكذلك أخوه المعتز.

ومن العجائب أن أعرق الأكاسرة في الملك - وهو شيرويه - قتل أباه
أبرويز، واستوى على ملكه، فلم يعيش بعده إلا ستة أشهر.

وأعرق الخلفاء في الخلافة - المنتصر - قتل أباه المتوكل، واستوى على
الخلافة، فلم يعيش بعده إلا ستة أشهر!!

- أعرق الناس في صحبة رسول الله ﷺ :

محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن قحافة .

فإن أربعتهم رأوا النبي ﷺ وصحبوه!

- أعرق الأشراف في العمى :

عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب .

فإن كلاً منهم عمي في آخر عمره!

- أعرق الناس في القتل :

عُمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد .

ولا يُعرف في العرب والعجم ستة مقتولين في نسق إلا في آل الزبير.

قُتل عُمارة وحمزة معاً يوم قُديد في حرب الإباضية .

وقتل مصعب بدير الجاثليق في الحرب بينه وبين عبدالملك بن مروان .

وقتل الزبير بوادي السَّبَاع في حرب الجمل .

وقتل العوام في حرب الفجار .

وقتل خويلد في حرب خزاعة !

- أعرق الناس في الغدر :

عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب .

فإن عبدالرحمن غدر بالحجاج بن يوسف لما ولّاه البلاد ، وخرج عليه ،
وواقعه زُهاء ثمانين وقعة ، وكانت أخراها دائرة السوء عليه !

وغدر محمد بن الأشعث بأهل طبرستان . وكان عبيد الله بن زياد ولّاه
إياها ، فصالح وعقد لهم ، ثم عاد إليهم ، فأخذوا عليه الشعاب ، وقتلوا ابنه
أبا بكر وفضحوه .

وغدر الأشعث ببني الحارث بن كعب . غزاهم ، فأسروه ، ففدى نفسه
بهايتي بعير ، وأعطاهم مائة ، وبقيت عليه مائة فلم يؤدّها ، حتى جاء
الإسلام فهدم ما كان في الجاهلية .

وكان بين قيس بن معد يكرب ومراد عهداً إلى أجل ، فغزاهم في آخر يوم
من الأجل . وكان ذلك يوم الجمعة ، وكان يهودياً ، فقال : إنه لا يحلُّ لي
القتال غداً ؛ لأنه السبت . فقاتلهم ، فقتلوه وفرقوا جيشه !

وغدر معد يكرب ببني مهرة ، وكان بينه وبينهم عهد ، فغزاهم ناقضاً
للعهد ، فقتلوه ، وشقوا بطنه فملؤوه حصى !!

- أعرق الناس في الشعر :

قال المبرد : كان يقال : أعرق قوم في الشعر آل حسان ، فإنهم معتدُّون ستة في نسق كلهم شاعر ، وهم : سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام . حتى جاء آل أبي حفصة ، وتوارثوا الشعر . وتناسق منهم عشرة على الولاء المذكورون بالشعر ، أنشدوا الخلفاء وأخذوا الجوائز .

وهم : أبو حفصة مولى عثمان ، ثم يحيى بن أبي حفصة ، ثم سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، ثم مروان بن سليمان ، ثم أبو الجنوب بن مروان ، ثم مروان بن أبي الجنوب ، ثم يحيى بن مروان ، ثم مروان بن يحيى ، ثم محمود بن مروان ، ثم متوِّج بن محمود !

● في الغايات من طبقات الناس :

- أشرف النساء نسباً :

فاطمة : أبوها سيد البشر محمد ﷺ ، أمها أم المؤمنين خديجة ، زوجها سيد الأوصياء علي رضي الله عنه ، ابناها سيدا شباب أهل الجنة .

- امرأة لها اثنا عشر محرماً كلهم خليفة :

هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية . يزيد أبوها ، معاوية جدُّها ، معاوية بن يزيد أخوها ، عبدالملك بن مروان زوجها ، مروان بن الحكم حموها ، يزيد بن عبدالملك ابنها ، الوليد بن يزيد ابن ابنها ، الوليد وسليمان وهشام بنو زوجها ، يزيد وإبراهيم - ابنا الوليد - ابنا ابن زوجها .

نظيرتها من بني العباس هي أم جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور . المنصور جدُّها ، المهدي عمها ، الرشيد زوجها ، الأمين ابنها ، المأمون والمعتصم ابنا زوجها .

● طرائف الاتفاقات في الأسماء والكنى :

- خمسة من الأنبياء عليهم السلام كلهم ذو اسمين :

محمد وأحمد ، عيسى والمسيح ، ذو الكفل واليسع ، يعقوب وإسرائيل ،
يونس وذو النون .

- ملكان إسلاميان أول اسم كل واحد منهما (ع) ، قتل كل منهم ثلاثة
من الملوك ، أول اسم كل منهم (ع)!

فأحدهما : عبد الملك بن مروان ، قتل عبدالله بن الزبير ، وعمرو بن سعيد
بن العاص ، وعبدالرحمن بن محمد بن الأشعث .

والآخر : أبو جعفر المنصور واسمه عبدالله بن محمد ، قتل عبدالرحمن بن
محمد أبا مسلم الخراساني ، وعمه عبدالله بن علي ، وعبدالجبار بن عبدالرحمن
والي خراسان .

● فنون شتى :

- عيوب السادة :

قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأينا شيئاً يمنع من السؤدد إلا وجدناه في
سيد من السادة!

وأول ذلك :

الحداثة : وقد ساد أبو جهل قريشاً وما طرَّ شاربه ، ودخل دار الندوة وما
استوت لحيته!

والبخل : وقد ساد أبو سفيان ، وكان بخيلاً معروفاً بالبخل !
والزاني لا يسود ، وقد ساد عامر بن الطفيل ، وكان أزنى من قرد^(١) .
والظالم لا يسود ، وقد ساد كليب بن وائل ، وحذيفة بن بدر ، وكانا أظلم
من حية^(٢) !
والأحمق لا يسود ، وقد ساد عيينة بن حصن الفزاري ، وكان أحمق . وفيه
يقول النبي ﷺ : « هذا الأحمق المطاع » .
والفقير لا يسود ، وقد ساد أبو طالب وعتبة بن ربيعة ، وكانا فقيرين
عزيزين جداً .
ولا يعرف في العرب والعجم كذاب ساد .
والعرب تقول : ليس في الأرض شجاع إلا سخي ، فنقض ذلك عبدالله بن
الزبير ، فإنه كان من أشجع الناس ومن أبخلهم .
وتقول العرب : ليس في الأرض شاعر إلا جبان ، فنقض ذلك عنتر بن
شداد العبسي ، فإنه كان من أشعر الناس وأشجعهم !
● الصلح من الخلفاء :

كان عمر بن الخطاب أصلح ، وعثمان أصلح ، وعليُّ أصلح ، ومروان بن
الحكم أصلح ، وعمر بن عبدالعزيز أصلح . ثم انقطع الصلح عن الخلفاء !

(١) مات ١١ هـ ولم يسلم .

(٢) وكلاهما جاهليان . والتاريخ مليء بالحكام الظالمين ، لكن ربما يقصد الكاتب من بين الأشراف
(السادة) .

● صناعات الأشراف :

كان أبو طالب يبيع العطر، وكان أبو بكر يبيع البز (هي الثياب من الكتان أو القطن)، وسعد بن أبي وقاص يبري النُّبْل، وكان الزبير جزاراً، وأبو سفيان يبيع الزيت والأدم، والعاص بن وائل يعالج الخيل والإبل.

● غرائب الأحوال وعجائب الأوقات والاتفاقات :

- أب وابن تقارب ما بينهما من السن تقارباً شديداً :

هو عمرو بن العاص . كان بينه وبين ابنه عبدالله ثلاث عشرة سنة . ولا يُذكر مثل ذلك .

- أعجوبة فيها معتبر :

روت الرواة من غير وجه عن عبدالملك بن عمير اللّخمي^(١) أنه قال :

رأيت في هذا القصر - وأشار إلى قصر الإمارة بالكوفة - رأس الحسين بن علي بن أبي طالب بين يدي عبيدالله بن زياد على ترس ، ثم رأيت فيه رأس عبيدالله بن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد على ترس ، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب على ترس ، ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبدالملك بن مروان على ترس .

فحدّث بهذا الحديث عبدالملك ، فتطير منه وفارق مكانه !

● من خصائص البلدان :

- البصرة والكوفة :

(١) كنيته أبو عمرو . وكان يلقب : القبطي . وهو من لحم ، عمّر حتى بلغ مائة وثلاث سنين ، ومات سنة ١٣٦ هـ .

كان الحجاج يقول: الكوفة جارية جميلة لا مال لها، فهي تُخطب لجمالها.
والبصرة عجوز شوهاء موسرة، فهي تخطب لملها.

وكان زياد بن أبيه يقول: العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق،
والمزبد عين البصرة، وداري عين المربد.

- بغداد:

. . . من عجيب شأنها أنها على كونها الحضرة الكبرى لاستيطان الخلفاء
إياها، لا يموت بها خليفة!! كما قال عمارة بن عقيل:

أعابت في طول من الأرض والعرض كبغداد داراً إنما جنّة الأرض
قضى ربّها ألا يموت خليفةً بها، إنه ما شاء في خلقه يقضي

وعلى ذلك جرى الأمر إلى زماننا هذا، إذ مات المنصور بمكة، والمهدي
بإسبذان، والهادي بعيسى آباد، والرشيد بطوس، وقتل الأمين [خارج باب
الأنبار عند بستان طاهر]، ومات المأمون بطرسوس، والمعتصم بسامراء،
والواثق بها، وقتل المتوكل ومات المنتصر بسامراء، وتُخلع المستعين وكذلك
المعتز والمهتدي وقتلوا، ومات المعتمد بالحسنية، وكذلك المعتضد والمكتفي،
وقتل المقتدر، وكُحل^(١) القاهر، ومات الراضي بالحسنية، وكُحل المتقي
والمستكفي، ومات المطيع بدير العاقول، وتُخلع الطائع، [وقتل المسترشد
بمراغة، وقتل الراشد بأصفهان].

(١) أي سملت عيناه.

- أصبهان :

موصوفة بصحة الهواء ، وجودة التربة ، وعضوية الماء . وقلما تجتمع هذه الصفات في بلدة . ويحكى أن الحجاج ولَّى بعض خواصّه أصبهان ، فقال له :

قد وليتك بلدة حَجَرُهَا الكُحْل ، وذبابها النحل ، وحشيشها الزعفران .
وذلك لأن حجر الكحل بها موصوف بالجودة ، والزعفران بها كثير ،
وكذلك النحل .

- جُرجان :

هي سهلية ، جبلية ، برية ، بحرية . وأهلها يَعُدُّون زيادةً على مائة نوع من أنواع الرياحين والبقول والحشائش الصحراوية والثمار والحبوب السهلية والجبلية التي هي مبدولة للجميع ، يتعيّش الفقراء والغرباء باجتنائها وجمعها وبيعها . فمنها :

حبُّ الرمان ، وبِزْرُ قَطُونَا^(١) والثمرة التي يقال لها : نَيْسُو^(٢) والنرجس السكّي .

على أن عُرَّة فواكهها التين والعُنَّاب^(٣) . ثم العُنَّاب من خصائصها ، ولا يكون في سائر البلاد مثله .

(١) نبات سنوي ساقه متفرعة ، ولا تستعمل إلا بزوره التي نظرها في اللون كالبراغيث .

(٢) نيسو أو نيسويا : ثمرة تشبه الكرز .

(٣) شجر حبه كحب الزيتون أحمر حلو .

ويتلاقى في سُوقها جَنى الصيف والشتاء ، من الباذنجان والخيار والفجل
والجزر والباقلاء^(١) وقصب السكر.

ويقال إن جُرجان مقبرة أهل خراسان .

وفي بعض الكتب القديمة أن بخراسان بلدة يقال لها جرجان ، يُساق إليها
القِصَارُ الأعمار من الناس .

وكان أبو تراب النيسابوري يقول : لما قُسمت البلدان بين الملائكة وقعت
جُرجان في قسم أبي يحيى - يعني ملك الموت - أي لكثرة الموتى بها !

وكان المأمون لما رجع من خُراسان إلى العراق جعل طريقه على جُرجان ،
فدامَ المطر بها قريباً من شهر ، حتى تبرّم وضجر ، فقال : اخرجوا من هذه
الرشاشة !

- نيسابور :

كان المأمون يقول : عين الشام دمشق ، وعين الروم قسطنطينية ، وعين
الجزيرة الرقة ، وعين العراق بغداد ، وعين الجبال أصبهان ، وعين خراسان
نيسابور ، وعين ما وراء النهر سمرقند .

- سجستان :

يروى في بعض الآثار قول بعض السلف فيها :

(١) هي الفول .

ماؤها وَشَلَّ (١)، وتمرها دَقْل (٢)، ولصُّها بطل . إنَّ قَلَّ الجيش بها ضاعوا،
وإن كثروا جاعوا!

- سمرقند :

من خصائصها : الكواغيد (٣)، التي عطَّلت قراطيس مصر، والجلود التي
كان الأوائل يكتبون فيها ؛ لأنها أحسن وأرفق وأوفق ، ولا تكون إلا بها
وبالصين!

- الصين :

وأهل الصين - قديماً وحديثاً - مخصوصون بصناعة اليد والحِذْق في عمل
الطُّرْف والملِّح ؛ وهم يقولون : أهل الدنيا عُميَّ إلا أهل بابل فإنهم عُور!
ولهم الإغراب في خَرَط التماثيل ، والإبداع في عمل النقوش والتصاوير،
حتى إن مصوِّرهم يصور الإنسان ولا يغادر شيئاً إلا الروح ! ثم لا يرضى
بذلك حتى يصوِّره ضاحكاً ، ثم لا يرضى بذلك حتى يفصل بين ضحك
الشامت وضحك الخَجَل ، وبين المتبسِّم والمستغرب ، وبين ضحك المسرور
وضحك الهازئ ! فيركَّب صورة في صورة ، وصورة في صورة!

- أنطاكية :

لما همَّ الرشيد باستيطان أنطاكية كره أهلها ذلك ، فقال له شيخ منهم : يا
أمير المؤمنين ، إنها ليست من بلادك .

(١) الوشل : الماء القليل يتحلب من صخر أو جبل . وهو من الأضداد .

(٢) الدقل : أردأ التمر .

(٣) هي القراطيس .

قال: ولم؟ قال: لأن الطيب الفاخر يتغير حتى لا يُنتفع منه بشيء،
والسيف يصدأ بها وإن كان من قلع الهند وطبع اليمن، وربما اتصل مطرها
ودام شهرين فلا يرى فيها صحو يوم!
- حُوَارَزْم:

من خصائصها: البطيخ الذي يقال له البارنج . ويقال إنه أحلى البطاطيخ
وأطيبها . وكان يُحمل إلى المأمون أولاً، وإلى الواثق ثانياً، في قواليب الرصاص
معبأة في الثلج . وكانت تقوّم الواحدة منها - إذا سلّمت ووصلت - بسبعمائة
درهم!!

اللمعات البرقية في النكت التاريخية (*) لابن طولون

● قال ابن قاضي شهبه في «الكواكب الدرية في السيرة النورية» في أحداث سنة ٥٤٦هـ:

وفيها ورد إلى مدينة «سبته» مركبٌ فيه جماعة من أسارى المسلمين، وفيهم صبيّان في جسدين، أحدهما ملتب بالآخر، وهما تامان في الخِلقة سوى الفخذين والرّجلين، فإنهما برجلين على فخذين، يتكلمان بالعربية، وقد تعلمتا شيئاً من القرآن.

وقد ذكرت الفرنج أنهم أصابوهما في بعض الجزائر، أو في بعض المراكب، ومعهما شيخ كبير، وهو والدهما، وأنه مات بصقلية. وكانا جملي الصورة، فصيحي العبارة. وتسامع النصارى بذلك، وكانوا يأتون إليهما لمشاهدة صنع

(*) اللمعات البرقية في النكت التاريخية/ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن علي بن طولون. - دمشق: مكتبة القدسي والبدير، ١٣٤٨هـ، ٧٦ص - (رسائل تاريخية؛ ٤).

والكتاب عبارة عن مقتطفات أو اختيارات لأحداث معينة من التاريخ تتميز بالغرابة وعدم التكرار غالباً، أو أن فيها عبرة وعظة بالغة، وكان لها أثر كبير وصدى واسع في ذلك الوقت، لتمييزها، ولما صاحبها من عجائب.

و«النكتة»: الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، والمسألة العلمية الدقيقة يتوصّل إليها بدقة وإنعام فكر، من نكت في قوله: إذا أتى فيه بطرف ولطائف.

والمؤلف مؤرخ مشهور، عالم بالتراجم والفقهاء من أهل الصالحية بدمشق. كانت أوقاته معمورة كلها بالعلم والعبادة. وله مشاركة في سائر العلوم، حتى في التعبير والطب. كتب بخطه كثيراً من الكتب وعلق عليها. ولم يتزوج. ت ٩٥٣هـ.

الله، ويُجملان إلى المواضع، والناس يبروهما، وحصل لهما بذلك نعمة طائلة وافرة.

. . . ونظير هذا ما حكاه التنوخي في كتاب «نشوار المحاضرة» أن صاحب أرمينية بعث إلى ناصر الدولة ابن حمدان، في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة، رجلين ملتصقين من أحد الجانبين، من فوق الحلقوم إلى دون الإبط، وكان أحدهما يمشي إلى جنب الآخر، ويجعل يده التي تلي جانب أخيه خلف ظهر أخيه ويمشيان. وأنها كانا يركبان دابة ببردعة، وكان أحدهما إذا أراد البول قام الآخر معه. وكان معهما أبوهما. فتعجب منهما ناصر الدولة وأجزل صلتها. وكانا يدخلان على الكبراء والأغنياء في الليل حتى لا يراهما العامة نهراً. وحصل لهما نعمة وافرة.

قال التنوخي: وبلغني أن أحدهما مرض ومات، وبقي الآخر بعده في عقاب لم يستطع أن يحمله معه، ثم أنتن عليه، ومرض لسراية العفن إليه، فمات. فدفنهما أبوهما، وكان عمرهما أكثر من ثلاثين سنة!!

● قال أبو شامة في أول كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية» عن نور الدين الشهيد وصلاح الدين الأيوبي: . . . هذان حجة على المتأخرين من الملوك والسلاطين؛ لله درُّهُما من ملكين تعاقبا على حسن السيرة وجميل السريرة، وهما حنفي وشافعي، شفا الله بهما كل عيٍّ، وظهرت بهما من خالقهما العناية، فتقاربا حتى في العمر ومدة الولاية. وهذه نكتة قلَّ من فطن لها ونبه عليها، ولطيفة هداني الله بتوفيقه إليها. وذلك أن نور الدين الشهيد ولد سنة ٥١١هـ، وتوفي سنة ٥٦٩هـ.

وولد صلاح الدين بن أيوب سنة ٥٣٢هـ وتوفي سنة ٥٨٩هـ.

وكان نور الدين أسن من صلاح الدين بسنة واحدة وبعض أخرى .

وكلاهما لم يستكمل ستين سنة .

فانظر كيف اتفق أن بين وفاتها عشرين سنة ، وبين مولدهما إحدى وعشرين سنة .

وملك نور الدين دمشق سنة ٥٤٩ هـ ، وملكها صلاح الدين سنة ٥٧٠ هـ .

فبقيت دمشق في المملكة النورية عشرين سنة ، وفي الصلاحية تسع عشرة سنة .

وهذا من عجيب ما اتفق في العمر ومدة الولاية ببلدة معينة للمكين متعاقبين ، مع قرب الشبه بينهما في سيرتهما ، والفضل للمتقدم !

فكانت زيادة مدة نور الدين كالتنبية على زيادة فضله . ألا تراه بنى المارستانات (المستشفيات) دون صلاح الدين ؟ ومن أعظمها البيمارستان الذي بناه بدمشق ، فإنه عظيم جداً . . بلغني أنه لم يجعله وقفاً على الفقراء وحسب ، بل على المسلمين كافة ، من غني وفقير .

● وأوردوا نادرة في أصل هذا البيمارستان العظيم !

وهي أن نور الدين الشهيد وقع في أسره بعض ملوك الفرنج خذلهم الله تعالى ، فقطع هذا الملك على نفسه مالا عظيماً يفتدي به ! فشاور نور الدين أمراءه ، فكلهم أشار بعدم إطلاقه ، وذلك لما كان من الضرر على المسلمين .

وأجل البتّ في الأمر إلى الغد .

ثم استخار الله تعالى، وأرسل في السرِّ يقول للملك: أحضر المال.
فأحضر ثلاثمائة ألف دينار! فأطلقه ليلاً لئلا يعلم به أصحابه. وتسلم
المال. فلما بلغ الفرنجي مأمنه، مات!

وبلغ نور الدين خبره، فأعلم أصحابه، فتعجبوا من لطف الله تعالى
بالمسلمين، حيث جمع لهم الحسنتين، وهما: الفداء، وموت ذلك اللعين.
فبنى نور الدين بذلك المال هذا البيمارستان، ومنع المال الأمراء، لأنه لم
يكن عن إرادتهم!

● وذكر العلامة بدر الدين الأسدي في «الكواكب الدرية في السيرة
النورية» في أحداث سنة ٥٥٦هـ: وفيها مرض نقيب الأشراف بدمشق -
المعروف بابن أبي الجن - مرضاً شديداً أيس منه. ففوض السلطان نور الدين
نقابة الأشراف وما كان بيده من الولايات إلى ولده. واشتغل الابن بتجهيز
والده وترتيب أكفانه، وعقد له قبراً. فاتفق أنه عافاه الله وانطرح ولده
مريضاً، فمات في اليوم الخامس، فجهَّز بذلك الجهاز، ودُفن في ذلك القبر
الذي حفره لوالده!

● قلت: وشهد بعض العلماء جنازة ببغداد، فتبعهم نباش، فلما كان
الليل جاء إلى ذلك القبر، ففتح عن الميت - وكان الميت شاباً قد أصابته
سكتة - فلما فتح القبر نهض ذلك الشاب الميت جالساً! فسقط النباش ميتاً
في القبر، وخرج الشاب من قبره إلى أهله. والله أعلم.

● وقال العلامة بدر الدين في أحداث سنة ٥٣٤هـ: وفيها توفي رجل
صالح من أهل بلاد الأزج، فنودي للصلاة عليه بمدرسة الشيخ عبدالقادر.
فلما أريد غسله عطس وعاش، وشهق المغسل فمات.

وفي هذا المعنى قيل :

كم مريض عاش من (١) بعد موت الطبيب والعواد
وقد تُصاد القطا فتنجو سريعاً ويحلُّ القضاء بالصياد

● ذكر الإمام الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام، في أحداث سنة ٥٨٠هـ: وفيها راهن رجل على خمسة دنانير أن يُدفن في قبر نصف يوم، فدفن، ثم كشفوا عنه، فإذا به قد مات!

● قال الأسدي في تاريخه في أحداث سنة ٦١١هـ ما صورته: علي بن أبي بكر الهروي، الزاهد السائح، الذي طرق الأقاليم. وكان يكتب على الحيطان، فقلَّ ما تجد موضعاً مشهوراً في بلد إلا عليه خطه!! ولد بالموصل. . واستوطن في آخر عمره حلب.

قال الذهبي: وله تواليف حسنة، ورأيت له كتاب «المزارات والمشاهد» التي عاينها في الدنيا، فرأيته حاطب ليل، وعنده عامية، لكنه دَوَّر الدنيا، ودخل إلى جزائر الفرنج، ورأى العجائب.

● الحاكم بأمر الله - لعنه الله تعالى - هو أبو علي المنصور بن العزيز. ولي الخلافة سنة ٣٨٦هـ وله إحدى عشرة سنة ونصف سنة. . وقُتل سنة ٤١١هـ وعمره يومئذ ٣٦ سنة وسبعة أشهر. فكانت مدة ولايته (٢٥) سنة.

كان جواداً بالمال، سفاكاً للدماء، سيرته من أعجب السير وأغربها!!
أمر بسبِّ الصحابة، وأمر بكتب ذلك على أبواب المساجد والجوامع

(١) هكذا في الأصل، والوزن غير مستقيم.

والشوارع . وكتب إلى سائر الأعمال بذلك في سنة ٣٩٥هـ . ثم نهى عن ذلك بعد مدة .

قال ابن كثير: كان - قَبَّحَهُ اللهُ - كثير التلون في أفعاله وأقواله ، وكان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً ، وسنذكر شيئاً من صفاته اللعينة وسيرته الملعونة ، منها : أنه ادعى الألوهية كما ادَّعَاها فرعون في زمن موسى عليه السلام ؛ وكان قد أمر الرعية - إذا ذكره الخطيب على المنبر - أن تقوم الصفوف لذكره إعظماً ، ولاسمه احتراماً . وكان يفعل هذا في سائر مملكته ، حتى في الحرمين الشريفين ! وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خرواً سجداً ، فيسجد لسجودهم مَنْ في الأسواق من الرعاع وغيرهم .

. . . وادَّعى الغيب ، وكان يقول : فلان قال في بيته كذا وكذا ، وفعل كذا وكذا ، وذلك باتفاق اعتمده مع عجائز يدخلن إلى دور الأمراء وغيرهم : ورُفِعَتْ إليه رقعة مكتوب فيها :

بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ قَدْ رَضِينَا وليس بالكفر والحقاقة
إِنْ كُنْتَ أَوْتَيْتَ عِلْمَ غَيْبٍ بَيْنَ لَنَا كَاتِبِ الْبَطَاقَةِ

فلما رآها سكت عن الكلام في المغيبات .

وكانت أموره متضادة ؛ لأنه كان عنده شجاعة وإقدام وجبن وإحجام ، ومحبة للعلم وقتل العلماء ، وميل إلى الصلاح وقتل الصالحاء ، والغالب عليه السخاء ويبخل بالقليل ، ولبس الصوف سبع سنين ، وأقام سنين يوقد عليه الشمع ليلاً ونهاراً ، ثم جلس في الظلمة مدة ، وقتل من العلماء ما لا يحصى ، وأمر بقتل الكلاب ثم نهى عنه ، ونهى عن النجوم ونفى المنجمين من بلاده ، ومع ذلك رصدتها ! وبنى الجامع المشهور بالقاهرة داخل باب النصر ، وجامع

راشدة، وبنى المدارس وجعل فيها العلماء والطلبة والمشايخ، ثم قتلهم
وهدمها. ومنع صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها! ومنع النساء من
الخروج من بيوتهن ليلاً ونهاراً، فكان مدة المنع - على ما حكاه ابن خلكان -
سبع سنين!

ونهى عن أكل الملوخية وبيع الفقاع والجرجير!

وعلل تحريم الملوخية بميل معاوية إليها!

وعلل تحريم الجرجير بكونه منسوباً إلى عائشة رضي الله عنها.

وعذره - عثره الله - أنجس من ذنبه!

ثم إنه اطلع على جماعة أكلوا الملوخية، فضربهم بالسياط، وطاف بهم
القاهرة، ثم ضرب رقابهم بباب زويلة!

ونهى عن بيع الرطب، ثم جمع منه شيئاً كثيراً وأحرقه، وكان مقدار النفقة
على إحراقه خمسمائة دينار وأزيد!

ونهى عن بيع العنب، وأرسل إلى نواحي البلاد من قطع شيئاً كثيراً من
الكروم وداسوها بالبقر!

وجمع ما كان في بلاده من جرار العسل، ومُحلت إلى نشاطى النيل وقُلبت
فيه!

ونهى عن بيع الزبيب على اختلاف أنواعه، ونهى التجار عن حمله إلى
مصر، ثم جمع ما كان منه فأحرقه!

ونهى عن بيع السمك الذي لا قشر له، ثم إنه ظفر بمن باعه فقتله!

قال الشيخ علاء الدين علي بن أيبك الدمشقي : إنه أقام له وزيرين أحدهما يهودي والآخر نصراني ، فجعلنا يحكمان في المسلمين . . فهلكا . .

● واتفق بمصر أمر غريب ! وهو أنه في أول طاعون سنة ٨٢٢هـ كان بمصر شخص له أربعة أولاد ذكور، فلما وقع الموت في الأطفال ، سألت أمهم أباهم أن يختنهم لتفرح بهم قبل أن يموتوا!

فجمع الناس لذلك على العادة ، وأحضر المطهر ، فشرع في ختن واحد بعد آخر، وكل من يُختن يُسقى سكرًا بقاء على العادة! فمات الأربعة في الحال عقب ختنهم!

فاستراب أبوهم بالمطهر ، وظن أن الأداة التي ختنهم بها مسمومة! فجرح المطهر نفسه بتلك الأداة ليبرئ ساحته! وانقلب فرحهم عزاءً .

ثم ظهر من الزير الذي كان يؤخذ منه الماء حية عظيمة ماتت فيه وتمزغت ، فكانت سبب هلاك الأطفال .

ومن فرّ من شيء وقع فيه!

● واتفق في سنة ٨٢٣هـ في ثالث رمضان ، ذبحُ جمل بغزة ، فأضاء اللحم كما تضيء الشموع! وشاع ذلك وذاع حتى بلغ حد التواتر .
وأخذت من لحمه قطعة ، فرميت لكلب ، فلم يأكلها!

● ذكر الرشيد أبو خليفة رئيس الأطباء بمصر زمن الكامل ، أنه أتت إليه امرأة من الريف ومعها ولدها ، وهو مصفرٌ ناحل ، فوضع يده في نبضه ، وقال لغلامه ناولني الفرجية . فتغيّر النبض تحت يده في الحال!

فقال لها : هذا الغلام عاشق في واحدة اسمها فرجية .

فقلت : إي والله يا مولاي ، وقد عجزت في عدله^(١).

فعجب الحاضرون لذلك .

وقد اهتدى هذا الطبيب إلى ذلك من كلام ابن سينا في «القانون» ، حيث ذكر العشق فقال : ومما يتوصل به إلى معرفة المعشوق - إذا كتبه العاشق - أن يضع الطبيب يده على نبض العاشق زماناً ، ويذكر أسماءً وصفاتٍ وصنائع ، فمتى اختلف النبض اختلافاً شديداً ، واضطرب دُفعةً عند ذكر واحد منها ، فهو المعشوق !

(١) أي لومه .

محاسن الوسائل في معرفة الأوائل (*) للشبلبي

● أول قتيل في الإسلام : نُفيع بن المعلّى بن لوذان الأنصاري . أسلم قبل الهجرة ، فقتله رجل مزني .

● أول من طُرح عليه رَحَى فشدخته فمات شهيداً في الإسلام : خلاد بن سويد الخزرجي الأنصاري البديري . طرحت عليه امرأة من قريظة رَحَى من

(*) محاسن الوسائل في معرفة الأوائل ؛ مع تعليقات السوييني عليه / تصنيف محمد بن عبدالله الشبلبي الدمشقي ؛ تحقيق محمد ألتونجي - بيروت : دار النفائس ، ١٤١٢هـ ، ٤٣٢ ص .
علم الأوائل هو علم تتعرّف منه أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب ، وموضوعه وغايته ظاهرة ، وهذا العلم من فروع التواريخ والمحاضرات . . كما يقول صاحب كشف الظنون .
وقد كتب كثيرون في «الأوائل» منهم ابن أبي عاصم النبيل ، وأبو عروبة الحراني ، وسليمان بن أحمد الطبراني ، وأبو هلال العسكري ، وابن باطيش ، وابن خطيب دارياء ، وابن حجر العسقلاني ، وجلال الدين السيوطي ، وابن طولون . . . وغيرهم .
وقد انتقيت منه بعض الفقرات الفريدة ، وتركت ما عرفت أنه معروف متداول بين المثقفين . . والله الموفق .

والمؤلف هو محمد بن تقي الدين عبدالله الشبلبي الدمشقي ثم الطرابلسي الحنفي . ولد بدمشق سنة ٧١٢هـ وتوفي بطرابلس سنة ٧٦٩هـ . كان كثير الطواف ، محباً للأسفار في طلب العلم والمعرفة . رحل إلى فلسطين والقاهرة . . قال فيه الذهبي : «الفقيه المحدث العالم ، من نبهاء الطلبة وفضلاء الشباب . سمع الكثير ، وعُني بالرواية ، وقرأ على الشيوخ» . كما رحل من دمشق ليبي قضاء طرابلس الشام سنة ٧٥٥هـ بعد قتل قاضيها شمس الدين بن ندير الحنفي بيد اللصوص ، فاستمر في مركز القضاء والعبادة والمرابطة قرابة خمس عشرة سنة إلى أن مات . وله مؤلفات ، منها : «ذم السماع الملهي وتحريمه وبيان حميد الشعر من ذميمة» ، و«نزهة الكرام والأكياس في ذكر السهام والقياس» ، و«رسالة في آداب الحمام» ، و«آكام المرجان في أحكام الجان» .

السطح ، فمات شهيداً ، فقتلها رسول الله ﷺ .

● أول من سمى يوم الجمعة بهذا الاسم هو كعب بن لؤي . وكان يقال لها : العروبة .

● أول من طيب الكعبة بالخلوق ، وأجرى الزيت في قناديل المسجد من بيت المال ، هو معاوية رضي الله عنه .

● وأما أول من زين الكعبة بالذهب . . فإنه الوليد بن عبد الملك بعث إلى واليه على مكة - خالد بن عبد الله القسري - بستة وثلاثين ألف دينار ، فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب ، وعلى ميزاب الكعبة ، وعلى الأساطيم^(١) التي في بطنها ، وعلى الأركان التي في جوفها .

● أول من غنى في الإسلام الغناء الرقيق : طويس^(٢) .

● أول من حلف كاذباً بالله : إبليس ، قال الله تعالى : ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾^(٣) . يعني حلف لهما : إنهما إن أكلا من شجرة البر لم يموتا أبداً . وكذب في يمينه .

● أول من عمل السيوف جمشيد . وهو رابع ملوك الأرض ، قاله الطبري .

● أول من سمنا مسلمين : إبراهيم عليه السلام . قال الله تعالى : ﴿مَلَّةٌ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ﴾^(٤) .

(١) السطام : السدادة .

(٢) كان في زمن عثمان رضي الله عنه . وهو الذي قيل فيه : أشأم من طويس . . فقد ولد يوم قبض رسول الله ﷺ ، وفُطم يوم مات أبو بكر ، وخُتن يوم قُتل عمر ، وزُوج يوم قتل عثمان ، وولد له ولد يوم مات الحسن أ

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٢١ .

(٤) سورة الحج ، الآية ٧٨ .

● أول من سنَّ للعرب حُداء الإبل : مضر بن نزار والد إلياس . وكان أحسن الناس صوتاً فيما زعموا . وسببه - فيما ذكروا - أنه سقط عن بعير، فوثت يده^(١)، فكان يمشي خلف الإبل ويقول : وا يدياه، وا يدياه . يترنم بذلك . فسارت الإبل سيراً سريعاً واسعاً، فكان ذلك أصل الحُداء عند العرب ، وذلك أنها تتنشّط بحدائها الإبل ، فُسرِع!

● أول من رمى بالمنجنيق في الجاهلية : جُذيمة بن مالك بن فَهْم ، وهو المعروف بالأبرش . وهو من ملوك الطوائف ، وكان يُعرف بالوضّاح . ويقال له أيضاً : منادم الفرقدين ؛ لأنه ربا بنفسه عن منادمه الناس . .

● أول من كتب «بسم الله الرحمن الرحيم» سليمان بن داود عليه السلام .
قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

● أول ما اشتكى النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه : في بيت ميمونة ، ثم استأذن نساءه في أن يُمرّض في بيت عائشة ، فأذنَّ له .

● أول من استشهد من المسلمين يوم بدر: مهجع ، مولى عمر بن الخطاب . . فقد أتاه سهم غرب وهو بين الصفين فقتله . وهو من أهل اليمن .

● أول صلاة كسوف صلاها رسول الله ﷺ : يوم موت ابنه إبراهيم ، سنة عشر .

(١) أي أصابها وهن ووضم ، لا يبلغ أن يكون كسراً .

● أول من عُرف أنه حَرَّمَ الخمر في الجاهلية : مِقْيَس بن قيس بن عدي .
والسبب في تحريمه إياها أنه شرب الخمر حتى ثمل ، وأخذ يخذُّ الأرض ببوله ،
فتضاحك منه الحيُّ من قومه ، وكان رئيسهم . فحرَّمها في الجاهلية وقال :

لا أشرب الخمر إن الخمر فاضحةٌ تُزري بمن كان ذا لُبِّ وذا كرم
حتى يُرى ضحكةً في القوم محترماً كأنها مسَّه طيفٌ من اللَّمم

● أول من سُمِّي في الإسلام أحمد : والد الخليل بن أحمد الفراهيدي . قال
المبرد : فَتَّش المفتشون فما وجدوا بعد نبينا ﷺ من اسمه أحمد قبل أبي الخليل .

● أول من سُمي عبدالمملك وعبدالعزیز: ابنا مروان بن الحكم . ولد
عبدالملك في خلافة عثمان رضي الله عنه .

● أول مسألة اختلف فيها بعد وفاة النبي ﷺ : موته .

● أول من سمَّى المصحف مصحفاً : عتبة بن مسعود ، أخو عبدالله بن
مسعود .

● أول من حبس أرضاً في سبيل الله : عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

● أول النساء إسلاماً بعد خديجة رضي الله عنها : أسامة^(١) بنت الحارث
الهلالية ، أم قثم بن العباس .

● أول من حيَّا النبي ﷺ بتحية الإسلام : أبو ذر . عن عبدالله بن الصامت
قال : قال أبو ذر في حديث إسلامه : جاء النبي ﷺ فطاف بالبيت ، وصلى

(١) وذكر أن اسمها «لبابة» .

خلف المقام ركعتين ، فإني لأولُ الناس حيَّاه بتحية الإسلام ، فقلت : السلام عليك ، فقال : وعليك ، ممن أنت ؟ قلت : من بني غفار .

● أول من سنَّ الركعتين عند القتل : خبيب بن عدي . لما أراد المشركون قتله قال لهم : دعوني أصلي ركعتين ، فتركوه ، فصلاهما . .

● أول من قصَّ بجامع البصرة : الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمي ، صاحب النبي ﷺ . توفي سنة ٤٢ هـ .

● أول من أقام على رأسه حرساً : معاوية رضي الله عنه .

● أول من ضرب الدنانير في الإسلام : عبدالعزيز بن مروان ، ضربها بمصر سنة ٦٦ هـ .

● أول من كتب القرآن على درهم : الحجاج بن يوسف الثقفي . . فقال القرءاء : قاتله الله ، كتب سورة من القرآن ، فحمل الناس على ما يكرهون ، يأخذونه الجنب والحائض .

● أول من نقش على الدراهم التاريخ واسم الملك : عبد الملك بن مروان .

● أول الفاكهة يسمى باكورة .

● أول الجيش يسمى طليعة .

● أول صياح المولود إذا ولد يسمى استهللاً .

● أول من اكتحل بالاثمد زرقاء اليمامة .

● أول من تكلم في الرجال : شعبة ، ثم تبعه يحيى بن سعيد القطان ، ثم بعده أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وهؤلاء . . قال ابن الصلاح : يعني أنه

أول من تصدَّى لذلك وعُني به ، وإلا فالكلام فيهم - جرحاً وتعديلاً - متقدم ثابت عن رسول الله ﷺ ، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم .

● أول من أظهر العلم بمصر والمسائل والحلال والحرام : يزيد بن أبي حبيب الأزدي ، أبو رجاء ، الإمام الفقيه الكبير . ت ١٢٨ هـ .

● أول من أظهر الحديث بالأندلس فقيه الأندلس أبو مروان عبد الملك بن حبيب القرطبي المالكي ، أحد الأعلام . ت ٢٣٨ هـ .

● أول من قال القريض والرجز : يمن ، وهو يعرب بن قحطان .

● أول من ألف كتاباً في الخراج : حفصويه جدُّ عبدالعزیز العسجدي الشاعر لأمه .

● أول من ألف في المسالك والممالك جعفر بن أحمد المروزي ، يكنى أبا العباس . صنف كتاباً في ذلك ولم يتمه . وهو أحد المؤلفين للكتب في سائر العلوم ، وكتبه غزيرة جداً . توفي بالأهواز ، ومُحلت كتبه إلى بغداد وبيعت سنة ٢٧٤ هـ .

● أول من صنف في الدولة وأخبارها كتاباً هو أبو عبدالله محمد بن صالح ابن النطّاح . كان إخبارياً ناسباً راوية للسير ، له عدة كتب ، من البصرة . ت ٢٥٢ هـ .

● أول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالي . وهو كتاب مشهور . وكان سليم من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان هارباً من الحجاج ؛ لأنه طلبه ليقتله . .

- أول من تكلم في القدر بالبصرة : معبد الجهني .
- أول من تكلم في الإرجاء : غيلان بن مسلم أبو مروان . ت ١٠٥ هـ .
- أول لحن سُمع بالعراق - كما قال الفراء - : « هذه عصاتي » .
والصواب : هذه عصاي .

قال تعالى : ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها ﴾^(١) . والعصا مؤنثة . .

- أول من عمل الإسطرلاب في الإسلام : إبراهيم بن حبيب الفزاري من ولد سمرة بن جندب ، وعمله مبطحاً ومسطحاً . وهو من المهندسين وصنّاع الآلات والحركات .

- أول كتاب صُنّف في أصول الفقه : كتاب « الرسالة » للإمام الشافعي .
- أول أشراف الساعة : نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب .
- أول من تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة : رسول الله ﷺ .
- أول ما يحاسبُ به العبد يوم القيامة : الصلاة المكتوبة .
- قيل : أول شعر قاله المتنبي^(٢) :

بأبي من وددته فافترقنا وقضى الله بعد ذلك اجتماعا
وافترقنا حولاً فلما التقينا كان تسليمه عليّ وداعا

(١) سورة طه ، الآية ١٨ .

(٢) ذكر محقق الكتاب أن المتنبي نظمه ارتجالاً وهو صبي !

من أخلاق العلماء (*) لعتارة

● قال الأعمش : كان ابن عباس إذا رأته قلت أجمل الناس ، فإذا تكلم قلت أفصح الناس ، فإذا حدثت قلت أعلم الناس !

(*) من أخلاق العلماء / محمد سليمان - القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٥٣ هـ ، ٣٧٢ ص .
وقد ذكر المؤلف أنه بدأ بجمع مواد الكتاب منذ خمس عشرة سنة عندما كان قاضياً بدمياط . وذكر أنه اطلع على كتاب «أخلاق العلماء» للأجري الصغير في حجمه ، وأنه نحا فيه نحواً غير نحوه .
وأعتبر هذا الكتاب من الكتب النادرة ، حيث تتبع المؤلف «تصرفات» العلماء الأعلام على مدى التاريخ الإسلامي ، وذكر ما جاد به سلوكهم من أدب عال وصيت بالغ ، وركز على ما يكون له أثر وفيه درس وعبرة ، مما يكون له أثر على الأجيال المسلمة ، وبخاصة التي تهتم بالعلم وشؤون القضاء والدولة .

وقد وزع هذه الأخبار والقصص على أبواب موضوعية ، حيث بدأ بذكر «أخلاق العلماء» ، ثم بيان صبرهم على طلب العلم ، وشغفهم به وأداء واجبه ، ثم عن تضحيتهم ، وإشفاقهم من حمل أمانة العلم ، وتحرزهم من الشبهة ، وفناعتهم واستهانتهم بالدنيا ، وذكر وظيفتهم ، وإيثارهم الحق ، وتشدهم فيما يرونه حقاً ، وإقرارهم له ، وأدائه مع رعاية الأدب . ثم عن عزتهم في أنفسهم بعزة العلم ، وبيان سلطانه ، وذكر عظمتهم ، وإعظام الملوك لهم . . وختمه بباب العلم والعمل .
وقد توفي المؤلف بعد صدور كتابه هذا بستين . وهو محمد سليمان إبراهيم عتارة ، قاض وأديب مصري ، تعلم بمدرسة القضاء الشرعي ، وولي القضاء في «ببا» من أعمال بني سويف . ثم كان نائباً في المحكمة العليا الشرعية بالقاهرة . ومولده ووفاته بها . من كتبه : «رسائل سائر من بلاد العرب إلى بلاد اليونان» ، و«الأدب العصري» ، و«بأي شرع نحكم» ، و«حدث الأحداث في الإسلام» ، و«رسالة في ترجمة معاني القرآن» . ونشر أبحاثاً كثيرة في الصحف المصرية . الأعلام ١٥٣ / ٦ ط ٨ .

● لما قدم العز بن عبدالسلام إلى الديار المصرية، بالغ الشيخ زكي الدين المنذري (محدث مصر، وصاحب كتاب الترغيب والترهيب) في الأدب معه . وامتنع من الإفتاء لأجله، وقال: كنا نفتي قبل حضوره، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه .

● ذُكرُ شعبة (محدثُ البصرة) عند أبي زيد الأنصاري فقال: وهل العلماء إلا شعبةٌ من شعبة؟!!

● تغيّر خاطر السيوطي على القسطلاني؛ لأنه كان ينقل عن كتبه ولا ينسب إليها. فمشى القسطلاني من القاهرة إلى الروضة - وكان السيوطي بها منعزلاً عن الناس - فدقَّ عليه الباب، فقال: من أنت؟ قال: أنا القسطلاني، جئتُ إليك حافياً مكشوف الرأس ليطيب خاطرُك. فردَّ عليه الإمام السيوطي قائلاً: قد طاب .

● قال الإمام الشافعي في تلميذه الإمام أحمد: خرجتُ من بغداد وما خلّفتُ بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل .

وقال فيه تلميذه: ما بتُّ منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له!

● وقال الإمام أبو حنيفة: ما صليتُ صلاة منذ مات حماد بن سلمة - وهو شيخه - إلا استغفرتُ له مع والدي . وما مددتُ رجلي نحو داره، وإن بيني وبينه سبع سلك!

● كان الإمام الليث بن سعد ذا كرم عجيب، وكان ينفق جُلَّ ماله في الصّلات . وكان يصنع لأصحابه الفالودج، ويضع فيها الدنانير، ليحصل لمن يأكل كثيراً على دنانير أكثر!

● كان الشيخ عبدالرحمن الشرييني - الذي ولي مشيخة الأزهر - يأتي إلى الشيخ الأشموني - العالم المشهور، فيراه مضطجعاً على جنبه، فيضع الشرييني حذاءه بعيداً، ثم يُقبل بأدب واحترام، ويلثم يد الأشموني. وكان هذا العالم الجليل إذا قال للشرييني: (إزيك يا عبدالرحمن)، فيكون قد تهلّل وجهه كأنها حيّته الملائكة!

● قال الإمام المحدث «شعبة»: من طلب الحديث أفلس! بعثت طست أمي بستة دنانير!

● قيل إن واضع جدول اللوغاريتم مكث ثلاث سنين يشتغل فيه، فلما أتمّه بيّضه ومزّق مسودّاته، وخرج بعد الفراغ يستنشق الهواء فرحاً مسروراً، وعاد بعد فسحته فرأى كلبه قد قفز على المكتب فكبّ الحبر من الدواة على المبيضة! والكلب واقف يلهو ويلعب: فلم يسع المؤلف إلا أن نظر إليه طويلاً وقال: آه لو تعلم ما صنعت! وعاد فبدأ العمل من جديد.

● كان السيوطي يلقب بـ «ابن الكتب»! طلب أبوه من أمه أن تأتيه بكتاب من المكتبة، فأجاءها المخاض فيها، فولدته بين الكتب! فلذلك لقب! ولقد صدق عليه ذلك اللقب حتى صار أبا الكتب، فقد وصلت مصنفاته إلى نحو ستمائة، غير ما رجع عنه ومجاه!

● منع والي الكوفة أبا حنيفة أن يُفتي، بعد أن رفع قاضيتها إلى الوالي أن أبا حنيفة انتقد حكماً له. فيقال إنه كان في بيته يوماً وعنده زوجته وابنه حماد وابنته، فقالت له ابنته: إني صائمة، وقد خرج من بين أسناني دم، وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم، فهل أفطر إذا بلعتُ الآن الريق؟

فقال لها أبو حنيفة : سلي أخاك حماداً ، فإن الأمير منعني من الفتيا !

● في تكملة ابن عابدين أن الفضل بن الربيع - وزير الخليفة هارون الرشيد - أدلى بشهادة عند القاضي أبي يوسف ، لكنه ردّها ولم يقبلها . فعاتب الخليفةُ أبا يوسف وقال : لمَ رددت شهادته؟ قال : لأنني سمعته يوماً يقول للخليفة : أنا عبدك . فإن كان صادقاً فلا شهادة للعبد ، وإن كان كاذباً فكذلك ؛ لأنه إذا لم يبال في مجلسك بالكذب فلا يبال في مجلسي . فعذره الخليفة .

● قال وهب بن منبه : إن ملكاً كان يجبر الناس على أكل لحم الخنزير . وطلب إحضار أفضل علماء زمانه ليأكله أمامه ! لكن صاحب الطعام رقّ له ، فوضع له لحم جدي بدل لحم الخنزير ، ومع ذلك لم يأكله ذلك العالم ! ولما أمر الملك بقتله قال له صاحب الطعام سرّاً : ما منعك أن تأكل منه وقد أخبرتك أنه لحم جدي؟ قال : خفتُ أن يفتن الناس بي ، فإن أكرهوا على أكل الخنزير قالوا : قد أكله فلان ، فيستنون بي ، وأكون فتنة لهم . فقتل رحمه الله .

● لما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة ، كتب إليه طاووس التابعي : إن أردت أن يكون عملك خيراً كله فاستعمل أهل الخير ، فقال عمر : كفى بها موعظة .

● كان الإمام أبو حنيفة معروفاً بالفقه ، مشهوراً بالورع . ومن عظيم ورعه أنه ترك لحم الغنم لما فُقدت شاة في الكوفة ، إلى أن علم موتها ! لأنه سأل عن أكثر ما تعيش ، ف قيل له : سبع سنين ، فترك أكل لحمها سبع سنين تورعاً منه ، لاحتمال أن تبقى تلك الشاة الحرام ، فيصادف أكل شيء منها فيظلم

قلبه ، إذ هذا هو شأن أكل الحرام ، وإن انتفى الإثم للجهل بعين الحرام .

● قال الإمام الأوزاعي للعالم الجليل عبدالله بن المبارك : من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة ؟ . . فانتدب ابن المبارك يذكر مسائل عويصة في الفقه من مسائل أبي حنيفة ، مبيناً حلولها واجتهاداته فيها ، فاستغرب الأوزاعي ، مستفسراً عن هذا العالم الكبير ومن يكون؟ فقال ابن المبارك : شيخ لقيته بالعراق ، قال : هذا نبيل من المشايخ ، اذهب فاستكثر منه . فقال ابن المبارك : هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه !

ثم لما اجتمع بأبي حنيفة بمكة المكرمة ، جراه في تلك المسائل ، فكشفها أبو حنيفة بأكثر مما كشفها ابن المبارك عنه . فلما افترقا ، قال الأوزاعي لابن المبارك : غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله ، وأستغفر الله تعالى ، لقد كنت في غلط ظاهر ، الزم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه .

● قيل إن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنفذ بمائة دينار إلى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، وقال لغلامه : إن قبل ذلك فأنت حر!

فحملها إليه ، فلم يقبل . فقال له الغلام العبد : اقبل ففيه عتقي ، فقال أبو ذر : إن كان فيه عتقك ففيه رقي!

● قال ابن القيم : إن سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام لما توعد الهدهد بأنه سيعذبه عذاباً شديداً أو يذبحه ، إنما نجا منه بالعلم ، بل أقدم عليه في خطابه بقوله : ﴿أحطت بما لم تحط به﴾^(١) . وهذا خطاب إنما جرأه عليه العلم ، وإلا فالهدهد مع ضعفه لا يتمكن من خطابه لسليمان على قوته بمثل هذا الخطاب لولا سلطان العلم .

(١) سورة النمل ، الآية ٢٢ .

● كان محمد بن عبدالرحمن الأوقص عنقه داخل في بدنه ، وكان منكباها خارجين كأنهما رأسا رمح ، فقالت له أمه : يا بني ، لا تكون في مجلس قوم إلا كنت المضحوك منه ، المسخور به ، فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك . فما زال يطلب العلم حتى ولي قضاء مكة عشرين سنة !

● وكان الإمام مالك إذا أراد أن يحدث ، توضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكّن في جلوسه بوقار وهيبة ، ثم حدّث . فقليل له في ذلك ، فقال : أحبُّ أن أعظّم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث به إلا متمكناً على طهارة .

وكان يكره أن يحدث على الطريق ، أو قائماً ، أو مستعجلاً ، ويقول : أحبُّ أن أتفهّم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ .

وكان لا يركب في المدينة على دابة ، مع ضعفه وكبر سنه ، ويقول : لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ مدفونة !

● كان المأمون قد وكل الفراء ليلقن ابنه النحو .

وفي ذات يوم أراد الفراء أن ينهض إلى حوائجه ، فابتدر الاثنان إلى نعل الفراء ليقدّماها له ، فتنازعا أيها يقدمها له ؟ ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة .

وتناهى الخبر إلى والديها المأمون ، فاستدعى الفراء ، فلما دخل عليه قال له المأمون : من أعزُّ الناس ؟ فقال : لا أعرف أحداً أعزّ من أمير المؤمنين ! فقال المأمون : بل من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله ولياً عهد المسلمين حتى يرضى كل واحد منهما أن يقدم له فرداً ! فقال الفراء : يا أمير المؤمنين ، لقد

أردت منعها عن ذلك ، ولكن خشيت أن أدفعها عن مكرمة سبقا إليها ، أو أكسر نفوسها عن شريفة حرصا عليها .

● كان السلطان صلاح الدين الأيوبي يواظب على سماع الحديث الشريف ، حتى إنه سمع مرة وهو في الحرب بين الصفيين ! فكان يفتخر بذلك ويقول : هذا موقف لم يسمع فيه أحد حديثاً !

● يحيى بن معين شيخ الحديث قاطبة وميزان الإسلام في «الجرح والتعديل» ، كان أبوه من عمال الدولة الكبار ، وخلف له مليوناً وخمسين ألف درهم ، فأنفقها يحيى كلها على الحديث . وقد بلغ من بلوغ يحيى هذا في علم الحديث المنزلة التي لا تُرام ، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل : كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث !

● صنف الوزير ابن هبيرة كتاب «الإفصاح عن معاني الصحاح» في عدة مجلدات . فلما بلغ إلى حديث «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» ، شرح الحديث ، وانجرت به الكلام إلى الفقه ، فذكر مسائله واختلافها واتفاقها ، فخرج به في مجلد أفرد وحده ، وسمي باسم الكتاب . وهذا الكتاب صنفه في ولايته الوزارة ، واعتنى به ، وجمع عليه أئمة المذاهب ، وأوفدهم من البلدان إليه لأجله ، بحيث إنه أنفق على ذلك أكثر من مائة ألف دينار ، وحدث به ، واجتمع الخلق العظيم لسماعه عليه ، وكتب به نسخة لخزانة المستنجد ، وبعث ملوك الأطراف ووزراؤها وعلمائها فاستنسخوا لهم به نسخاً ونقلوها إليهم ، حتى السلطان نور الدين الشهيد ، واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم ، يدرسون منه في المدارس والمساجد ، ويعيده المعيدون ، ويحفظ منه الفقهاء (عن مقدمة الإفصاح) .

● حكي الشعبي قال : أنفذني عبدالمملك بن مروان إلى ملك الروم ، فلما وصلتُ إليه ، جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبته . وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده . فحبسني أياماً كثيرة حتى طلبتُ الخروج . فلما أردت الانصراف قال لي : من بيت أهل المملكة أنت؟ فقلت : لا ، ولكنني رجل من المسلمين في الجملة ، فهمس بشيء ، فدُفعت إليَّ رقعة وقال لي : إذا أدت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة .

قال : فأدبت الرسائل إلى عبدالمملك ونسيت أن أعطيه تلك الرقعة . فلما صرت في بعض الدار أريد الخروج ، تذكرتها ، فرجعت فأوصلتها إليه . فلما قرأها قال لي : أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك؟ قلت : نعم ، قال لي : من أهل بيت المملكة أنت؟ قلت : لا ولكنني من المسلمين في الجملة . ثم خرجت من عند الخليفة .

فلما بلغت الباب رُددتُ ، فلما مثلت بين يديه قال لي : أتدري ما في هذه الرقعة؟ قلت : لا . قال : اقرأها . فقرأتها فإذا فيها : عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره!

فقلت له : والله لو علمتُ ما فيها ما حملتها! وإنما قال هذا؛ لأنه لم يرك .

قال : أفتدري لم كتبتها؟ قلت : لا . قال : حسدني عليك ، وأراد أن يغريني بقتلك . فتأدى الخبر إلى ملك الروم فقال : ما أردتُ إلا ما قال!

● وكلم الشعبيُّ عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين في قوم حبسهم ليطلقهم فأبى ، فقال له الشعبي : أيها الأمير، إن حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم ، وإن حبستهم بالحق فالعفو يسعهم . فأطلقهم .

● كان لليث بن سعد أربعة مجالس كل يوم: مجلس لحوائج السلطان، ومجلس لأصحاب الحديث، ومجلس لأصحاب المسائل، ومجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحد فيردّه، صغرت حاجته أم كبرت!

● حدّث المؤلف عن والده أن الخديوي عباس الأول كان يجيء الأزهر ويحضر درس الشيخ البيجوري، فيُجلب له كرسي قش صغير من قهوة بلدية أمام باب المزينين، يجلس عليه بجوار المستمعين.

● في تاريخ أبي الفداء أن المتنبي كان لا يُسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب، حتى قيل إن أبا علي الفارسي قال له يوماً: كم من الجموع على وزن «فعلَى»؟ فقال المتنبي في الحال: «حِجْلَى وَظِرْبَى». قال أبو علي: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لها ثالثاً فلم أجد!

● إبراهيم النخعي الذي انتهت إليه رئاسة العلم بالكوفة، حُمل عنه العلم وهو ابن ثماني عشرة سنة. وقد ورّث إبراهيم هذا العلم كله ومات وسنّه ست وأربعون! وحاز هذه الشهرة العلمية وهو يفرّ منها وهي تتبعه. كان لا يتكلم إلا إذا سُئل. وقال مغيرة المحدث: كنا نهاب إبراهيم كما يهاب الأمير. وقال الأعمش: كان إبراهيم يتوقّى الشهرة ولا يجلس إلى الأسطوانة!

● ومن أمثلة التخصص واحترام العلماء أن أبا حنيفة كان عند الأعمش المحدث، فسئل عن مسائل، فقال لأبي حنيفة: ما تقول فيها؟ فأجابه. فقال له الأعمش: من أين لك هذا؟ قال: من أحاديثك التي رويتها عنك. وسرد له عدة أحاديث بطرقها، فقال الأعمش: حسبك. ما حدثتك به في مائة يوم تحدثني به في ساعة واحدة؟ ما علمت أنك تعمل بهذه الأحاديث. يا معشر الفقهاء: أنتم الأطباء ونحن الصيادلة!

● الواقدي ، مع ما كان له من سعة العلم وكثرة الحفظ ، كان لا يحفظ القرآن!

وقد وقعت له قصة في هذا مع المأمون ، إذ طلب إليه أن يصلي الجمعة غداً بالناس ، فامتنع . فصمم المأمون ، فاعتذر بأنه لا يحفظ سورة الجمعة! فقال له المأمون : أنا أحفظك! واشتغل معه ، كلما حفظ نصفها الأول وانتقل للثاني نسي الأول ، فإذا عاد لحفظه نسي الثاني ، حتى تعب المأمون ونعس ، ووكَّله لعلي بن صالح : فكذلك كان حاله! حتى استيقظ المأمون ، وسأل عنه ، فأخبره عليّ ، فقال المأمون له : هذا رجل يحفظ التأويل ولا يحفظ التنزيل . وتركه!

● قيل ليونس بن عبيد : أتعرف أحداً يعمل بعمل الحسن البصري؟ فقال : والله لا أعرف أحداً يقول بقوله ، فكيف يعمل بعمله؟ ثم وصفه فقال : كان إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس فكأنه أمر بضرب عنقه ، وإذا ذُكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له .

● قال المبرّد في الكامل : كان الأصمعي لا يفسّر ولا ينشد ما كان فيه ذكر الأنواء ، لقوله ﷺ : «إذا ذُكرت النجوم فأمسكوا» . وكان لا يفسر ولا ينشد شعراً يكون فيه هجاء .

● الشيخ شمس الدين البساطي قاضي قضاة المالكية ، كان مع جلال قدره زاهداً في الدنيا ، يأكل من صيد السمك .

فكان يخرج في الغلس بشبكته فيصطاد ما يبيعه بقوت ذلك اليوم وهو في هيئة الصيادين .

ثم يجيء من خوخة في بيته فيدخل منزله ويلبس ملابس القضاة ، وهي الشاش والطيلسان والملوطة البيضاء .

ويخرج من الباب إلى الدهليز، ويجلس بين القضاة للحكم بين الناس!

● يقول الشعبي : العلم ثلاثة أشبار: فمن نال منه شبراً شمخ بأنفه وظن أنه ناله ، ومن نال الشبر الثاني صغرت إليه نفسه وعلم أنه لم ينله ، وأما الشبر الثالث فهيهات ! لا يناله أحد أبداً .

● وحكى الماوردي أنه ألف كتاباً في البيع أعجب به ، وتصور أنه اضطلع بعلمه ! فجاءه أعرابيان يسألانه ، فلم يجد لهما جواباً ، وأجابها تلميذ من حلقتة ، فكان هذا وعظاً له !

● يقول إبراهيم بن الحربي : أدركت ثلاثة لن يُرى مثلهم أبداً ، تعجز النساء أن يلدن مثلهم : رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام ، ما مثَّله إلا بجبل نفخ فيه روح !

ورأيت بشر بن الحارث الحافي ، فما شبهته إلا برجل عُجن من قرنه إلى قدمه عقلاً !

ورأيت أحمد بن حنبل ، فرأيت كأن الله جمع له علم الأولين من كل صنف ، يقول ما شاء ويمسك ما شاء !

● أنشد بعض أهل الأدب لعلي بن عبدالعزيز القاضي :

يقولون لي : فيك انقباض ، وإنما
أرى الناس مَنْ داناَهُمْ هانَ عندهم
ولم أقضِ حقَّ العلم إن كان ، كلما
وما كلُّ برقي لاح لي يستفزني
إذا قيل : هذا منهل ، قلت : قد أرى
أنهها عن بعض ما لا يشينها
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلّة؟
فإن قلت : زنّد العلم كابٍ ، فإنها
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أهانوه ، فهان ، ودنّسوا

رأوا رجلاً عن موقف الذلّ أحجما
ومن أكرمه عزة النفس ، أكرما
بدا طمع صيرتْهُه لي سلّما
ولا كلُّ من لا قيّت ، أرضاه مُنعماً
ولكنّ نفس الحرّ تحتمل الظمّا
مخافة أقوال العدا ، فيمّ أو لِمَا
لأخدم من لا قيّت ، لكنّ لأخدمَا
إذا فاتّباعُ الجهل قد كان أحزما
كبا حين لم نحرس حماه وأظلمَا
ولو عظّموه في النفوس لعظّمَا
محيّاه بالأطماع حتى تجهّما

نديم الأديب (*)

للجيلاني

● قال أبو القاسم التنوخي: جلس ابن لنكك^(١) في جامع البصرة، فجلس إليه قوم من العامة، فاعترضوا كلامه بما غاظه. فأخذ دواة من بعض الحاضرين، وكتب هذه الأبيات يهجوهم بها:

وعصبية لما توسطتهم	ضاق علي الأرض كالحاتم
كأنهم من بُعد أفهامهم	لم يخرجوا بعدد إلى العالم
يضحك إبليس سروراً بهم	لأنهم عسار على آدم
كأنني ما بينهم جالس	من سوء ما شاهدت في ماتم

(*) نديم الأديب/ تأليف أحمد سعيد البغدادي الحسيني الجيلاني - القاهرة: المطبعة الشرفية، ١٣١٤هـ، ١٧٠، ٦، ١٤ ص.

قال جامع في مقدمته: «هذه مجموعة صغيرة في البصر، كبيرة لدى التبصر، ظاهرها فنون آداب ومواعظ، وغامضها يراه من كانت عيون أفهامه يواظب... وقد وضعتها في عشرة مواضع، ورصعت جواهرها أحسن ترصيع... وقسمتها إلى عشرة أقسام، كل قسم عشر حكايات تمام، وكل حكاية من موضوع، تراه بهذه الأبيات موضوع:

(١) مواعظ (٢) آداب (٣) وتاريخ (٤) حكمة (٥) فكاهات إن تلى تروق لدى السمع
(٦) تراجم قوم حيث يبدو حديثهم نجد صنع هذا الدهر من أعجب الصنع
(٧) غرام ويتلوه (٨) تراجم نسوة (٩) عوائد (١٠) أشياء متنوعة الموضوع

والمؤلف قال عنه في معجم المؤلفين ١/ ٢٣٣: من موظفي الدائرة السننية بمصر. أديب، شاعر. من آثاره: حديث الطيف عن رحلة الشتاء والصيف، وديوان ثغر الحبيب لرشف الأديب.

(١) محمد بن محمد بن جعفر البصري الصاحب ابن لنكك، أكثر شعره ملح وطرف، جلها في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره. وكان في صدر أدباء البصرة. ت نحو ٣٦٠هـ كما في الأعلام ٧/ ٢٠، وهو صاحب البيت المعروف:

نعيب زماننا والعيب فينا ولو نطق الزمان إذا هجسانا

فقال له ولده : والله يا أبت لقد مدحتهم حيث جعلتهم من بني آدم ،
وعندي أن تقول فيهم هكذا :

لا تصلح الدنيا ولا تستوي إلا بكم يابقر العالم
من قال للحرث خلقتم فلم يكذب عليكم لا ولا يائمه
ما أنتم عازّ على آدم لأنكم غير بني آدم

فضحك منه أبوه وقال له : صدقت . وفُضَّ المجلس !

● لما عزم عبدالله بن طاهر^(١) على الحج ، خرجت إليه إحدى جواريه ،
وكانت تحبه وتهواه ، فلما رأت مهمات السفر وعلامات الرحيل ، بكت ، فرآها
وهي تبكي ، فأنشد :

دمعة كاللؤلؤ الرطب على الخدّ الأثيل

هطلت في ساعة البين من الطرف الكحيل

فحين سمعت ما قاله أصعدت زفراتها ، وأنشدت - وكانت تحسن
النظم - فقالت :

حين همّ القمرُ الزاهر عنا بالقفول

إنما يفتضح العشاق في يوم الرحيل

فرق لها وأخذها معه .

● حُكي أن أعرابياً دخل على هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : عطني
يا أخا العرب .

(١) أمير خراسان ، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي . وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه . ت
٢٣٠هـ .

فقال : كفى بالقرآن واعظاً : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّينَ . الَّذِينَ إِذَا اِكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذا جزء من يطفّف في الكيل والميزان ، فما ظنُّك بمن أخذه كلُّه ؟ ! فبكى هشام . وسأله عن حوائجه وقضاها له .

● حكم متفرقة :

- جرى الله الشدائد كلَّ خيرٍ عرفتُ بها عدوي من صديقي
- خفض الجأش واصبرن رويدا فالرزايا إذا توالت تولت
- دنياء كالماء المالح ، كلما ازددت منه شرباً ازددت عطشاً .
- غشُّ القلوب يلوخُ على الوجوه .
- فراؤك من الموت موصلك إليه .

● زعموا أن ملكاً من ملوك الهند كان له ولد يحبه حباً لو كان في غيره عُدِّ غراماً . فأراد أن يعلمه العلوم . فجمع وزراء دولته وقال لهم : لا تتركوا غريباً يدخل أرضنا إلا وتحضروه بين يدي ؛ لأنني أريد أن أعلم ولدي ، وأحب أن من يعلمه يكون حكيماً عارفاً بكثير من الأمور . فقالوا له : سمعاً وطاعة .

(١) سورة المطففين ، الآيات ١-٦ .

وصاروا كلما وجدوا غريباً يأتون به إلى الملك ، فيقول له : أيها العاقل (ما سبب الحلم)؟ فلا يجيبه ، فيأمر بإخراجه . وهكذا إلى يوم من الأيام ، أحضر له أحد الوزراء رجلاً فارسياً ذا هيبة ووقار ، فلما رآه الملك أعجبه ، وأجلسه إلى جانبه وقال له على عادته : ما سبب الحلم؟ فقال : التواضع . قال : ما سبب الغنى؟ قال : القناعة . قال : ما سبب العقل؟ قال : المداراة . قال : ما سبب الأدب؟ قال : المواظبة . قال : ما سبب الثناء؟ قال : السخاء . قال : ما سبب الجود؟ قال : الفضل . قال : ما سبب قضاء الحوائج؟ قال : الرفق . قال : ما سبب الرزق؟ قال : الطلب . قال : ما سبب مزیده؟ قال : الشكر عليه . قال : ما سبب المحبة؟ قال : الهدية . قال : ما سبب الأخوة؟ قال : البشاشة . قال : ما سبب الغفلة؟ قال : الهوى . قال : ما سبب الفجور؟ قال : الخلوة . قال : ما سبب الذل؟ قال : السؤال . قال : ما سبب الحرمان؟ قال : الكسل . قال : ما سبب الاجتماع؟ قال : المعاونة . قال : ما سبب الاستقلال؟ قال : الوفاق . قال : ما سبب سقوط الدول؟ قال : الحروب الداخلية . قال : ما علامته؟ قال : الثورات . قال : ما سبب النصر؟ قال : التعاضد . قال : ما سبب الطاعة؟ قال : العدل . قال : ما سبب العصيان؟ قال : الظلم .

فقام الملك عند ذلك واقفاً وقال له : أنت الذي تعلم ولدي .

ثم زوجه إحدى جواريه قبل اشتغاله بتعليم ولده وقال : (يجب أن يكون معلم الغلمان محصناً) . والله أعلم .

● قال ابن قنبر: لقيني جوارٍ لسليمان بن علي في الطريق ، فدرن حوي وقلن لي : قف أيها الشيخ حتى نسألك سؤالاً . فوقفن هن ، فقالت

إحداهن : أنت الذي تقول :

ويلى على من أطار النوم وامتنعا
ظبي أغر ترى في وجهه سُرجا
كأنها الشمس في أثوابه بزغت
فقد نسيت الكرى من طول ما عطلت
وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
تغشى العيون إذا ما نورها سطعا
حسناً أو البدر في أردائه طلعا
منه الجفون وصارت مهجتي قطعاً

فقلت لها : نعم أنا الذي نظمته . فضحك ضحكاً عالياً ثم قلن لي : أمع هذا الوجه القبيح تقول هذا الشعر الحسن ؟ ثم جعلن يلهون بي ويجذبني حتى أخرجني من ثيابي وتركني عارياً ! فرجعت إلى منزلي فاقداً ملابسي ، نادماً على الساعة التي رأيتهن بها . ولم أتغزل بعد هذه المرة قط !

● حُكي أن ولداً كان كثير العصيان لأبيه ، مخالفاً لأوامره ، ما سأله في شيء إلا وامتنع عن فعله ، وما رده عن أمر إلا وأبى تركه ، ومع كل هذا فهو محسن إليه راضٍ عنه ، وكلما زاد بالإحسان إليه زاد الولد في الإساءة له ، حتى كبر الرجل وصار هرمًا لا يستطيع الحركة . فحين شاهد الولد منه ذلك ، قام إليه وحمله على كاهله وقال : والله لأرمينك للسباع تنهشك ، ولا أدعك في بيتي ساعة واحدة . والرجل ساكت لا يتكلم . ثم إن الولد خرج به ، وما زال سائراً حتى أخرجته من المدينة . ثم تعب من حمله ، فوجد رابية ، فصعد إليها وأنزل أباه ، وقعد حتى استراح ، ثم جاء ليحمله فقال : يا ولدي وقرّة عيني ، دعني في مكاني وامض لحال سبيك فإني في هذا المحال وضعت جدك وتركته وذهبت . فتعجب الولد وقال : أعد عليّ حديدك مفصلاً فإني تحيرت من كلمتك هذه ، فقال : اعلم يا ولدي أن جميع ما فعلته أنت معي قد فعلته أنا مع والدي ، ولو كنت أعلم أنك تصنع بي ما صنعته به ما كنتُ فعلتُ معه

إلا ما يوجب رضاه عليّ . فلما سمع الولد ذلك من أبيه سقط على رجليه
يقبلها وقال : ساعمني يا أبت فإني أخشى أن يعاملني ولدي كما عاملتك !
فبكى الرجل وقال : يا ولدي إن للوالدين على الولد حقوقاً لو تجسّمت
لكانت أعظم من الجبال الشاخنة ، وإني أعظك بحالتي هذه فإنها أنصح
لك . واعمل بوصية محمد الدكدكي لولده حين حضرته الوفاة . قال : وما هي
وصيته أيها الوالد الشفوق ؟ قال :

زر والسديك وقف على قبريهما	فكأنني بك قد نُقلت إليهما
لو كنت حيث هما وكانا بالبقا	زاراك حبواً لا على قدميهما
ما كان ذنبهما إليك فطالما	منحاك نفس الودّ من نفسيهما
كانا إذا سمعنا أنينك أسبلا	دمعتهما أسفناً على خديهما
وتمنيا لو صادفنا بك راحة	بجميع ما تحويه ملك يديهما
فنسيت حقهما عشيّة أسكنا	دار البقا وسكنت في داريهما
فلتلحقهما غداً أو بعدده	حتماً كما لحقاهما أبويهما
ولتندمنّ على فعالك مثلما	ندما هما ندماً على فعليهما
بُشراك لو قدمت فعلاً صالحاً	وقضيت بعض الحق من حقيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما	تسطيعه وبعثت ذاك إليهما
فاحفظ - حُفِظت - وصيتي واعمل بها	فعسى تنال الفوز من برّيهما

فبكى الولد ، وحمل أباه على كتفه ، وأعادته إلى بيته . . .

● (عامر الأنبوطي) هو الشيخ الشاعر اللبيب الناظم الناثر عامر
الأنبوطي الشافعي ، كان شاعراً فصيحاً ، وكلما وجد قصيدة لشاعر عارضها

وغيرها إلى الهزل وذكر الأكل والشرب ، وكانت شعراء عصره تهابه وتحذره
ويعطونه الجوائز خوفاً من معارضة قصائدهم . وقد عارض ألفية ابن مالك
بألفية سهاها (ألفية الطعام) أولها :

يقول عامرٌ هو الأنبوطي أحمد ربي لست بالقبوطي
وأستعين الله في ألفيِّه مقاصد الأكل بها محويِّه
فيها صنوف الأكل والمطاعم لذت لكلِّ جائعٍ وهاتم

وفيها يقول :

طعامنا الضاني لذيذ للنهم لحمًا وسمناً ثم خبزاً فالتقم
فإنها نفيسة والأكل عم مطاعماً إلى سناها القلب أم

وفيها :

والأصل في الأخباز أن تقمَّرا وجَوَّزا التقديد إذ لا ضررا
فامنعه حين تستوي الخرفان فإنَّه يعيق أكل الضاني

وعارض لامية العجم للطغرائي فقال :

أناجرُ الضأن تريقُ من العلل وأصحُّ الرزِّ فيها منتهي أمني
أكلي غداءً وأكلي في العشاء على حدِّ سوا إذا للحم السمين قلي
فيم الإقامة بالأرياف لا شعبي فيها ولا نزهتي فيها ولا جذلي
ناءً عن الأهل خالي الجوف منقبض كمعدم مات من جوع ومن قشل
فلا خليلٌ بدفع الجوع يرحمني ولا كريمٌ بلحم الضأن يسمح لي

طال التلهف للمطعموم واشتعلت حُشاشتي بحمام البيت حين قلي
أريد أكلأ نفيساً أستعين به على العبادات والمطلوب من عملي
والدهر يفجع قلبي من مطاعمه بالعدس والكشك والبيسار والبصل

وعارض لامية ابن الوردي ، وفيها يقول :

اجتنب مطعموم عدس وبصل في عشاء فهو للعقل خبل
وعن البيسار لا تحفل به تُمَسِّس في ضعف وسقم وعلل
واحتفل بالضأن إن كنت فتى زاكي العقل ودع عنك الكسل
من كباب وضلوع قد زكت أكلها ينفي عن القلب العلل

وله مثل هذا كثير. وأكثر الناس خوفاً منه الشيخ الشبراوي صاحب
الديوان ، فإنه كان يفدي قصائده منه بشيء معلوم من الدراهم !! وكانت
وفاته سنة ١١٥٠ هـ.

● حُكي أن الوزير تاج الدين بن الصاحب كتب إلى السراج الوراق أبياتاً
يرثي بها حماراً له سقط في بئر فمات ، وهي :

يفديك جحشك إذ مضى متردياً وبتالد يفدي الأديب وطارف
عدم الشعير فلم يجده ولا رأى تبنأ وراح من الظما كالتالف
ورأى البويرة عثير خاف ماؤها فرمى حشاشة نفسه لمخاوف
فهو... لكم بوافر فضلكم هذي المكارم لا حمامة خاطف
قومٌ يموت حمارهم عطشاً لقد أزروا بحاتم في الزمان السالف

فكتب له السراج على وزنها أبياتاً مطلعها :

أدنت ثمارُ قطوفها للقاطف وثنت بأنفاس النسيم معاطفي
ومنها :

ولكّم بكيثُ عليه عند مرابع ومراتع رشّت بدمعي الذارف
يمشي على عسري ويسري صابراً بمعارف تلهيه دون معالف
وقد استمر على القناعة يقتدى بي وهي في ذا الوقت جل وظائفي
ودعاه للبئر الصدى فأجابه واعتاقه صرف الحمام الآزف
وهو المدل بألفة طالت وما أنسى حقوق مراتعي وما أفي
وموافقي في كل ما حاولته في الدهر غير موافقي ومخالفني
دوران ساقية لطاحون ونق ل الماء في شاتٍ ليوم صائف
لكن بهاء البئر راح بنقلته قتلته محزوناً بموت جارف

ولما وصلت إليه ضحك وأرسل له خمسمائة درهم وقال له : استعن بهذه
على فراق الفقيد!

● حُكي أن رجلاً صائغاً كان من العُباد الزهّاد، وكانت له امرأة في غاية
من الصلاح . وكان عندهما سقاءٌ يحضر لهما الماء كل يوم، وهو أكثر صلاحاً
منهما . ودام يأتيهما بالماء ثلاثين سنة بغاية الأدب، ولم يحصل منه أدنى شيء
يكرهانه . وفي بعض الأيام، بعد أن فرغ القربة في الإناء، جاء إلى المرأة،
ومسك يدها وهزها، ثم نزل لحاله . فلم تكلمه حتى رجع زوجها، فقالت :
والله لا أدعك حتى تقول لي ماذا فعلت في نهارك هذا من المحرمات ! فقال
لها : لم أفعل شيئاً غير أن امرأة جاءتني وأخذت سواراً فألبستها إياه، ورأيت
يدها كالفضة، فمسكتها وهزتها، ثم ذهبت لحالها، وليس غير ذلك .
فقالت : (دقة بدقة، ولو زدت لزد السقاء) فقال : وما معنى هذا الكلام،

قالت : إن الرجل الذي يأتينا بالماء منذ ثلاثين سنة ولم تر منه مكروهاً ، في هذا اليوم بعد أن فرغ الماء جاء إليّ ومسك يدي وهزها كما فعلت أنت في الغادة ! واعلم أنه (كما يدين الفتى يُدان) . فخجل الرجل وقال : والله لا أفعل بعدها شيئاً يغضب الله .

● السجستانية أمة من الأمم الساكنة في جبال القوقاز . وأغرب وأعجب عادة عندهم أن ابن الأمير يجب أن ترضعه جميع نساء القبيلة . يقصدون بذلك تمكين محبته في أفئدتهم ، حتى إذا وُلِّي عليهن كانت طاعته راسخة في قلوبهم ، مركوزة في طباعهم . .

● تزوج بخيل اسمه سليمان ، فقال وهب بن شاذان في وصف دعوته :

مات في عرس سليبا	ن من الجوع جماعه
مات أقوام وقوم	علموا فيه القناعه
لم يكن ذلك عرساً	إنما كان مجاعه

● قال بخيل لغلامه : هاتِ الطعام وأغلق الباب .

فقال الغلام : يا مولاي هذا خطأ ، إنما قل : أغلق الباب أولاً ، ثم أحضر الطعام .

فقال البخيل : اذهب فأنت حر ، لعلمك بأسباب الخزم !

نوادير وغرائب متفرقة من الكتب والدوريات

خطبة الإمام علي الخالية من النقط^(١) !

ارتجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطبة خالية من النقط ، وهي
هذه :

الحمد لله الملك المحمود ، المالك الودود ، مصوّر كل مولود ، ومآل كل
مطرود . ساطح المهاد ، وموطّد الأطواد ، ومرسل الأمطار ، ومسّهّل الأوطار .
عالم الأسرار ومدركها ، ومدّمّر الأملاك ومهلكها ، ومكوّر الدهور ومكررها ،
ومورد الأمور ومصدرها . عمّ سماحه وكمل ركامه وهمل^(٢) ، وطاوع السؤال
والأمل . .

أحمده حمداً ممدوداً ، وأوحّده كما وحّد الأوّاه ، وهو الواحد لا إله للأمم
سواه ، ولا صادع لما عدّله وسوّاه . أرسل محمداً علماً للإسلام ، وإماماً
للحكّام ، مسدّداً للرّعاع ، ومعطلّ أحكام ودّ وسواع . أعلم وعلم ، وحكم
وأحكم ، وأصل الأصول ومهّد ، وأكد الموعود وأوعد . أوصل الله له الإكرام ،

(١) عن كتاب «الإمام علي : رسالة وعدالة» بقلم خليل ياسين . - ط ٢ - بيروت : دار ومكتبة
الهلل ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٣٧٨-٣٧٩ .

والله أعلم بنسبة هذه الخطبة إلى الإمام علي رضي الله عنه ، إننا نقلتها لغرابيتها . . وتركت إيراد بعض
الجميل لغموضها . . !

(٢) الركّام : ما اجتمع من الأشياء وتراكم بعض على بعض . . ومنه : ركّام من سحاب . وهمل :
سال .

وأودع روحه السلام، ورحم آله وأهله الكرام، ما لَعَّ رائل^(١)، وملع دال^(٢)،
وطلع هلال، وسمع إهلال.

اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال، واسلكوا مسالك الحلال، واطرحوا
الحرام ودعوه، واسمعوا أمر الله وعوه، وصلوا الأرحام وراعوها، وعاصوا
الأهواء واردعوها، وصاهروا أهل الصلاح والورع، وصارموا رهط اللهو
والطمع . . .

أسأل الله . . . دوام إسعاده، وألهم كلاً إصلاح حاله، والإعداد لمآله
ومعاده، وله الحمد السرمد، والمدح لرسوله أحمد!

أصلعتني فرقتك!

عن ابن شهاب قال: دخل رجلٌ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال: السلام عليك يا أبا غفر، حَفَصَ اللهُ لك .

فقال عمر رضي الله عنه: تعني: يا أبا حَفَصِ، غَفَرَ اللهُ لك .

فقال الرجل: أَصْلَعْتَنِي فَرَقْتُكَ! يريد أن يقول: أفرقتني صلعتك^(٣)!

الغيبة الحلال!

والذمُّ ليس بغيبةٍ في ستيةٍ: متظلمٌ ومعرَّفٌ ومحدَّرٌ
ولمُظهِرٍ فسقاً ومُسْتَفْتٍ وَمَنْ طلب الإعانة في إزالة منكر^(٤)

(١) أي ما بلغ أحد لعبه .

(٢) ملع الفصيل أمه: رضعها .

(٣) تاريخ المدينة المنورة لابن شبة ٢/٦٨٣-٦٨٤ .

(٤) راجع تحفظات الإمام الشوكاني من بعض هذه الأسباب في رسالته «رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز
من الغيبة» التي وفقني الله لتحقيقها .

ثلاثيات

- ثلاثة يجب ضبطها : اللسان ، النفس ، الأعصاب .
- ثلاثة تجب حمايتها : الدين ، الشرف ، الوطن .
- ثلاثة يجب التخلص منها : التملق ، الوشاية ، التبذير .
- ثلاثة يجب اجتنابها : الحسد ، الغرور ، كثرة المزاح .
- ثلاثة لا بد منها : الموت ، الهواء ، الماء .
- ثلاثة محبوبة : التقوى ، الشجاعة ، الصراحة .
- ثلاثة ممقوتة : الكذب ، النفاق ، الكبر .
- ثلاثة من الفواحش : الربا ، الزنا ، شرب الخمر .
- ثلاثة مشرفة : الجهاد ، الأمانة ، الصدق .
- ثلاثة ممتازة : الحب في الله ، العفو عند المقدرة ، الصمت^(١) .

لقاء مشير مع حفار قبور^(٢)

● متى عملت في هذه المهنة؟

- حين كنت في العاشرة من عمري . كنت أساعد والدي - رحمه الله - ثم استلمت العمل ، وتفرغت له بعد وفاته .

(١) أخبار العالم الإسلامي ع ٨٠٠ ، ٢٢ / ١ / ١٤٠٣ هـ .

(٢) باختصار من كتاب : الموتى يتحدثون/ هاني الخير . - دمشق : دار دمشق ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٣-٣٩ .

واللقاء مع حفار القبور أبي بشار الذي كان يعمل في مقبرة «الباب الصغير» بدمشق ، الواقعة في منطقة «باب الجابية» ، والذي عمل في هذه المهنة ستين سنة ١١

● هل تبكي وأنت تدفن الميت؟

- لا. غير أن العرق يسيل على وجهي نتيجة الجهد الذي أبذله . وفي مرات قليلة أبكي ، عندما أسمع بكاء الأم على ابنها المتوفى .

● هل تشعر براحة نفسية عندما تنجز عملك بشكل حسن؟

- أبذل جهدي ، وأقوم بعلمي على أكمل وجه ، وبإخلاص . ويبخل عليّ أهل الميت بكلمة شكراً . . أو جزاك الله خيراً . . أو سلمت أناملك!

● هل سبق أن دفنت شخصاً ثم اكتشفت أنه ما زال حياً في القبر؟

- مستحيل أن يحدث ذلك ؛ لأن الميت يوضع في فمه وأذنيه وأنفه القطن . . ولو كان حياً فإنه سيتعرض حتماً إلى الاختناق .

● أتشعر بخوف وأنت في المقبرة؟

- لا. الموتى لا يتكلمون ، ولا يؤذون أحداً . إنني أشعر بخوف من الأحياء ، لا سيما عندما أكون خارج المقبرة!

● أحياناً يفقد أحد الأشخاص حبيبته أو زوجته . . فهل الحبيب أو الحبيبة . . أو الزوج يظل مخلصاً لذكرى الراحل ، فيزور ضريحه؟

- عندما يموت أحد الشباب ، أشاهد حبيبته! أو صديقته! تزوره في اليوم الأول ، والثاني . . والخامس . . والعاشر . . ثم تختفي فجأة بصورة غامضة!

كما أن الزوجة قد تزور قبر زوجها المسكين لعدة أسابيع ، ثم تنقطع عن الزيارة .

وخلال ما يزيد عن نصف قرن ، لم أشاهد إلا رجلاً واحداً ، كان يزور قبر

أمه في صباح كل يوم . . واستمرَّ على هذه العادة أكثر من عشرين عاماً . .
ثم لم أعد أشاهده . وأعتقد أنه قد مات .

● أكثر الأشهر التي يموت فيها الناس؟

- الموتى يكثرون بدءاً من منتصف شهر رمضان المبارك . . وحتى وقفة عيد
الفطر السعيد .

● ما هو السبب؟

- لا أعرف ، غير أن هذه الظاهرة تتكرر في كل عام!

● سمعت أن بعض طلاب كلية الطب يشترون جمجمة أو جثة من حفَّاري
القبور . . ما رأيك؟

- البعض يفعل ذلك . . غير أنني أقسم لك بالله بأنني أحافظ على عظام
الموتى ؛ لأني مسؤول أمام الله عن هذه الأمانة .

● هل من أشخاص في هذه المقبرة كنت تعرفهم قبل أن تدفنهم؟

- نعم ، الطبيب «فتححي النحلاوي» يرحمه الله . . كان يكتب الوصفة
للمرضى الفقراء ، ويضع مع الوصفة ثمن الدواء . . ولعل الأطباء يقتدون
به ويعتبرون . .

● إذن يا صديقي الحفَّار . . هل تعدني بمعاملة خاصة عندما أموت . .
والأعمار بيد الله؟!

- آسف ؛ لأن المقبرة لن يدفن بها أي إنسان اعتباراً من شهر أيلول
القادم ؛ لأنها ستدخل في التنظيم الجديد لمدينة دمشق . . !

توأمان بجسم واحد ورأسين



وكانت الحالة المماثلة القريبة في المكسيك عام ١٩٨٣ م، ولكنّ الطفلين ماتا بعد ساعات من ولادتهما، أما الطفلان الفنزويليان فينموان بصورة طبيعية، وليس هناك خطر كبير يتهددهما حتى الآن^(١).

عجل برأسين في الإسماعيلية!



● في أغرب حالة من نوعها ولد هذا العجل في الإسماعيلية برأسين وثلاث أرجل وسلسلتي ظهر وجهازين تناسليين أحدهما لذكر والآخر لأنثى! السؤال الذي تثيره هذه الحالة هو: هل سيعيش هذا العجل على هذه الصورة طويلاً^(٢)؟

(١) جريدة اليوم (السعودية) ١٩ رمضان ١٤٠٦ هـ ع ٤٧٢٩ .

(٢) الأهرام ٨/١٢/١٤٠٦ هـ .

خروف ذو ست أرجل في أستراليا!



مدير المراعي بمنطقة جنوب أستراليا يعرض خروفاً صغيراً ولد وله ست أرجل في حدث فريد يحدث بالمراعي الأسترالية، وإن سبق وشهدت المزرعة نفسها «سيني سيت ستاشن» مولوداً آخر ذا رأسين في أبريل الماضي (١).

خروف برأسين!



في متحف الأعاجيب بأرونديل في إنجلترا، هذا الخروف المحنط الذي ولد برأسين ملتصقين وفمين وأربع عيون (٢).

(١) البلاد (السعودية) ع ٨٦٠٨ - ١٠/١١/١٤٠٧ هـ.

(٢) الشرق الأوسط ع ٢٢٢١ - ٥/٤/١٤٠٥ هـ.

أيضا.. خروف برأسين!



ولد في إحدى المزارع الأمريكية حمل برأسين هو الأول من نوعه في ولاية ريفرسايد .

وقد جرت الولادة على يد طبيب بيطري اضطر لإجراء جراحة قيصرية بسبب تعثر عملية الولادة الطبيعية .

ونقل الحمل ذو الرأسين إلى أحد المختبرات الطبية في الولاية لمواصلة الدراسات والأبحاث ، خاصة وأنه ظل حياً . . . وهي ظاهرة غير عادية في مثل هذه الحالات .

وأعلنت طبيبة بيطرية أن فرص الحمل بالحياة جيدة .

والجدير بالذكر أن مثل هذا الحمل يموت بعد ساعات من ولادته نظراً لتضارب الأوامر المعطاة للرأسين .

ويلاحظ أن كل وجه يتمتع بكامل التقاطيع ، وأنها ملتصقان بخلفية الجمجمة ، ومن ثم عند الرقبة . . . وبعد ذلك جسم واحد طبيعي .

وفي الصورة الحمل ذو الرأسين في السيارة التي نقلته إلى المختبر^(١) .

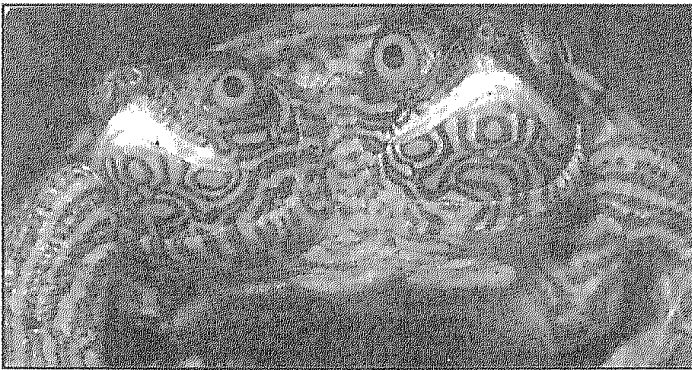
(١) الشرق الأوسط ع ١٨٨١ - ١٩/٤/١٤٠٤هـ .

.. وقطة برأسين!



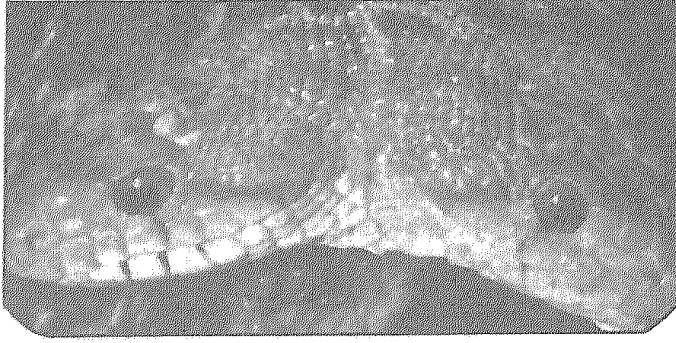
هذه القطة النادرة واحدة من المجموعة التي يضمها متحف غرائب الحيوان في منطقة أرونديل الإنجليزية . وتتشابه القطة مع الحروف السابق في المتحف نفسه في كونها برأسين متصلين عند الرقبة ، إضافة إلى أن لها أربع عيون وفمين وأنفين^(١)!

ثعبان وسلحفاة برأسين!



في الصورتين المرافقتين حالتان نادرتان من زواحف ذوات رأسين متماثلين تماماً ، وهما صورتان حقيقيتان .

(١) الشرق الأوسط ع ٢٢٢٤ - ٨ / ٤ / ١٤٠٥ هـ .



في إحداهما سلحفاة ذات رأسين أخذت صورتها في المسيسي ، في حين تمثل الصورة الأخرى ثعباناً له رأسان هو الآخر، وقد صور في إحدى دور عرض الزواحف في سان فرانسيسكو.

والغريب في الأمر أن كل رأس قائم بذاته ، ويتكون من مخ منفصل عن الآخر كما أن كل رأس من الرأسين يأكل منفصلاً ، ويمكنه أن يعض ويلدغ بانفراد .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل وجود رأسين للثعبان مثلاً سيجعله أكثر ذكاءً وفطنة وقدرة على الفتك بأعدائه؟ أم أن وجود رأسين منفصلين سيجعل كلاً منهما يحاول توجيه الثعبان إلى وجهة معينة فيكون هذا الثعبان في حيرة من أمره لا يمكنه تحديد وجهته المعينة في غياب مركزية التفكير؟!

والسلحفاة ذلك المخلوق البطيء ، متى سيصل إلى هدفه إذا ما قرر كل رأس أن يقوده إلى هدف .

إنها آيات الله في خلقه . والله في خلقه شؤون^(١).

(١) الجزيرة ع ٤٣٩٠ - ١٠/١/١٤٠٥هـ .

سمك رامبي في السهم

يعيش هذا النوع من السمك في منابع أنهار شرق آسيا، وتصطاد ضحيتها بأعجب الطرق! فهي تسبح على السطح، وعندما ترى حشرة واقفة على نبات معلق في الماء، تبصق عليها قطرات من الماء بقوة شديدة فتسقطها، ثم تنهال عليها فتأكلها^(١)!

حيوان غريب!



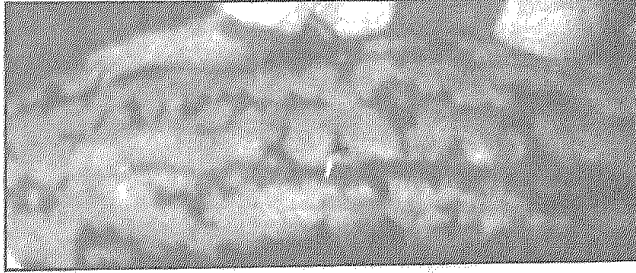
احترار العلماء في تصنيف هذا الحيوان الذي يختلف عن سائر الحيوانات بقدرته الله في إحدى حدائق الحيوان، حيث إن جسمه جسم دب، وأرجله أرجل بقرة، وذيله ذيل عنز، ووجهه وجه الموظ (حيوان ضخيم من حيوانات أمريكا الشمالية) وقرونه قرون النو (تيتل إفريقي ذو رأس كراس الثور وقرنين معقوفين وذيل طويل).

ويعيش هذا الحيوان المعروف باسم «تاهكين» Takin في غابات في جبال الصين وفي جنوبي آسيا. ورغم كبر حجم «التاهكين» فإنه يمتاز بسرعة العدو الفائقة بشكل مثير للدهشة^(٢).

(١) الأخبار (مصر) ع ١٠٦٦٧ - ١٩/١١/١٤٠٦ هـ.

(٢) الجزيرة ع ٦١٦١ - ١٠/١/١٤١٠ هـ.

أكبر بطيخة في العالم!



● من أغرب المسابقات التي تقام سنوياً في أمريكا: مسابقات بين المزارعين لتقديم أغرب وأضخم محصول من الفواكه والخضروات. وقد حققت

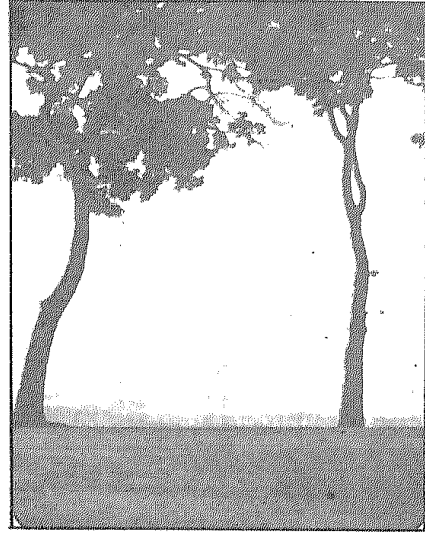
هذه البطيخة الرقم القياسي في الضخامة، حيث تزن ٩١ كيلو جراماً، أي أنها تمثل وزناً أثقل من وزن رجل ممتلئ^(١)!

شجرة تتنبأ بالأحوال الجوية

توجد في جنوب الصين شجرة غريبة يمكنها أن تتنبأ بالأحوال الجوية عن طريق تغيير لون أوراقها!!

وتنمو هذه الشجرة في المناطق الجبلية، ويبلغ طولها ١٨ متراً.

وفي الأيام العادية تكون أوراقها خضراء اللون، ولكن قبيل حدوث الفيضانات أو هطول الأمطار تصبح



(١) الأخبار ع ١١٢٧٩ - ٢٤/١١/١٤٠٨ هـ.

أوراقها حمراء اللون، لذلك يستخدم الأهالي المحليون هذه الشجرة في التنبؤ بالأحوال الجوية عن طريق ملاحظة تغير لون أوراقها. وأطلق الأهالي المحليون على هذه الشجرة اسم (الشجرة التي تتنبأ بالأحوال الجوية)^(١).

شجرة التبلدي!



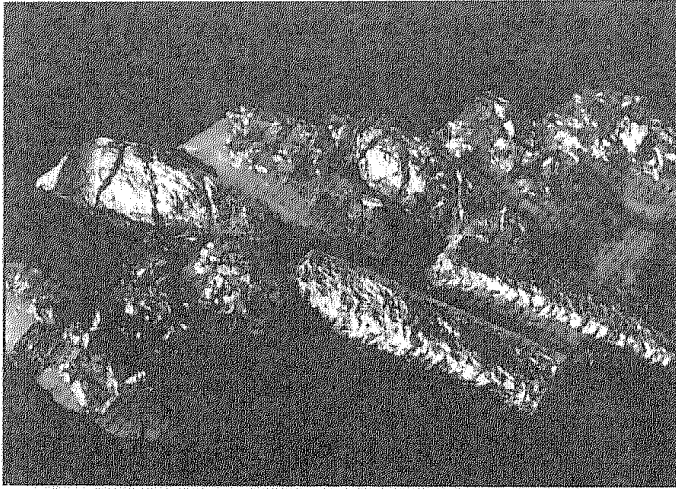
شجرة التبلدي من أهم الأشجار التي يعتمد الناس عليها كثيراً في حياتهم اليومية بإقليمي كردفان ودارفور بغرب السودان، حيث تنتشر بكثافة كبيرة في هذين الإقليمين، ويحرص كل فرد على زراعتها ورعايتها حتى تكبر وتتملق، حيث يقوم صاحبها بتجويفها في الوسط، ويصنع لها غطاء محكماً لا يفتح إلا

في موسم الخريف، حيث تصب الأمطار ويمتلئ تجويف الشجرة بالماء، ثم يحكم غطاؤه حتى يكون صالحاً لشرب الأسرة والماشية لموسم كامل، وذلك

(١) المدينة ع ٧٠٤٦ - ٢٤ / ١١ / ١٤٠٦ هـ.

للتغلب على شح المياه بهذه المناطق ، وتعذر حفر الآبار الجوفية في أغلبها ، وبعد أن كانوا في الماضي ينتشلون الماء من داخل تجويف الشجرة بالدلو أصبحوا الآن يقومون بتركيب بعض الأجزاء الحديدية تحت ساق الشجرة للحصول على الماء بسهولة . وبالرغم من هذا التجويف تظل شجرة التبليدي خضراء وارفة ، وخرزاة جيدة لتصفية المياه من الشوائب طوال الموسم دون أن تتغير لأي عامل طبيعي مؤثر، إضافة إلى ظلها الممتد الوارف الذي تقدمه لصاحبها وما شئته خلال فصل الصيف الحار. ولأكثر من ٣٠٠ سنة عرفت شجرة التبليدي في السودان بهذه المميزات ، ودخلت في الكثير من الأشعار وأهازيج المنطقة الشعبية ومسامراتها^(١)!

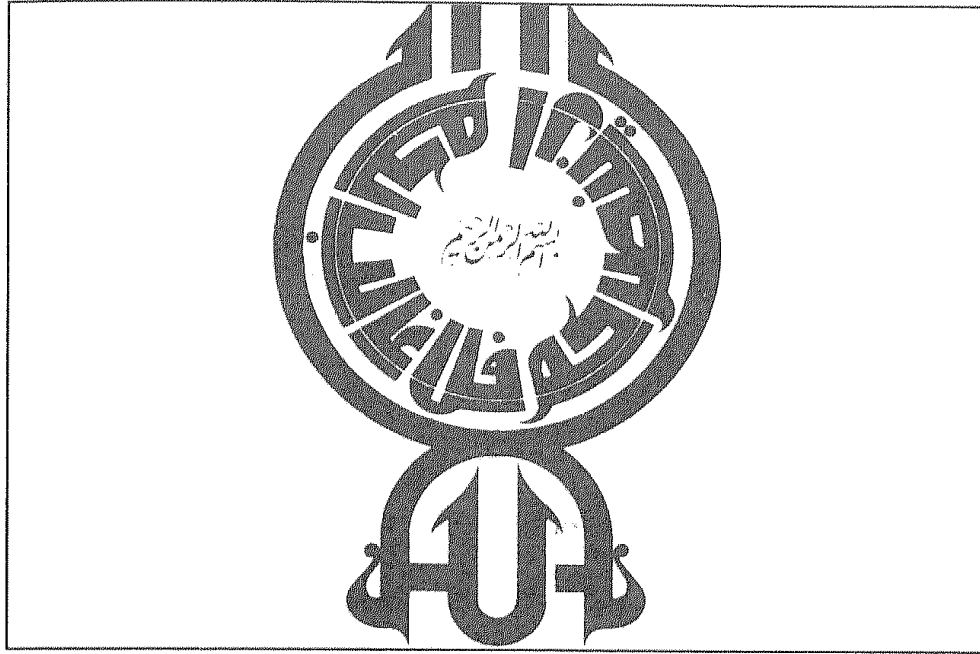
الذهب في الطعام!



آخر صرعة ظهرت في اليابان كانت مثيرة جداً وهي تقوم على وضع الذهب في الطعام! وهذه البدعة التي تضم السمك المذهب وغيره، ابتكرها سيشي أومورا قبل أربع سنوات، واستطاع الآن أن يحول الحلم إلى حقيقة. الفكرة لم تكن بالطبع صعبة ولكن تنفيذها أمر مختلف^(٢)!

(١) عكاظ (السعودية) ع ٧٦٧٤ - ١٢/١١/١٤٠٧ هـ.

(٢) الأسبوع العربي ع ١٥٠٩ - ١٢/٩/١٩٨٨ م.



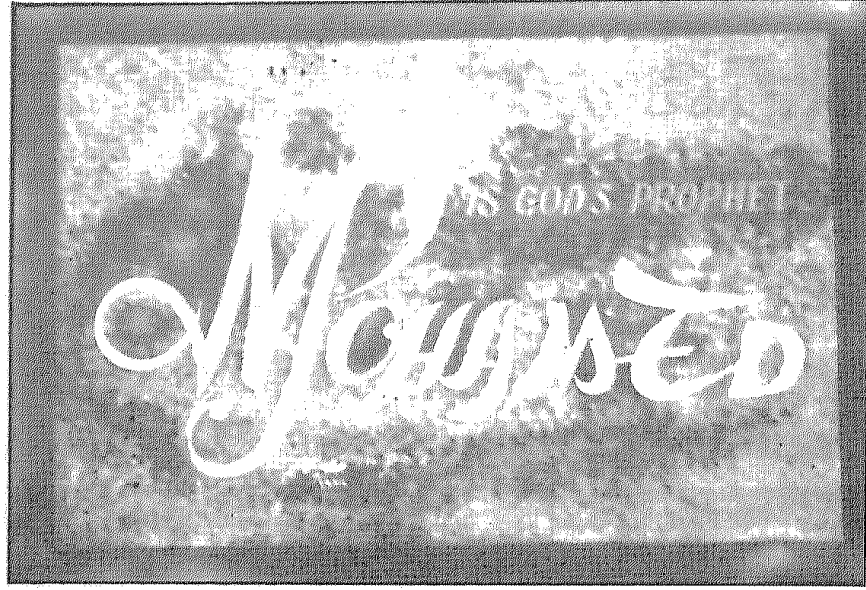
(١)



■ لوحة تقرأ بالعربية «الله أكبر» وتقرأ بالإنجليزية «ALLAH» ■ (٢)

(١) ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ بريشة حسن عطية - اليوم ع ٥٠٩٨ - ٤/١٠/١٤٠٧ هـ.

(٢) بريشة خضير البورسعيدي من مصر. أخبار العالم الإسلامي - ١٣/٥/١٤١٠ هـ.



■ لوحة تقرأ بالعربية «محمد رسول الله» وتقرأ بالإنجليزية «MOHAMED» ■ (١)

الطفل المعجزة!

ظاهرة لافتة للنظر تجسدت في طفل لا يتجاوز الأربع سنوات من عمره ، يقف خطيباً في جموع المصلين ، ويحث المؤمنين على أداء فريضة الحج ، شارحاً بعض ما يؤديه الحاج من مناسك خلال هذه الفريضة ، يدعمها بآيات من القرآن الكريم ، وأحاديث نبوية شريفة .

الطفل اسمه محمد حطب ، يؤدي الصلوات في أوقاتها ، ويستوعب الدرس الديني بسرعة تفوق التصور لطفل في مثل سنه (٤ سنوات ونصف) ويحفظ مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية .

(١) بريشة خضير البورسعيدي من مصر. أخبار العالم الإسلامي - ١٣/٥/١٤١٠ هـ.



الطفل محمد حطب

حوار مع الألب

● كيف تعلم إلقاء الخطب إذن؟ . .

■ فيجيب: كان محمد يذهب معي إلى المسجد

بدافع ذاتي، وكان يردد في البيت ما كان يسمعه في

المسجد من كلام الخطيب ومن أدعية، وكان يطلب

مني أن أكتب له خطبة ليحفظها، وبالفعل كنت أقوم بما يطلب، فأجده

متجاوباً كل التجاوب في الاستيعاب والحفظ السريع.

وعند كل جلسة أجده وقد استوعب كل ما سمعه من دروس دينية،

فلفت نظر المسؤولين، وراح يتعلم الخطب شفهيّاً؛ لأنه لم يتعلم بعد القراءة

والكتابة، لكنه تعلم الإلقاء بسرعة والحفظ بسهولة.

● هل لمحمد إخوة؟

■ لمحمد أخت واحدة أصغر منه .

● عندما يذهب إلى المسجد لإلقاء خطبة الجمعة . هل كان يحس بخجل

أو خوف من مواجهة الناس وفي مثل هذا المكان؟

■ أبداً . . . عنده ثقة بنفسه، فهو لا يخاف ولا يخجل أبداً من مواجهة

الناس .

● هل كان يستوعب ما تملونه عليه للحفظ بسرعة؟

■ إنه يحفظ بسرعة غريبة، وبإمكانه أن يحفظ خطبة تتجاوز مدتها نصف

الساعة، كما أنه يحفظ العديد من الأحاديث عن الرسول ﷺ، وبعض آيات

من القرآن الكريم .

● ونسأل المسلم الصغير محمد حطب . . . ماذا تنوي أن تكون في المستقبل يا محمد؟

■ أتمنى أن أصبح داعية للرسالة الإسلامية^(١).

موهبة عجيبة!

استطاع طفل في العاشرة من عمره يقيم في منطقة عسير، تحديد المواقع الصحيحة لتجميع المياه تحت سطح الأرض، وتم عن طريقه حفر حوالي ١٥٠ بئراً خلال العامين الماضيين في المواقع التي حددها، وعلى العمق الذي توقعه!!

وتعرف هذه الظاهرة في المنطقة الجنوبية (بالمسمع)، وهو الشخص الذي أعطاه الله قدرة سمع خاصة لمعرفة مكان الماء في جوف الأرض وتحت طبقات الصخور والرمل دون استخدام أية أجهزة علمية حديثة أو دراسات أو أبحاث جيولوجية!

وأوضحت مجلة «الجنوب» الشهرية التي تصدر في مدينة أبها والتي أوردت تحقيقاً مع هذا الطفل واسمه حمدان عسيري، أن والده قد اكتشف هذه الموهبة فيه عن طريق الصدفة.

فلقد أعلم الابن أباه أن يحفر في موقع مجاور لمنزلهم الذي لم يكن به مصدر ماء خاص بهم.

وعندما تمت عملية الحفر على عمق ستة أمتار نبعت المياه في الموقع

(١) عكاظ ٧٣٤٩ - ٦/١٢/١٤٠٦ هـ.

المحدد . ثم توالى بعد ذلك صحة عمليات التوقع التي قام بها الابن ، وتم حفر آبار في مواقع أخرى .

ويقول الطفل الذي ما زال في الصف الثالث الابتدائي : إن قدرة الله سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً هي التي تتحكم في كل شيء ، وأنه يشكر الله على ما وهبه من قدرة يستطيع باستخدامها مساعدة الناس في الكشف عن مصادر المياه في هذا الجزء من المرتفعات^(١) .

الطفل العبقري

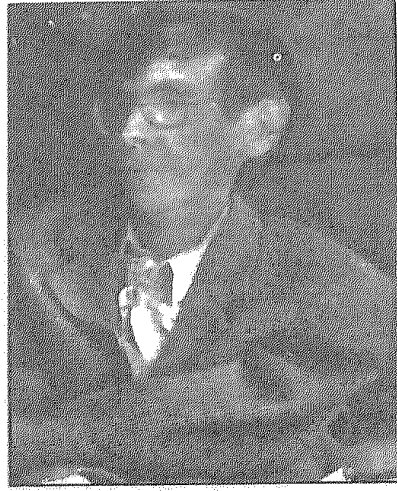
● نطق الأمريكي دراجون ايستود وعمره ستة أسابيع . وأكمل حفظ الحروف الأبجدية وهو في الثانية من عمره ، وأجاد القراءة والكتابة عندما بلغ الثالثة . وفي الحادية عشرة حصل على البكالوريوس في الرياضيات من جامعة كاليفورنيا ، ولكنه رغم نبوغه المبكر وتخرجه في الجامعة ، فما زال عليه معاودة الدراسة في المدارس الابتدائية حتى يبلغ السادسة عشرة التزاماً بالقوانين الأمريكية في نظام التعليم^(٢) !

مريض .. ذو ذكاء خارق!

● هذا العالم الأمريكي «ستيفن هوكنج» حطم حواجز المرض الذي أصابه بشلل تام وأفقده القدرة على الحركة والكلام ، بعد أن داهمه مرض تصلب وضمور العضلات والأعصاب في العشرين من عمره ، وأخذ يزحف تدريجياً

(١) المدينة ع ٧٣٩٥ - ٣/١٢/١٤٠٧ هـ .

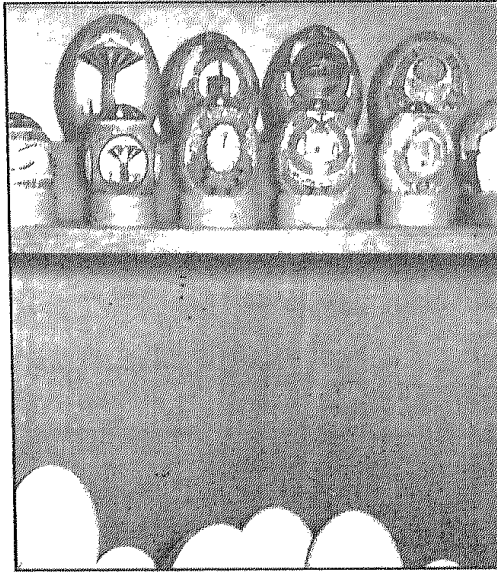
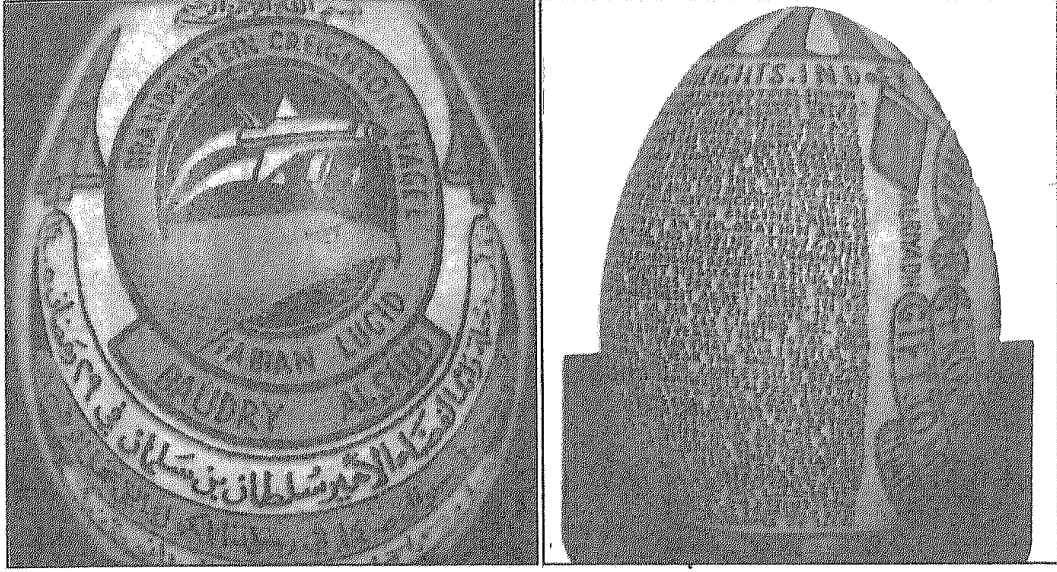
(٢) الأخبار ع ١١٢٧٨ - ٢٣/١١/١٤٠٨ هـ .



ليقضي على كل العضلات والأعصاب المتحكمة في الحركة في الجسم كله .
الأكثر من هذا أن الأطباء اضطروا منذ ثلاث سنوات إلى استئصال قصبته
الهوائية مما أفقده القدرة على الكلام نهائياً ، بينما يتنفس عن طريق فتحة
صناعية ، ورغم كل هذا ظل عقله يعمل ويبحث لإثبات نظريات علمية
غاية في التعقيد ، حتى وصفه العلماء بأنه خليفة اينشتاين !
إن هذا العالم - بالفعل - يحاول استكمال النظريات التي بدأها اينشتاين
حتى يتوصل إلى القوانين التي تركها خلفه العالم الشهير ، ويعتقد العالم
المريض أن لغز تلك القوانين سيتم اكتشافها قبل نهاية القرن الحالي !
ويلقي هوكنج محاضرة أسبوعية في الجامعة ، يستعين أثناءها بكمبيوتر
ناطق للتغلب على مشكلة عدم القدرة على الكلام !
بقي أن تعرف أن العالم المريض متزوج وله ثلاثة أولاد^(١) .

(١) المصور ع ٣٣٢٥ - ١٧ / ١١ / ١٤٠٨ هـ .

٦٠٠٠ حرف على بيضة واحدة!



«لم أتعلم في حياتي الإنجليزية، وكتبْتُ تقرير أرامكو حرفاً بحرف بواسطة النقل».

عبد الرحمن العبدان من السعودية
لدية موهبة عجيبة في الكتابة على
البيض بدقة متناهية يقول :

تم عملية الكتابة على البيضة
بوضعها في قاعدة خشبية صغيرة
مربعة الشكل ، مبطنة بالإسفنج ،
ووسطها مقعر يغطي ثلث البيضة .
وعند الكتابة يتم تحريك البيضة على
القاعدة بطريقة تشبه تحريك
«الرومان بيبي» . وتبدأ رحلة الكتابة
من الأعلى إلى الأسفل وبطريقة

حلزونية . . ونظراً لدقة الحروف فإنني أستعمل منظاراً مكبراً كالذي يستعمله
مصلح الساعات . . والكتابة من الدقة بحيث أستطيع كتابة (٦٠٠٠)
حرف أو ألف كلمة على البيضة الواحدة وفي مدة زمنية تستغرق ما بين
١٥-٢٠ يوماً، وبمعدل ساعة واحدة في اليوم . ذلك لأن الاستمرار لأكثر
من ساعة يتعب النظر . . ولك أن تقدر حجم التعب في كتابة ميزانية الدولة
بكامل بنودها لعام ١٣٨٩ / ٨٨ هـ وميزانية الدولة لعام
١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ . . كل ميزانية على بيضة واحدة، وتقرأ بوضوح .

أما نوعية الأقلام المستخدمة فهي رفيعة جداً، تشبه دقتها رأس الدبوس،
ومداد الأقلام من النوع الشيني . . المستعمل في الطباعة . .

ويوضح العبدان بأن فصل الشتاء يعتبر أنسب الأوقات للكتابة، لأن في
فصل الصيف تكون اليدان رطبتين بسبب العرق، وعند تقلب البيضة تسيل
الأسطر على بعضها نظراً لضيق المساحة وقرب الأسطر من بعضها فيتشوه
منظرها . . كما أن النقش على بيض النعام أمر صعب ولا يمكن، لظهور
الكثير من المطبات والحفر الصغيرة على وجه البيض .

وكانت أول أعماله التي أهديت إلى كبار المسؤولين عبارة عن كتابات لآيات
قرآنية طرزت بزخارف جمالية .

ومن أجمل المصادفات ما حصل لي خلال عمري في هذه الهواية أنني كتبت
على إحدى البيضات آية الكرسي، وبعد ذلك وضعتها في درج المكتب الذي
أحتفظ فيه بإنتاجي الفني، وبعد أيام قليلة فتحت الدرج، ففوجئت بفرخ
صغير داخل الدرج قد حطم البيضة وخرج منها، فضاع جهد خمسة عشر
يوماً . . وكنت يومها قد نسيت أن أقوم بتفريغ البيضة من داخلها قبل الكتابة
عليها .

بدأت اهتمامات العبدان بهذه الهواية عندما شاهد عند أحد معارفه بيضة مفرغة كتب عليها سور قرآنية بخط الخطاط الشهير محمد طاهر كردي، خطاط مصحف مكة، والسور هي: الملك والقلم كاملتين مع المعوذتين عام ١٣٥٥هـ، وهي تعد تحفة تاريخية، إذ مضى على كتابتها أكثر من نصف قرن. . فقام بتقليد الخطاط الشهير، ولا يعرف إلى الآن إذا كان هناك من سبق الكردي في عالمنا العربي^(١).

دكتوراه بامتياز لميت!

● قصة طريفة - من الأرشيف الجامعي - بدأت عندما تقدم مصطفى علي عبدالعزيز، خريج كلية الزراعة - جامعة القاهرة، للحصول على الدكتوراه في نباتات الزينة، على أن تناقش في منتصف فبراير ١٩٧١م. وفي ٢٧ يناير من العام نفسه وقبل مناقشة الرسالة، توفي الباحث في حادث تصادم. . ثم تقدم الدكتور محمود عبدالآخر، عميد كلية الزراعة في ذلك الوقت إلى مدير الجامعة بطلب للموافقة على مناقشة رسالة الدكتوراه تكريماً للباحث المتوفى. . وتكونت لجنة لمناقشة الرسالة في موعدها، وحصل الباحث الميت على درجة امتياز^(٢).

(١) الأربعاء الأسبوعي (ملحق المدينة) ٢٠/٢/١٤١٠هـ. وانظر جريدة الرياض ع ٥٣٣٩ - ١٣/٤/١٤٠٣هـ.

(٢) أخبار اليوم (مصر) ع ٢٢٣٨ - ٢٦/١/١٤٠٨هـ.

ودكتوراه لبغل!

منح بغل شهادة دكتوراه فخرية من جامعة ييل العريقة ، للمساهمة التي قدمها في تقدم العلوم . . ونقله كميات من الصخور مخصصة لفريق من الجيولوجيين في الجامعة .

وسلمت وثيقة تحمل توقيع أكبر المسؤولين في الجامعة وتمنح لقب دكتوراه فخرية إلى الورد بلوز (١٠ سنوات) أثناء احتفال جرى في ساحة في بورث أنجلوس في ولاية واشنطن . وأوضح البروفسور مارك بروندون رئيس فريق الجيولوجيين الذي أوصى بمنح الدكتوراه إلى البغل : «أننا لا نعتبر هذا العمل مزاحاً»^(١) .

أكبر مجرمة في التاريخ

أكبر مجرمة في التاريخ هي الكونتيسة (باثوري) المجرية ، ولدت عام ١٥٦٠م وعاشت حتى ١٦١٤م . واقترفت ٦١٠ جرائم قتل ، وكان أكثر ضحاياها من الفتيات اللاتي يسكن في المناطق المجاورة لقصرها . وماتت الكونتيسة بعد ثلاث سنوات ونصف من صدور الحكم عليها بالسجن المؤبد في القصر^(٢)!

(١) الألفق ١٥/٦/١٩٨٩م .

(٢) الندوة (السعودية) ع ٨٣٢٣ - ٨/١١/١٤٠٦هـ .

أعمى يفتأ عيني والده!!

أصدرت محكمة جنايات مصرية حكماً بالسجن على رجل أعمى ففتأ عيني والده انتقاماً منه ؛ لأنه قرر طرده من المنزل .

وقالت صحيفة الأهرام إن محكمة جنايات الزقازيق بمحافظة الشرقية حكمت بالسجن خمس سنوات على شحادة إبراهيم ٤٠ سنة .

وأضافت تقول : إن الرجل كان قد تشاجر مع والده الذي يبلغ ٦٢ سنة من العمر بسبب خلافات عائلية ، قرر والده على إثرها طرده من المنزل .

وقالت الصحيفة إن الرجل قرر الانتقام ، وعندما علم أن والده يغط في نوم عميق «تحسس الطريق إليه وانقض عليه ضاغطاً بكلتا يديه على عينيه حتى فقأهما» .

ونقل الوالد إلى مستشفى . . . لكن الأطباء قرروا أنه فقد بصره نهائياً^(١) .

جريمة قتل بسبب البيضة والدجاجة!!

أعلنت صحيفة فلبينية أن رجلين لقيتا مصرعهما رمياً بالرصاص إثر مشادة ، بعد جدل حول ما إذا كان خلق الدجاجة قد سبق خلق البيضة!!

وقالت صحيفة انكويرو الفلبينية الواسعة الانتشار نقلاً عن محققين قولهم : إن أربعة من أنصار الاعتقاد القائل بأن البيضة خلقت أولاً استلوا مسدساتهم وقتلوا الرجلين ، بعد أن صدرت عن أحدهما حركة مخرجة بالآداب لدى اعتقاده بفوز وجهة نظره^(٢) .

(١) الجزيرة ع ٦١٣٥ - ١٣/١٢/١٤٠٩ هـ .

(٢) المدينة ع ٧٣٤٦ - ١٣/١٠/١٤٠٧ هـ .

عبادة الشيطان!

فوجيء سكان نيويورك عندما اكتشفوا أن (عبادة الشيطان) أخذت تنتشر بين عدد من المراهقين والمراهقات من أبناء الأغنياء والطبقة الوسطى .
وقد افتضح الأمر عندما ذُبح أحد أفراد الجماعة في احتفال تقليدي (شيطاني) جرى في ضواحي نيويورك . . وقد انتحر الشاب - وهو زعيم هذه البدعة - قبل التحقيق معه .

ومما يذكر أن أفراد هذه البدعة بدأوا بتقديم ذبائح من الحيوانات بما في ذلك القطط والكلاب ، ثم تطور ذلك عندما ذبح أحد الأفراد^(١) .

أطول.. وأقصر قضية!

أطول نزاع قضائي في التاريخ انتهى في بيون في ٢٨ أبريل عام ١٩٦٦ م بعد ٧٦١ عاماً من رفع الدعوى القضائية .

وكانت الدعوى التي وجدت مكاناً رجباً في سجل غينيس للأرقام القياسية العالمية قد تم الفصل فيها عندما صدر الحكم لصالح باتلوجي ثورات في القضية التي رفعها ضده جده مالوجي ثورات في عام ١٢٠٥ ميلادية .

وكان لب النزاع يتمثل في حق رئاسة النشاطات الجماهيرية العامة وتصدر المهرجانات الدينية . وقد تم كشف النقاب عن هذه القضية في الحلقة

(١) الندوة ع ٧٧٠٧ - ١٢ / ١٠ / ١٤٠٤ هـ . وانظر جريدة الرياض ع ٥٨٥٩ - ١٠ / ١٠ / ١٤٠٤ هـ .

الدراسية التي تناولت أسباب تعطيل الفصل في القضايا، والتي عقدت مؤخراً هناك .

ويرصد سجل غينيس أيضاً المحاكمة التي جرت في بريطانيا في مطلع مارس من عام ١٩٧٧م كأقصر قضية في التاريخ . فقد رفع دعوى باطلة في محكمة العمدة الأولى في أدينبره ضد طيار . واستغرق نظر القضية سبع ثوان فقط . ولم ينطق العمدة سوى بكلمتين : (ليس مذنباً)^(١)!

مخالفة بعد ٣٥ سنة!

تلقى المواطن حلمي عطية مصيلحي صاحب مخبز بشبرا إخطار حكم مخالفات هذا نصه :

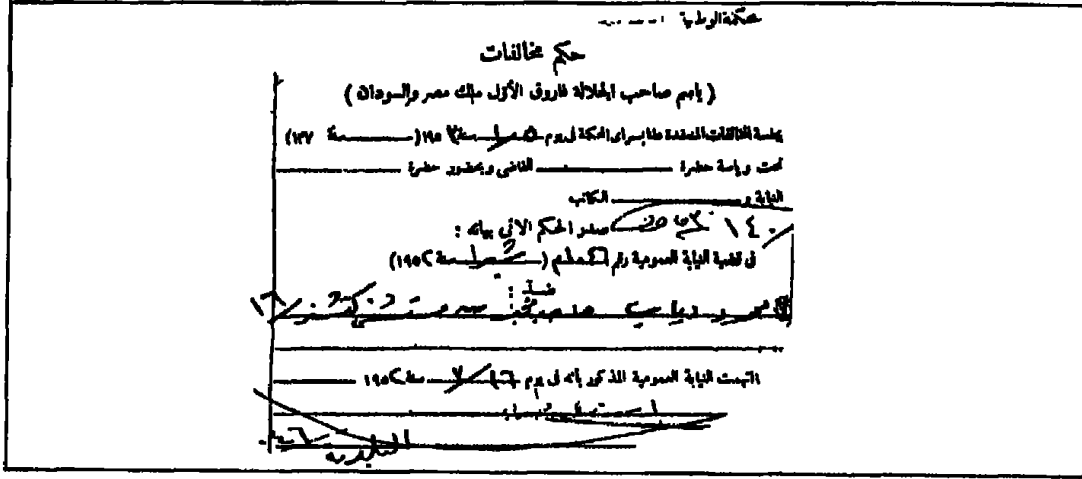
«باسم صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر والسودان صدر الحكم الآتي في قضية النيابة العمومية رقم ١٠٤٦ شبرا سنة ١٩٥٢م ضد محمود دياب صاحب مخبز بشارع مستشفى كتشينر نمرة ١٦ شبرا .

اتهمت النيابة العمومية المذكور بأنه في يوم ١٦ / ٣ / ١٩٥٢م وجهت إليه تهمة إشغال الطريق ، وحيث إن التهمة ثابتة فلهذه الأسباب حكمت المحكمة بغرامة قدرها ٢٤ جنيهاً و ٣٢٠ ملياً» .

كان هذا نص الإخطار الذي تلقاه صاحب المخبز الحالي ، والذي استأجره عام ١٩٧٨م . ورغم مرور ٣٥ عاماً على توقيع المخالفة إلا أنه كان لا بد له أن يدفع الغرامة ، وإلا تعرض للحبس والحجز على إيراد الفرن!

(١) الرياض ع ٥٣٨٨ - ١٤٠٣/٦/٣ هـ .

ويقول حلمي عطية صاحب المخبز: لقد دفعت المخالفة التي لم أتسبب فيها والتي مضى عليها ٣٥ عاماً . لقد سدّدت المخالفة بتاريخ ١٩٨٧/٧/٢٩ م بإيصال رقم ٥٥٤٧٧١ للإدارة العامة لإيرادات ديوان محافظة القاهرة (١).



صورة زنكوغرافية للمخالفة

يشنق نفسه على طريقة عمر المختار!

بعد مشاهدته لفيلم «عمر المختار» وقصة شنقه قام الطفل حسين عبدالله السبيعي من «الخرمة» بالسعودية بشنق نفسه، بعد أن ربط حبلًا في سقف إحدى غرف المنزل، ووضع تحت قدميه سريراً، وبعد أن شد الحبل وأزاح السرير تدلى مشنوقاً. وقد نقل إلى مستشفى القوات المسلحة، حيث يعيش في غيبوبة تامة، وفي حالة خطيرة منذ أربعة أيام (٢).

(١) الأخبار ١٠٩٩٢ - ١٥/١٢/١٤٠٧ هـ.

(٢) الندوة ٧٤٤٠ - ٢٢/١١/١٤٠٣ هـ.

الجنين يبكي بدون صوت!

أثبتت التجارب التي أجراها العلماء الفرنسيون على الأجنة أن الجنين يسمع ويحس ويسلك مسلكاً فردياً مميزاً. وأن هناك أجنة كثيرة الحركة، والبعض الآخر قليل الحركة. . كما أن هناك أجنة تستمع للموسيقى وتنفعل عند سماع الضجيج. والغريب أن هذه التجارب أثبتت أن الجنين في بطن أمه يبكي ولكن بدون صوت؛ لأن الرئتين بدون هواء. . وأجمع العلماء على أن الحالة النفسية للأم تؤثر على الجنين، فإذا كانت شديدة القلق أثناء الحمل يولد طفلها متدمراً شديداً الحركة سريع الغضب. . وأكثر عرضة للإصابة بأمراض الجهاز الهضمي^(١)!

جنين عمره ٤٠ عاماً!

أجريت في مستشفى الثورة العام بالعاصمة اليمنية عملية جراحية لأغرب ولادة تحدث حتى الآن.

فقد أجرى الطبيبان محمد صالح القباطي وعبدالرحمن الشرعي عملية لامرأة تبلغ من العمر ٧٥ عاماً لاستخراج جنين في بطنها حملت به منذ ٤٠ عاماً!

وكانت المرأة قد وضعت مولودين بشكل طبيعي خلال فترة وجود الجنين في بطنها الذي استخرجه الطبيبان ميتاً.

وكانت الأم تشكو من آلام غريبة، ولم تكن تتوقع وجود هذا الجنين. وتتمتع الآن بصحة جيدة بعد العملية^(٢)!

(١) الأخبار ع ١٠٢٩٥ - ١٤٠٥/٨/٢٧ هـ.

(٢) الشرق الأوسط ع ٢٨٠٤ - ١٤٠٦/١١/٢٦ هـ.

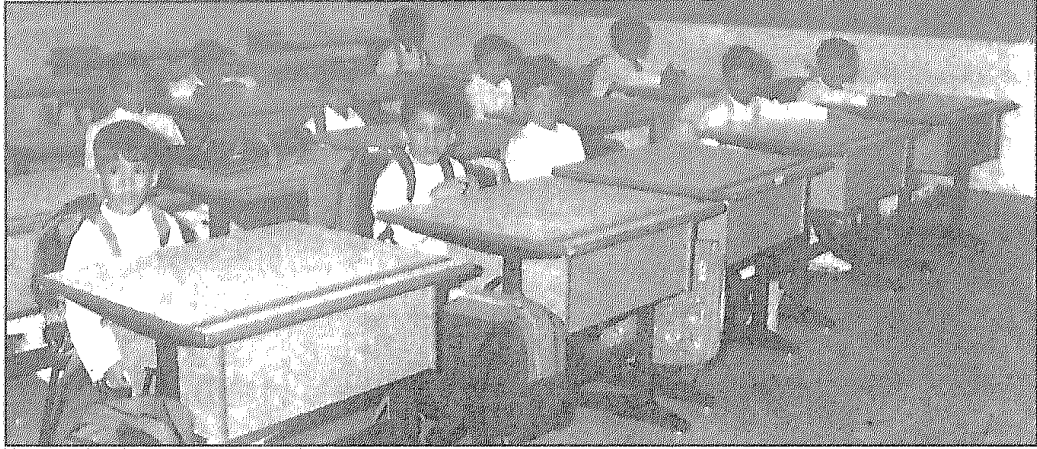
الجدة والبنت وزوجة الابن..

يلدن في وقت واحد

في غرفة الولادة انتهت الطيبة من إجراءات وضع سيده - ١٧ سنة - في الساعات الأولى من الفجر. ثم خرجت لتطمئن أهلها على سلامتها وسلامة أول مولود لها. وفي ظهر اليوم نفسه استدعت الطيبة مرة أخرى لإتمام عملية ولادة جديدة. فإذا بها أمام سيده ٣٤ سنة. كانت قد رأتها ضمن الأهل الذين التقت بهم من قبل، ثم تبين أنها كانت (جدة) المولود. وفي مساء اليوم نفسه استدعت الطيبة للمرة الثالثة، فإذا بالسيدة الحامل هي زوجة ابن الجدة التي وضعت بدورها مولودتها بخير.

حدث هذا الموقف الطريف طبقاً لواس في مدينة جدة^(١)!

خمسة توائم في الصف الأول الابتدائي!



التوائم الخمسة يجلسون بجوار بعضهم البعض في الفصل

(١) الجزيرة ع ٥٩٢٦ - ١٠/٥/١٤٠٩ هـ.



التحق التوائم الخمسة
عبدالعزیز وفهد وعبدالله
وسلطان وخالد أبناء سعيد بن
جبران الغامدي بالمدرسة ،
وأصبحوا طلاباً بالصف الأول
الابتدائي ، في مدينة جدة .

ويدخلون المدرسة مع بعضهم أيضاً

وكانت «المدينة» قد نشرت في عددها رقم ٧٩٤٨ الصادر في أول رجب
عام ١٤٠٩ هـ خبراً عن ولادة التوائم الخمسة .

يقول والد التوائم الخمسة الذي يعيش فرحة غامرة وهو يرى أولاده في
المدرسة: إنهم والله الحمد يتمتعون جميعاً بصحة ممتازة . كما أن مستواهم
العقلي جيد جداً .

وحول حياتهم داخل المنزل يقول الأب إنهم يتسمون بالشقاوة في حركاتهم
وتعاملهم مع بعضهم البعض ، ويجنون غالباً الجلوس مع بعضهم دون
غيرهم .

أما الأستاذ المشرف على تعليمهم فيقول :

لا أبالغ إذا قلت إن مستوى ذكاء التوائم الخمسة يفوق مستوى غيرهم من
الطلاب ، ولم ألاحظ من تصرفاتهم أنهم يختلفون عن زملائهم في حركاتهم ، إلا
أنهم يفضلون الجلوس بجوار بعضهم البعض . كما أنهم يخرجون من الفصل
أو يدخلون إليه متماسكي الأيدي^(١) .

(١) المدينة ع ٩٦٣٧ - ٢١/٤/١٤١٤ هـ .

سلة مهملات ناطقة

بدأت إحدى بلديات شمال بريطانيا استعداداتها لوضع سلال مهملات ناطقة في أنحاء المدينة تقول «شكراً لك» بمعدل مرة كل خمس دقائق .
وتقدر قيمة السلة الواحدة بألف جنيه استرليني . وهي تهدف إلى تشجيع الجمهور، ولا سيما الأطفال ، على رمي النفايات في الأماكن المخصصة لها .
ويدار جهاز التسجيل في سلال المهملات هذه بواسطة بطاريات مثبتة داخلها ، ويقوم بتغييرها بشكل دوري رجال التنظيفات^(١) .

إحصاءات غريبة

- يتكلم الإنسان ١٣٣٤٢ كلمة لو استعمل لسانه ٣ ساعات فقط .
وهذه الكلمات تشغل ١٠٩ صفحات تقريباً .
- قوة جناح الطير بالمقارنة النسبية تعادل قوة ذراع الإنسان ٢٠ مرة .
- العنكبوت يستطيع أن يعيش عشرة أشهر بلا طعام .
- الإنسان الذي يبلغ من العمر ٧٠ عاماً يكون قلبه قد خفق ٢٩٠٠ مليون دقة ، ودفع ١٥٤ مليون لتر من الدم إلى عروقه وشرايينه^(٢) !

(١) الجزيرة ١٦/٣/١٤١٠هـ .

(٢) الشرق الأوسط ع ٢٤١١ - ١٧/١٠/١٤٠٥هـ .

معلومات غريبة

- سمع النساء أقوى من سمع الرجال . هذا ما تقوله دراسة أجراها أحد علماء النفس البريطانيين!
- أسرع الشعوب في الكلام في العالم هم الفرنسيون . فهم يتكلمون بسرعة ٣٥٠ مقطعاً في الدقيقة ، بينما متوسط ما يلفظه الإنجليزي في الدقيقة ٢٢٠ مقطعاً لا غير^(١).

طعام.. وبغاء.. وحذاء!

- الطبق المفضل عند الأستراليين هو المجهز من ذيل حيوان الكنغر.
- يوجد في الهند نوع صغير من الطيور يعرف باسم «هيه نينا» يتكلم بطلاقة تفوق البغاء .
- أعلى حذاء في العالم صنع لإمبراطور إفريقيا الوسطى عام ١٩٧٧م الذي كان مصنوعاً بشكل يدوي في «بليت بيرلوتي» بباريس ، وكلف هذا الحذاء مبلغ ٨٥ ألف دولار، واستغرق إنجازه ٢٠٠ ساعة ، واستخدم لتطريزه ٤٠٠٠ لؤلؤة بيضاء أحضرت خصيصاً من اليابان^(٢)!!

٥٥ ساعة ضدك!

- استطاع مواطن يوغوسلافي يدعى «ميرو سلاف ميخايلوفيتش» أن يضحك بعض الجماهير لمدة ٥٥ ساعة متواصلة .

(١) اليوم ع ٥١٢١ - ٢٧ / ١٠ / ١٤٠٧هـ .

(٢) الجزيرة ع ٤٧٨٨ - ٢٤ / ٢ / ١٤٠٦هـ .

فقد وقف في يوم العطلة في أحد ميادين بلجراد معلناً أنه يعرف ٣٠٠ ألف نكتة ، وظل يرددتها دون أن يكرر أيّاً منها .

وأعلن في ختام الساعات الطويلة أنه يحفظ إلى جانب هذه النكات حوالي نصف مليون نكتة أخرى ، ويستطيع أن يضحك الناس بها . ولكنه يتحدى أن يستطيع أحد إضحائه^(١) .

أكبر شاخر في العالم

يعد البريطاني ميل سويتزر الذي يبلغ من العمر خمسين عاماً أكبر شاخر، والأكثر ضجيجاً في العالم .

ويبلغ شخير سويتزر ما يعادل ضجيج دراجة نارية ، أو صوت قطار للبضائع عن بعد ٥٠ متراً .

وأخيراً قرر الانتقال إلى منزل بعيد عن الأذان الحساسة ، بعد أن أتعب جيرانه منذ (١٠) أعوام .

ويقول سويتزر: إن الجيران لم يشتكوا مني في البداية ، ولكن خلال الأعوام العشرة الأخيرة اشتكى إلي (٧) أشخاص من جيراني ، ولهذا قررت الانتقال إلى منزل قرب سوتامبتون ، وفي ذلك المكان سوف لن أزعج إلا السنجاب^(٢) .

(١) الأهرام ع ٣٧٠٧٥ - ٢٦ / ١٠ / ١٤٠٨ هـ .

(٢) المسائية (السعودية) ع ٢١٣١ - ٢٣ / ٥ / ١٤٠٩ هـ .

عادات غريبة في الزواج!

- المحارب الصومالي يضرب عروسه أثناء احتفالات الزواج ليجعلها تسلم منذ البدء بأنه سيكون السيد المطاع في البيت .

- في الأقاليم الريفية من جزيرة غرينلاد يسود الأعراس أسلوب إنسان الكهف الأول ، فالعريس يذهب إلي بيت عروسه ويجرها من شعر رأسها إلى أن يوصلها إلى الكنيسة!

- في جزر «كوك» تسير العروس إلى الكنيسة على بساط من الأدميين . إذ حسب تقاليد تلك الجزر يستلقي شباب القرية على الأرض ووجوههم إلى أسفل ، وتدوس العروس في سيرها على ظهورهم حتى تصل إلى المكان الذي تقام فيه الاحتفالات .

- العروس في «بورما» تطرح أثناء الاحتفال أرضاً ، ويقوم رجل عجوز بثقب أذنيها ، فتتألم وتتوجع وتطلق الصرخات المدوية ، ولكن ليس هناك من يسمع ؛ لأن الفرقة الموسيقية تبدأ بالعزف بأصوات صاخبة تغطي على صرخات العروس .

- في جزيرة «جاوة» تصبغ العروس أسنانها باللون الأسود ، وتغسل قدمي زوجها أثناء حفلات الزواج كدليل على استعدادها لخدمته طوال حياتها .

- وفي جنوب المحيط الهادي هناك أبسط طقوس الزواج وأقلها تعقيداً . . تلك الطقوس التي تمارسها قبيلة «نيجريتو» . ففي تلك الجزيرة يذهب الخطيبان إلى عمدة القرية ، فيمسك هذا برأسيهما ويدقهما بعضاً ببعض . .
وبهذا يتم الزواج^(١) !!

(١) اليوم ع ٤٦٥١ - ٢٩/٦/١٤٠٦هـ .

الفهرس

٥	مقدمة
١٩	أخبار سبويه المصري، لابن زولاق
٢٧	أدب الجن، لمحمد عبدالرحيم
٣٣	الإرشاد لمن طلب الرشاد، لنائيني
٤٣	الأطفال في التراث العربي، لعبدالرزاق حسين
٤٩	أنباء نجباء الأبناء، لابن ظفر الصقلي
٥٥	التحفة البهية والطرفة الشهية
٦١	ترويح النفوس ومضحك العبوس، لحسن الآلاتي
٦٧	الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب، لكنون
٨١	جمع الجواهر في الملح والنوادر، للحصري
٩٩	الزهرات المنثورة في نكت الأخبار الماثورة، لابن سماك
١٠٣	سلوان المطاع في عدوان الأتباع، لابن ظفر الصقلي
١٠٩	صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم، للسيوطي
١١٣	طرائف الأطباء، للحكيم التكريتي
١٣١	الفراسة، لابن قيم الجوزية
١٤١	لطائف اللغة، للباييدي
١٥٧	لطائف المعارف، للثعالبي
١٧١	اللمعات البرقية في النكت التاريخية، لابن طولون
١٨١	محاسن الوسائل في معرفة الأوائل، للشبلي
١٨٩	من أخلاق العلماء، لعنّارة
٢٠١	نديم الأديب، للجيلاني
٢١١	نوادر وغرائب متفرقة من الكتب والدوريات